

مذكرات عرابى

«كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية ، المشهورة بالثورة العرابية ، فى عامى ١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريتين ، وفى ١٨٨١ و١٨٨٢ الميلاديتين»

بقلم

زعيم الثورة العرابية

احمد عرابى

الجزء الأول

زعيم الثـــورة المصرية الحديثـة
يقدم مذكرات زعيم الثورة العرابية

مذكرات عرابى
كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

بقلم الرئيس اللواء محمد نجيب

تصفحت هذه المذكرات التى كتبها القائد المصرى البط
أحمـــد عرابى « ليبين للنـــاس حقيقـــة النهضـــة المصـ
المشهورة بالثورة العرابية تمحيصا للتاريخ من درن الأهـ
الفاسدة والمفتريات الباطلة »

وما أن سرت فى قراءتها قليلا ، حتى استوقفتنى أهم
البيانات الخطيرة الدقيقة التى سجلها وفصلهـــا ، فأعد
ما قرأت ، مثنى وثلاث ورباع ، شاعرا فى كل مرة من هـ
المرات بلذة الاستذكار ، ولذة الوقوف على تلك المفـا
المصرية الوطنية الحقة من بطولة وشهامة وتضحية وإيثار

وهكذا كان شأنى حتى أتيت على آخر هـــذه المذكرا
القيمة ، التى جمعت فأوعت ، وألقت الضوء على حقا
تلك الحقبة الخطيرة من تاريخنا الحديث ، فأظهرتها فى صد
واخلاص ويقين ، وكان فيها لذلك هدى المهتدين ، وعبـ
للمعتبرين

وانى اذ أترحم على الزعيم البطل صاحب هذه المذكرات
مشيدا بما أفاد به التاريخ المصرى ، بالكشف عن أسرار

فيه ، وبمواقفه هو وصحبه الذين رفعوا راس
طنية ، لأرجو ان تتجدد بها دائما ذكرى ذلك
الوطني المجيد ، لينتفع بها الجيل الحاضر
بال المقبلة ، وتتبين المواطنين جميعا تلك
العليا التى ضربها عرابى فى حركته الوطنية التاريخية
لمة ، للرجولة الحقة والشهامة الموروثة ، واباء الظلم
ليم ، والاعتزاز بمصريته وقوميته ، مما جعله منارا
تدى به ، ورائدا يقتفى أثره ويتمثل فيه بقول الشاعر
عربى القديم :

اذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نقر الظلم فينا

على ان مذكرات عرابى هذه ليست درسا من دروس
الوطنية الخالدة فحسب ، وليست فائدتها مقصورة على
ما فيها من كشف لحقائق التاريخ التى كانت مجهولة ، واماطة
اللثام عن أسرار كانت خافية . فالواقع أنها الى هذا كله
قد سجلت فيما سجلته حادثا تاريخيا جليلا من اجل
حوادث الكفاح والتضحية والبذل والفداء فى سبيل حرية
الوطن وكرامته وسعادته . وهى لذلك يجب أن يستوعبها
المواطنون عامة ، والشبان خاصة ، ليترسموا خطاه فى خدمة
البلاد ، ولينسجوا على منواله فى الاقدام والاباء والاخلاص ،
وبذلك يؤتى كفاحهم أبرك الثمرات وأينعها باذن الله

ان عرابى زعيم تلك الثورة أو النهضة المصرية ، يمثل
بسيرته وأعماله التى تفصلها هذه المذكرات مرحلة مجيدة من
أهم المراحل التى مرت بها بلادنا فى العصر الحديث ، فهو

وطنى كامل الوطنية ، وهو مناضل لا تنقصه الجرأة ولا الشجاعة ، ثم هو الى هذا وذاك جندى باسل يعرف حق بلاده عليه ، ويعرف متى وكيف يؤدى واجبه كاملا غير منقوص ، لكى يحقق الكرامة الوطنية ، ولكى يدفع عن الوطن وأهليه عادية المستعمرين ومن يلوذ بهم من الطغاة المستبدين ومن النفعيين الفاسدين

وليس من شك فى أن التاريخ قد حفل بكثير من قصص الكفاح الوطنى التى تشبه قصة عرابى القائد المصرى ، والزعيم الوطنى المخلص ، بل ليس من شك فى أن التاريخ المصرى نفسه قد سجل فيما سجل صفحات رائعة مشرقة لبطولة رجالات صدقوا ما عاهدوا الله والوطن عليه ، فلم يدخروا جهدا فى سبيل استخلاص حرية الوطن وكرامته من بين براثن الغاصبين والمعتدين ، ظاهرين ومستترين . ولقد أثبت عرابى بما اشتملت عليه مذكراته هذه أنه جدير بأن يخلد اسمه فى مقدمة أسماء هؤلاء الأبطال ، وحق له أن تكرم الأمة كلها ذكراه ، بما جاهد فى سبيلها ، وبما ضحى لرفعة شأنها ، ولاعلاء كلمتها على كلمة الطغاة والمستبدين

□

ولقد أحسنت دار الهلال اذ أخرجت فى سلسلة كتاب الهلال ، مذكرات زعيم الثورة العرابية فى هذه المرحلة الجديدة من مراحل تطورنا التاريخى ، ولا أشك فى أن ما تضمنته من وقائع وطنية واتجاهات قومية ، سيكون له أثره المحمود فى هذا العهد الجديد ، عهد الحرية والكرامة ، وثورة الحق والعدل على الباطل والفساد

وبالله كل توفيق ونجاح

محمد نجيب لواء أ.ح.

كلمة صاحب المذكرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الناشر فى الخلق فضله ، الباسط فيهم بالجود يده . نحمده فى جميع أموره . ونستعين به على رعاية حقوقه . ونشهد أن لا اله غيره . وأن محمدا عبده ورسوله . أرسله بأمره صادعا . وبذكره ناطقا . فأدى أمينا . ومضى رشيدا . وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق . ومن تخلف عنها زهق . ومن لزمها لحق

أحمده تعالى الذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه . ومعاذا من بلائه . وسبيلا الى جنانه . وسببا لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبى الرحمة وسراج الأمة . وامام الأئمة . المنتخب من طينة الكرم . وسلالة المجد الأقدم . وعلى آل بيته مصابيح الظلم . وعصم الأمم . ومنائر الدين الواضحة . ومثاقيل الفضل الراجحة . صلاة تكون أداء لفضلهم . ومكافأة لعملهم . وجزاء لطيب فرعهم وأصلهم . ما أنار فجر . وهدى نجم

أما بعد ، فانى قد اطلعت على كثير من الجرائد والتواريخ العربية والافرنجية الموضوعة فى النهضة المصرية المشهورة

بالثورة العرابية . فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة ، أو يشفي غليل روادها من أبناء الأمة

لذلك رأيت أن أكتب للناس كتابا يهتدون به الى تلك الحقيقة الموموقة ، تمحيصا للتاريخ من درن الأهواء الفاسدة والمفتريات الباطلة . وسميتـــه « كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ و١٢٩٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ و١٨٨٢ الميلاديتين » قياما بالواجب على لأبناء وطنى الأعزاء ، وتصحيحا للتاريخ ، وخدمة عامة للانسانية وبنيها . وصدرته بنسبى وبتاريخ حياتى ليعلــم انى عربى شريف الأرومة ، مصرى الموطن والنشأة والتربية . وهاك نشأتى ونسبى الشريف المتصل بسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم

أحمد عرابى المصرى





نسبى الشريف

انا السيد احمد عرابى بن السيد محمد عرابى بن السيد محمد وافى بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله بن السيد حسن بن السيد على بن السيد سليم بن السيد ابراهيم بن السيد سليمان بن السيد حسين بن السيد على بن السيد حسن بن السيد ابراهيم مقلد بن السيد محمود بن السيد أحمد بن السيد حسن السجاعى ابن السيد صالح بن السيد صالح البلاسى (نسبة الى بلاس وهى قرية صغيرة ببطائح العراق وهو أول من هبط مصر من أجدادنا وتزوج من السيدة صفية شقيقة السيد احمد الرفاعى الصيادى) بن السيد على بن السيد عبد الرحمن ابن السيد عمر بن السيد عبد الرحمن بن السيد على بن السيد صالح الأكبر بن السيد محمد بن السيد على الحافظ ابن السيد قاسم بن السيد عبد السميع بن السيد عبد الفتاح بن السيد حسين الأصغر بن الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على الزاهر زين العابدين بن الامام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وأمي السيدة فاطمة بنت السيد سليمان بن السيد زيد تلتقى مع والدى عند السيد ابراهيم مقلد :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... اذا جمعتنا يا جرير المجامع

نشأتى الأولى

كان والدى السيد محمد عرابى شيخا جليلا رئيسا على عشيرته عالما ورعا موصوفا بالعفة والأمانة ٠ وكانت ولادتى فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ ببلدتنا التى تدعى « هرية رزنة » بمديرية الشرقية بضواحى مدينة « بو بسط » المشهورة الآن بتل بسـط وهى بلدة قديمة موجودة قبل زمن تغلب الملك شيشاق بن نمرود الأشورى (رأس العائلة الثانية والعشرين) على مصر . لا كما يهرف البعض بما لا يعرف ويدعى أنها من منشآت محمد عـلى باشا ٠ وما يزال فيها كثير من ذرية الفرس كعائلة كيـوان وعائلة الدويتـدار (دراز) وعائلة (تمراز) مما يدل على قدمها . وهى واقعة فى شرقى مدينة الزقازيق على بعد ميلين . وأما الزقازيق ، فهى منشأة فى زمن محمـد على (باشا) بعد انشاء قناطر التقسيم على بحر مويس (أو المعز لدين الله الفاطمى) وواقعـة على مقـربة من تل « بسطة » . وتعلمت القرآن الشريف وبعض العلوم الدينية فى المكتب الذى أنشأه والدى وفى الجامع الأزهر ، وقد تعلم فى ذلك المكتب كثير من أبناء بلدتنا ، حتى بلغ عدد المتعلمين فيها نحو نصفها ٠ ومنهم العالم الأزهرى واللغوى الشهير الشيخ محمد حسين الهراوى والطبيب النطاسى عبد الرحمن (بك) الهراوى والكيمياوى الشهير عبد العزيز (باشا) الهراوي ٠ وكان والدى قد أمر بترتيب درس فقـه فى المسجد الذى جدده للعامة بعد عصر كل يوم ، وبعد صلاة العشاء ، فتفقه عامة أهل البلد فى دينهم وصحت عبادتهم ، وحسن حالهم بفضل قيام المرحوم والدى على تعليم قومه وأهل بلده ، ثم توفى رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه فى ٢١ شعبان سنة ١٢٦٤ (بالكولره) أى الهواء الأصفر بالغا من العمر ٦٣ سنة . فغـدوت يتيما فى الثامنـة من عمرى .

وكانت تربيتى فى حجر والدتى وتحت رعاية أخى الأكبر السيد محمد عرابى الى أن تولى المرحوم سعيد باشا ولاية مصر فى ١٤ شوال سنة ١٢٧٠ هجرية حيث أصدر أمره بانتظام أولاد عمد البلاد ومشايخها فى سلك العسكرية حيث كان طلبى والحاقى بالعسكرية فى١٥ربيع أول سنة١٢٧١ هـ

دخولى العسكرية وأسفارى

فى التاريخ المذكور آنفا دخلت العسكرية وكان ذلك فى عهد محمد سعيد باشا الذى كان محبا لتقدم المصريين . فترقيت بالامتحانات أمام رجال العسكرية الى رتبة ملازم ثانى فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧٥ والى رتبة ملازم أول فى ١٧ جماد الثانى سنة ١٢٧٥ والى رتبة يوزباشى فى ١٣شعبان من السنة المذكورة والىرتبة صاغقولغاسى فى ٢٣ ربيع آخر سنة ١٢٧٦ والى رتبة بكباشى فى ١٥ شعبان من السنة المذكورة والى رتبة قائمقام بك فى ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧ وهى الرتبة التى لم يصل اليها أحد قبلى منالعنصر المصرى . ثم ترقيت بعد ذلك فى عهد محمد توفيق باشا الى رتبة أميرالاى فى رجب سنة ١٢٩٦ والى رتبة اللواء فى ربيع آخر سنة ١٢٩٩ .

وكانت مدة الأمير سعيد باشا كلها أسفار وتمرينات حربية من الاسكندرية الى مريوط ، ومنها الى دمنهور ، ثم الى القاهرة ، ثم الخنقاه فالعباسية ، فطره ، ثم الى بنى سويف ، فجبل الطير بمديرية المنيا ، الى قنا ، فسهل باب الملوك الى اسنا ، وكنت يومئذ عاملا فى الجيش فسعدت بالتوجه بمعيته رحمه الله الى المدينة المنورة لزيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله

وفى مدة الخديو اسماعيل انتدبت لترتيب عساكر من اهالى القلاع الحجازية المحالة ادارتها على الحكومة المصرية



أحمد عرابى فى شبابه

للمحافظة عليها بالنيابة عن الدولة العلية ، فسافرت في ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٢ هـ من القاهرة الى بندر السويس ، وفى أول رمضان من السنة المذكورة توجهت خلى ظهر الجمال الى قلعة (نخل) بكسر النون والخاء وليس معى مساعد ولا كاتب ولا اجر لي على ذلك العمل الشاق بل كانت جميع المصاريف اللازمة لى ولخدمى وللحمالة الذين رافقونا من مالى الخاص لأن الحكومة كانت لا تعطى رجال العسكرية أجر سفريات كرجال الملكية

فلما وصلت الى (نخل) رتبت العساكر اللازمة لها من أهلها وأرسلت العساكر المصرية التي كانت فيها الى القاهرة بطريق البحر الأحمر وأنشأت فى قلعة (نخل) مكتبا لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وشيئا من القرآن الكريم وعهدت بمباشرة تعليمهم الى وكيل القلعة وفقيه البلد ثم توجهت الى قلعة العقبة فوصلتها بعد ثلاثة أيام . ثم الى قلعة (المويلح) ثم الى قلعة (ظبا) ثم الى قلعة (الوجه) ورتبت فى كل من هذه القلاع ما يلزمه من العساكر من أبنائه للمحافظة عليه وأنشأت فيه كذلك مكتبا لتعليم الأولاد تحت مراقبة وكلاء القلاع المذكورة ثم أرسلت جميع العساكر القديمة الى مصر بطريق البحر الأحمر كذلك

وبعد اتمام تلك المأمورية على الوجه الأكمل قفلت عائدا الى مصر بحرا الى مدينة (القصير) ثم برا الى مدينة قنا ثم بحرا الى مدينة أسيوط ثم بطريق السكة الحديدية الى الجيزة فالقاهرة . وكان انجاز هذه المأمورية في مدة خمسة وأربعين يوما

وبعد وصولى الى القاهرة بعشرة أيام توجهت الى مصوع حيث كنت مأمورا للحملة الحبشية مكلفا بايصال الذخيرة والميرة الى الجيش أينما كان . فمكثت هناك الى انتهاء تلك الحركة المشؤومة التى بسببها بيعت حصص الحكومة فى

قنال السويس (سرا بدون اشهار مزاد عنهـا) للحكومة الانجليزية بمبلغ زهيد قدره أربعـــة ملايين من الليرات الانجليزية • ولو انها عرض بيعها على الدول الأوربيـــة لبلغ ثمنها ما ينيف على خمسين مليونا من غير مبالغـة • على أنه لم يصرف من قيمة تلك الحصص درهم على الحمـلة الحبشية بل استأثر بها الخديو اسماعيل لنفســـه سلبا ونهبا ! !

أسعد أيامي

مما تقدم يعلم اني دخلت العسكرية نفرا بسيطا في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٧١ هـ وترقيت بسرعة غريبـــة جزاء ما بذلت من جهد عنيف ، حتى نلت رتبة قائمقام الآلاى في ٢٤ صفر الخير سنة ١٢٧٧ وكانت تلك المدة عبارة عن ستة أعوام الا عشرين يوما هى أيام سعودى وخلو فكرى من الأكدار الدنيوية ، فقد كنت فيهـــا عزيزا مكرما عند حضرة محمد سعيد باشا وكثيرا ما كان يشركنى معه فى ترتيب المناورات الحربية وينيبنى عنه فى تلقينها الى أكابر الضباط بحضرته ، وعلى مسمع منه رحمه الله تعالى •ولشدة اعجابه بي أهدانى (تاريخ نابليون بونابرت باللغة العربية طبع بيروت) وهو بادى الغيظ على أن تمكن الفرنساويون من التغلب على البلاد المصرية، والتحريض على وجوب حفظ الوطن من طمع الأجانب

ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا الى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك ســـببا لمطالعتى كثيرا من التواريخ العربية • وازداد هذا الشعور فى تأصلا عندما سمعت خطبة ألقاها المرحوم سعيد باشا فى مأدبة أدبهـــا بقصر النيل للعلماء والرؤساء الروحانيين وأعضاء العـائلة الحاكمة وأعاظم رجال الحكومة ملكيين وعسكريين بعدتناول الطعام فى سرادق كبير

خطبة سعيد باشا

قال مرتجلا : « أيها الاخوان .. اني نظرت في أحوال هذا الشعب المصرى من حيث التاريخ فوجدته مستعبدا لغيره من أمم الأرض . فقد توالت عليه دول ظالمة كثيرة كالعرب الرعاة (الهكسوس) والأشوريين والفرس حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان ، هذا قبل الاسلام . وبعده تغلب على هذه البلاد كثير من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب ، ومن الترك ، والأكراد والشركس . وكثيرا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها في أوائل هذا القرن فى زمن (بونابرت)

« وحيث انى أعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغنى بنفسه عن الأجانب . وقد وطدت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل »

فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا . وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحا واستبشارا . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر فى أساس نظام « مصر للمصريين »

وفي سنة ١٢٧٨ هـ رأى الأمير محمد سعيد (باشا) أن الحكومة مدينة لمعامل ألمانيا وفرنسا بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ثمن بناء حوض للسفن بالسويس ومدافع كروب من ألمانيا ، وملابس ومهمات حربية وأسلحة جديدة من فرنسا . فاستعظم هذا الدين وأمر بصرف عساكر الجيش الى بلادهم وبيع ما فى الخزائن الأميرية من الأمتعة الثمينة . وبيع جميع المعامل والورش القديمة الكائنة بالعاصمة والمحافظات والمديريات . وبيع الأطيان المتروكة ، وغير

ذلك للوصول الى سداد هذا الدين ٠ كما أمر باعطاء من يرغب فى الخروج من خدمة الحكومة أرضا معاشا له ولأولاده من بعده وباحالة الضباط الى المديريات والمحافظات مستودعين بنصف مرتباتهم ٠ وأمر بتخصيص ما يلزم لهم من الرواتب على الأراضى الزراعية ، فخص كل فدان قرش واحد وربع القرش علاوة على المال لحين تســـديد الدين المطلوب من الحكومة ٠ ثم تجمع العساكر والضـــباط ثانية وتلغى الضريبة المؤقتة ٠ وقد استمر الأمر على ذلك الى أن توفى رحمه الله

وفى أوائل سنة ١٢٧٩ هـ سافر سعيد (باشا) الى أوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان ٠ وهناك كتب وصـــيته الى قائمقامه فى مصر (وهو اسماعيل (باشا) الذى جلس على الأريكة الخديوية من بعده) قال فيها :

« بما ان الضباط الوطنيين المتـرقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم ، وتركوا دروسهم العسكرية، ولو تركناهم على هذه الحال التى لا تعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر ٠ وصاروا عبرة لمن اعتبر ، وبما اننا نحن الذين ربيناهم وأظهرناهم ، فلا يصح لنا تركهم فى هذه الحال التى ذكرناها لذلك اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن والتشديد عليهم بمداومة تدريس القوانين ليلا ونهارا فى قصر النيل »

ثم توفى المرحوم محمد سعيد (باشا) فى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩هـ وتولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فى التاريخ المذكور وعزل فى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ بناء على طلب دول أوربا عزله من الحضرة السلطانية لما تحقق لديهم من سوء الادارة والتبذير فى عهده وشدة الطمع والجشـــع اللذين لا حد لهما ولا نهاية ٠ فكان عزله رحمة من الله بالمصريين

النشأة الثانية

ما تحملته من المظالم

تولى اسماعيل (باشا) ولاية مصر فأمر بجمع العساكر وترتيب الآلايات وكان ترتيبى قائمقاما على الآلاى البيادة السادس مع أميرالاى بكرى (بك) ولم يكن بهذه الرتبة من العنصر الوطنى بالآلايات غيرى ، ولسوء حظى ترقى أمير الآلاى الثانى المدعو خسرو (بك) الى رتبة اللواء (باشا) لا بعلمه ومعارفه ، بل لكونه جركسيا ومن الخارجين على الدولة العلية مع ابراهيم باشا بن محمد على باشا فى تلك الفتنة الدهماء التى دكدكت سياج الاسلام، وفضحت عورة المسلمين ، وكسرت شوكة الدولة العلية (الحامية لجميع الموحدين) • وقد تعين المذكور أميرا على اللواء الثالث المكون من الآلاى الخامس والسادس • وعندما تكامل حشد العساكر اجتمعت الآلايات البيادة والسوارى فى ميدان (طره) بسفح جبل المقطم وأقيمت تمرينات حربية حضرها الخديو اسماعيل وجميع رؤساء العسكرية •ولشدة ما أدخلت السرور على الخديو حتى دعا جميع الضباط العظام من رتبة البكباشي فما فوقها الى مأدبة فخمة فوق ظهر سفينته البخارية • ولم يكد يأخذ القوم مجلسهم حتى وجدوا على المائدة عدة زجاجات مملوءة بأنواع المشروبات الخمرية المحرمة والكؤوس المختلفة !

وتلك حالة لم يسبق لنا رؤيتها لأنها غير المألوف والمعروف عندنا : ثم تقدمت الأطعمة فأكل المدعوون طعاما شهيا لذيذا وشرب من أراد الشرب منهم من تلك الخمور وتعفف من كره • وبعد الفراغ من تناول الطعام أعلن الخديو سروره وشكره لضباط الجيش على ما أبدوه من النشاط وحسن الترتيب فى أثناء التمرينات الحربية • وأمر لكل واحد من الباشوات بخمسمائة فدان ، ولكل من أمراء

الآلايات بمائتى فدان ، ولكل واحد من القائم مقامات بمائة وخمسين فدانا من زيادة المســـاحة التى توجد فى بلاد مديريتى الغربية والمنوفية

خرجت الأوامر من المعية الخديوية الى المديريتـــين المذكورتين بتسليم الأراضى المذكورة الى أصـحاب الرتب المختلفة ، ولكن عند الشروع فى استلام تلك الأطيان ظهر الظلم وتجسم بأكمل معانيه • فقد كان يتوجه كل واحد من المندوبين من طرف المنعم عليهم بأمر من المديرية الى بلد يختارها من أحسن البلاد تربة • ويطلب تحديد المقــدار المعين قطعة واحدة فى أخصب حوض من الأراضى المملوكة لأربابها فيجاب الى طلبه ، ثم يحال المالكون الضعفاء عـلى الحيضان الأخرى التى توجد بها زيادة المســـاحة وقد لا توجد • حيث يخصص مقدار الأرض المأخوذة منهم على جميع الأفدنة الموجودة فى البلد ، فيخص الفدان الواحد قيراطان أو ثلاثة أو أربعة • فتؤخذ من الكل وتجمـــع فى جهة وتعطى لأولئك المساكين بدلا من أراضيهم التى كانوا يملـكونهـا . وقد تكون هـــذه الأراضى من أردأ أنواع الأرض

وتلك أول مظلمة من المظالم الكثيرة التى وقعت فى عهد اسماعيل باشا ••!

وقد حمانى الله من الوقوع فى شرك هذه المآثم على غير ارادة منى وذلك أن خسرو باشا أمير اللواء الآنف الذكر كان رجلا جاهلا متعصبا لجنسه تعصــــبا زائدا عن حد المعقول • وكان قد أخبر ناظر الجهادية اســـماعيل باشا سليم (الرومى الأصل) بأنى صلب الرأى شرس الأخلاق لا أنقاد لأوامره ولا أحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية (الحربية) • (وما بى والله من شراسة ، ولكننى جبلت على حب العدل والانصاف وبغض الظلم والاجحاف) . وطلب

منه وقف تسليمى الأطيان المنعم بها على لحين تحقيق ما افتراه من الكذب • فعرض ناظهر الجهادية الأمر على الخديو مشافهة ، وصدر بناء على ذلك أمر المعية لمديرية الغربية بعدم تسليمى تلك الأطيان حتى يصدر لها أمر آخر

ثم أمر ناظر الجهادية بتحقيق ما نسب الى ، فألف لذلك مجلس عسكرى برئاسة حسين باشا الطوبجى وعضوية محمد بك أمين أمير الآلاى الخامس وقائمقام الآلاى المذكور رشيد بك راقب وغيرهم من الجركس والترك

وحقيقة هذه المسألة أن هذا اللواء المتعصب لجنسه المتفانى فى الحقد على العنصر الوطنى كان يكره أن يكون تحت أمرته رجل شريف مثلى يتفانى فى نصرة الحق على الباطل • فعمل على اقصائى من مركزى ليتسنى له ترقية المدعو مصطفى سليم أحد بكباشية الأورطة التى تحت ادارتى ـ الى رتبة القائمقام وترتيبه بدلا منى لكونه من أبناء الجركس ، ولكونه صهر جاهين كنج باشا قومندان اللواء الأول • واتفق فى ذلك الوقت امتحان الضباط الأصاغر لترقيتهم ، فى مجلس برئاسة خسرو باشا هذا وبحضورى كعضو فيه أيضا • وبعد ظهور نتيجة الامتحان والاقرار على ترقية المستحقين كتبت العرائض عند الباشا المذكور ، وختمت من أرباب الامتحان • ولما عرضت على ختمت على عرائض من تقرر ترقيتهم،وأبيت الختم والتصديق على ترقية ملازم ثانى يدعى حسين أفندى لانه لم يجب فى الامتحان باجابة حسنة ، بينما كان آخر يدعى حسين أفندى أيضا أجاب فى الامتحان جوابا حسنا وتقرر فعلا ترقيته بمجلس الامتحان ، ولكن تأخر هذا وتقدم ذاك بدلا منه بسبب المحسوبية ، ولكونه كان ملازما لخدمة البكباشى مصطفى أفندى سليم

فلما أبيت التوقيع على العريضة المذكورة طلب الى الباشا المشار اليه الموافقة على ختم العريضة لأجل خاطر البكباشي المذكور • فرفضت ذلك كل الرفض وطلبت ترقية المستحق ، فأبى ذلك وتأخر الاثنان عن الترقى بعد جدال عنيف

وكانت هذه الحادثة سبب الوشاية بى عند ناظر الجهادية • وقد أوعز الباشا الى البكباشى المذكور بأن يختلق مكيدة يوقعنى فيها لأحال الى المحاكمة العسكرية ، ومع أنه ثبتت براءتى من هذه المكيدة فقد حكم المجلس المذكور بحبسى ٢١ يوما محاباة لخسرو باشا وناظر الجهادية • فاستأنفت الحكم وطلبت احالتى الى المجلس العسكرى الأعلى الذى تقرر فيه الغاء هذا الحكم وحفظ الأوراق لفساد التهمة وثبوت تزويرها

وهنا وقع الخلاف بين ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم ، وكان « مملوكا روميا » وبين رئيس المجلس العسكرى الأعلى على باشا سرى ، وكان أرنؤوديا ، بسبب حكم هذا المجلس بالغاء حكم المجلس الابتدائى • وكان ناظر الجهادية يريد تأييد الحكم الابتدائى تصديقا لما أخبر به الخديو سابقا فى المأدبة • فسعى لدى الخديو فى رفته ورفتى من الآلاى وتم له ما أراد • ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون • ففى الاسبوع الذى رفتت فيه من الآلاى صدر أمر الخديو بالغاء أورطة اللواء الثالث الذى كان تحت أمرة خسرو باشا وتفرقت تلك الفرقة على الآلايات الأخرى • ورفت البكباشى مصطفى سليم رفتا شنيعا مدة عشر سنين • ثم أصيب حسين باشا الطوبجى بفالج أودى بحياته • وكذلك أصاب محمد بك أمين الذى وافق على المحاباة فالج كصاحبه . أما أمين بك القبرصلى ناظر قلم تركى بديوان الجهادية وهو رجل رومى • فقد

أصابه الله بقارعة قبل موته لميله مع الظالمين حيث زور أمرا خديويا ماليا فضبط وسجن ثم ضرب نفسه بمدية طالبا للانتحار • فعولج وأرسل الى السودان ومات قبل وصوله• وأما ناظر الجهادية فقد هلك فى حرب كريد ، ولكن ليس شهيدا ، بل أكل فريكا من قمح فانعقدت أمعاؤه ، وقضى نحبه وأرسل الى مصر ودفن فى قرافة الامام الشافعى • وأرسل خسرو باشا الى السودان • وهكذا كل من اشترك فى تلك الظلامة أصيب بمصيبة عظيمة

عودتى الى الخدمة بعد انقضاء المحنة

ولما كان رفتى من الآلاى بأمر ناظر الجهادية وبطريقة استبدادية ظالمة شكوت أمرى الى الخديو اسماعيل باشا والتمست طلب أوراق القضية وفحصها بديوان المعية وانصافى بوجه العدل لأن (العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر) وطلبت من راغب باشا النظر فى ظلامتى، وكان حينذاك باشمعاونا للخديو ، وله نفوذ تام فى جميع المصالح الأميرية • فوعدنى خيرا • وفى الحال كتب لديوان الجهادية يطلب جميع الأوراق المتعلقة بالدعوى المذكورة ، وبناء على ذلك أرسلت جميع الأوراق الخاصة بمسألتى الى ديوان المعية، ففحصها ابراهيم باشا خليل رئيس قلم العرضحالات، وعمل عنها نتيجة أوضح فيها تلفيق القضية وفسادها •ثم عرضت النتيجة على الخديو ، ولكنه لم يبد رأيه فيها • فمكثت على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات ، وأنا أتردد على المعية بلا فائدة • وفى ربيع أول سنة ١٢٨٣ هـ كتبت عريضة استرحام ثانية للخديو، فصدرت ارادة سنية مآلها ان العرضحال المقدم منى عرض على الخديو وانه عفا عنى • وبناء على ذلك صدر أمره باستخدامى عند ظهور خدمة مناسبة

مما تقدم يعلم انه لم يقع منى خطأ يصح صـدور عفو عنه ، وانما كان الغرض من ذكر العفو التمهيـد لاضاعة مرتباتى مدة رفتى والتخلص من مظنة الظلم وضـياع الحقوق ، فكانت هذه المرحمة خالية من العـدل الحقيقى ٠
وعلى ذكر العدل أذكر ما وقع ليعقوب سامى باشا فى عهد سعيد باشا ، وذلك انه كان معاونا بضبطية مصر بعـد حضوره من حرب القـرم فى سنة ١٢٧١ هـ برتبـة صاغقولغاسى ، فوقع بينه وبين الضابط عبده باشا خلاف لعدم موافقته على أغراضه الدنيئة انتهى برفته من غير ذنب وكان عبده باشا رجلا شريرا لا يعبأ بفضيحة الجرائر ٠فرفع سامى باشا شكواه الى سعيد باشا فصدر أمره رحمه الله بتحقيق تلك الشكوى فى ديوان الداخلية ، ولما ظهـر من النتيجة أنه رفت ظلما أمر سعيد باشا برفت عبده باشا من الخدمات الأميرية لظلمه والزامه بمرتبات يعقوب باشا سامى من تاريخ رفته واعادة المظلوم الى وظيفته كما كان٠ فأين هذا العدل المحض من تلك المرحمة الخالية من العدالة!

احالتى الى الوظائف الملكية

لما أخذت أمر الخديو السـابق ذكره توجهت الى ناظر الجهادية اسماعيل باشا سليم وناولته اياه فقرأه ، وقال : « الحمد لله على ذلك ، فقد كنت خدعت ، وصـدقت قول خسرو باشا ، وتسرعت فى الأمر وعرضته على الخديو ،ولم أستطع بعد ذلك تكذيب نفسى عنده ، وأنا آسف عـلى ما حصـل مع علمى بما انت عليه من الذكاء والفطنـة والاستقامة ، فأرجو منك يا ولدى قبول اعتذارى » فقلت : « عفا الله عما سلف والذى أرجـوه الآن هو احالتى على مفتش الأقاليم » وكان ذلك اتقاء لشر أعدائى السـالف ذكرهم ٠ فأجابنى الى طلبى ٠ ولما عرضت أمر الاحالة على

المرحوم اسماعيل صديق باشا رحب بى وأكرمنى وأمر فى الحال بتعييني في مأمورية مؤقتة هى المحافظة على النيل بمديرية الشرقية • وبلغ نيل ذلك العام ٢٧ ذراعا فبذلت جهدى فى أخذ الاحتياطات اللازمة لرد طغيان الماء وحفظ البلاد من الغرق ، وبعد انقضاء زمن النيل أحيل على عهدتى انجاز بناء قنطرة فم الاسماعيلية بحرى قصر النيل والقنطرة البولاقية ثم انجاز سد فم رياح الترعة الاسماعيلية بالقرب من شبرا وانجاز قطع الاحجار بجهات العباسية والبساتين وطره والمعصرة وشحن الاحجار اللازمة لذلك وللقناطر الخيرية ولجميع مديريات الوجه البحرى

وفى سنة ١٢٨٤ هـ أحيل على عهدتى انجاز بناء كوبرى قشيشه العظيم على خط السكة الحديدية قبلى الواسطى وطوله ٥١٤ متر • وكوبرى الرقة بحرى الواسطة وكوبرى أطواب على فرع الفيوم ثم السكة الحديدية من المنيا الى بندر ملوى • وبعد اتمام تلك الاعمال المهمة على أكمل وجه مع مراعاة الاقتصاد فى النفقات أقمت وليمة من مالى الخاص دعوت اليها رؤساء مصلحة السكة الحديدية ورؤساء الهندسة والعمال ورجال مديرية بنى سويف احتفالا بأول قطار يمر على الكوبرى المذكور وكان يوما مشهودا • وبمراجعة الحساب كان الوفر فى المال ٢٥٠٠٠ جنيه مصرى عن طلب المقاولين الأجانب الذين حاولوا أخذ تلك الاشغال • وبسبب توفير هذا المبلغ وسرعة انجاز البناء والتركيب واحكام الأعمال على أحسن ما يرام كوفىء ناظر الدائرة الخاصة قاسم باشا رسمى بخمسة آلاف جنيه م • ولم يكن سوى واسطة للمخاطبات بينى وبين مصلحة السكة الحديدية • وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى

فيا لله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس

الحساسة الشريفة • وما أكثر العجائب فى الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة ••!

عودتى الى الخدمة العسكرية

وفى أوائل سنة ١٢٨٧ عين قاسم باشا المذكور ناظرا للجهادية وهو رجل رومى بارع فى الاشغال الحربية والملكية نشيط فى كل أعماله • وكان يعرف قدر أعمالى واقتدارى مدة انشاء الكبارى السابق ذكرها • فطلبنى وكلفنى بالرجوع الى خدمة الجهادية، فأجبته الى ذلك وترتبت قائمقاما فى ٣ جى ألاى بالاسكندرية • وفى سنة ١٢٨٨ هـ انتقلت الى رئاسة الآلاى الثانى البياده ، ولكن برتبتى من غير ترق • وفى أواخر سنة ١٢٩٠ هـ توجهت بالآلاى المذكور الى رشيدبطريق البر على شاطىء البحر الأبيض المتوسط• وفى أوائل السنة المذكورة أحيل ديوان نظارة الحربية الى عهدة الأمير حسين كامل باشا بن اسماعيل باشا الخديوى• وصار فتح فرقة ثانية وثالثة فى الجيش مكملة من الاسلحة الثلاثة أعنى بياده وسوارى وطوبجية وصار ترقى الضباط اللازمين لذلك استعدادا للحملة الحبشية المشؤومة • وبعد اختيار المختارين للفرقة الثانية من الذين ترقوا بحضرة الأمير حسين قال للذين تأخروا عن الترقى : « اجتهدوا أيها الضباط فى التعليم والتمرين حتى تدركوا ما وصل اليه اخوانكم الذين ترقوا »

والله يشهد وفطاحل الجهادية ان المتأخرين فى الترقى هم أساتذة الذين ترقوا فى العلوم الحربية • وهم أرقى أخلاقا وأدبا كحسين مظهر أفندى البكباشى الذى ترقى فى عهد توفيق باشا الى رتبة باشا وقتل فى حملة (هكس الانجليزى) عند محاربة المهدى السودانى • وعلى فهيم البكباشى • ومتولى حافظ البكباشى • ومحمد على أفندى البكباشى• ومحمد الدرى أفندى البكباشى • وسعيدناصف

أفندى البكباشى ، (وقد قتلوا فى الحمـــــلات الحبشية والسودانية) • ولكن الغرض يعمى ويصم •• ثم التفت الأمير الىّ وقال بلهجة الآسف :

« انى طلبت من أفندينا ترقيتك الى رتبة الميرالاى فقــال انك من بتوع سعيد باشا » • فقاطعته الكلام وقلت : «انى لست بتاع أحد بل خـــادم الحكومة والوطن وبلدى هرية رزنة بمديرية الشرقية • ولكن بتاع سعيد باشا هو راتب باشا لأنه ملكه » فقال لا تفتر همتك فى تأدية واجباتك ، وانى سأبذل جهدى فى ترقيتك عند ترتيب الفرقة الثالثة• فشكرت له وخرجت وأنا شاعر بأنى لن أنال خيرا فى عهد والده لأنى متحقق من أن خسرو باشا وراتب باشا ورؤساء الجراكسة يعارضون فى ترقيتى بكل ما فى قدرتهم • وقد سمعت من أحد أمرائهم (وهو رجل معتدل غير متعصب لبنى جنسه على ما فيه من غلظة) أنه حضر مجلسا لأولئك الجراكسة حيث تذاكروا فى اختيار الذين يريدون ترقيتهم الىالفرقة الثالثة • فعرض عليهم ترقيتى الىرتبة الأميرالاى مراعاة للحق والانصاف فأبوا عليه ذلك فقال لهم : « ربما ترقى قهرا عنكم يوما ما اذا لم يرتق برضائكم وإختياركم• وأنتم تعلمون أنه أقدم القائمقات وأعلمهم • وفيكم من كان تحتأمرته • فالأولى بكم أن لا تعرضوا أنفسكم للانتقاد». ولكنهم لم يزدادوا الا عتوا ونفورا

ولما ترتبت الفرقة الثانية والثالثة وتم ترقى الضباط ، لم يقدر ناظر الجهادية الأمير حسين كامل باشا على الوفاء بوعده لاصرار السردار راتب باشـــا على رفض ترقيتى • ومن الغريب أن الآلاى الذى تحت ادارتى ظل خاليـــا من ضابط من رتبة الأميرالاى مدة ثمانية أعوام • وكنت أنا القائم بوظيفة الأميرالاى بأحسن نظام وأكمل تربية وأدق تعليم وأحسن هيئة عسكرية : فما أوضح هذا الظلم المبين

في الحملة الحبشية

بدء الحملة

فى سنة ١٢٩٢ هـ بدأت الحملة الحبشية بالسفر الى مصوع بعد قتل الثلاث أورط التى قام بهـا أراكيل بك الأرمنى محافظ مصوع . وكان معه يومئـذ البكباشى على رائف والبكباشي احمد فوزى والبكباشى احمد سعيد قومندان الطوبجية والبكباشى عمر رشدى أركان حرب ٠فأغار على حدود الحبشة من جهـــة ستهيت وفرق العساكر فرقا صغيرة وسار بهم الى اقليم أسمره ٠ فأحاط بهم الاحباش وأفنوهم عن آخرهم ومثلوا بالقتلى . وجبوا مذاكير من سلموا من القتل من العساكر المصرية . وكذلك ذبحت الفرقة التى أرسلت مع مسنجر بك الانجليزى الى تجـره ومنها الى الملك منليـك ملك (شوا) بطريق قبيـلة الحنفلى بقصد الهجوم على الأحبـاش والتغلب على بلاد يوحنـا بمساعدة منليك الذى صار أمبراطورا بعد قتل يوحنا بيد الدراويش السودانيين : فلما قرب مسنجر بك من حدود (شوا) قام شيخ قبائل الحنافل برجاله وباغت العساكر المصرية ليلا وهم نيام فذبحهم عن آخرهم وأخذ أسلحتهم وذخائرهم وجميع ما معهم من الهدايا الثمينة المرسلة الى منليك . فلما جاءت هـذه الأخبـار الى مصر عظم الأمر واشتد غضب الخديوى اسماعيل باشا ٠ فأمر بارســال الجيش المصرى المركب من ثلاثة فرق الى الحبشة بطريق البحر الاحمر الى مصوع وعهد بقيادة الجيش الى راتب باشا سردار العساكرالمصرية،وأمر هذا القائد العام أن يكون مقيدا برأى أركان حربه الجنـرال لورنج وهو أمريكانى

لا يعرف الفنون العسكرية ، وانما كان رئيس فرقه فى الحرب الامريكية من ضمن الفرق الغير المنتظمة أى (المتطوعين) . وكان أكثر رجال أركان الحرب الذين معه من بنى جنسه ، فكان هذا الترتيب سبب الفشل الذى حاق بالمصريين فى تلك الحملة . وقد عسكرت العساكر المصرية بقرية حرفيقوا فى جنوب مصوع على بعد خمسة أميال وقرية أم كللو غربى مصوع على بعد ستة أميال وقرية حطملوا فيما بين مصوع وأم كللو . ولعدم وجود ماء لهذا الجيش العرمرم اشتغل كل فريق بحفر الآبار فلم يجدوا ماء الا ما يكفيه ثلاثة أيام ثم يصير الماء ملحا

ولما كنت مأمور الحملة وفى عهدتى عشرة آلاف حيوان من الجمال والخيل والبغال . (وأغلبها أخذ من المصريين غصبا بلا (ثمن) وكذلك العلف من الشعير والفول والذرة والتبن (الذى أخذ من المصريين بلا عوض غير الوعود الكاذبة بخصم الأثمان من الضرائب المطلوبة منهم . وتلك الضرائب لا نهاية لها ولا يمكن لأى حاسب أن يعرف ما له وما عليه لكثرة الضرائب غير القانونية) ولعدم وجود الماء الكافى لهذه الحيوانات ، أمرت بحفر بئر فى قرية أم كلو لبعدها عن البحر . وبعد حفرها ظهر ينبوع ماء عذب سائغ شرابه وماؤه كثير لا ينقطع ولا يتغير . فأمرت ببنائها بالحجر بناء قويا . وبناء حوض بجانبها امتداده ثلاثون مترا وعرضه متران لشرب البهائم المذكورة . وأقمنا على البئر ساقية حديدية استحضرت من مصر وأجرينا الماء فى مواسير استحضرت لهذا الغرض من مصر أيضا الى جزيرة مصوع حيث عمل فيها حوض كبير مستدير لسقيا أهل البلد ومستخدمى المحافظة ولا ريب فى أنها باقية أثرا عظيما يعرفه سكان تلك البلاد الذين أصبحوا فى راحة عظيمة من عناء طلب الماء من الجيران البعيدة ، أى مجارى السيل

مكث الجيش مقيما فى مضاربه مدة ثلاثة أشهر بغير عمل ولا تدريب . وفى تلك المدة كان الخديو يرسل كثيرا من الطرشى (أى المخلل) والفجل والبصل والكرات خشيه حدوث داء (الاسكربوط) وكان جميع الرؤساء من امراء الآلايات والبشوات من العنصر الجركسى الا واحدا يدعى محمد بك جبر وكان مصريا . وهذا لا رأى له فى الأمر . وقد كانوا يحسبون للحبش ألف حساب ويتهيبون من لقائهم . ويظنون أن طول المكث فى مصوع وما حولها يحمل الحكومة المصرية مصاريف باهظة تعجزها عن القيام بنفقات الجيش اللازمة له الى النهاية فترجعهم الى مصر بلا قتال . وهذا الفكر الضئيل سمعته من أحد الأمراء المشار اليهم وهو ناقم مشفق من النتيجة

الزحف على بلاد الحبشة

قلق الخديو اسماعيل من طول المكث في مصوع ونواحيها وشدد على القائد العام راتب باشا ورئيس أركان حربه بسرعة الزحف على البلاد الحبشية والانتقام منها لما وقع منهم من الأعمال الوحشية والتمثيل بالقتلى والأسرى كما ذكر . وقد أرسل ابنه حسن باشا ليشهد الحركات الحربية ويتدرب فيها ولا وظيفة له فى الجيش غير ذلك . فانقطعت وتيرة كل تقاعس ، وصدرت الأوامر بالشروع فى الزحف وأمرني رئيس الجيش راتب باشا بأن أسلم كل آلاى خمسين جملا لحمل ذخيرتهم الحربية وخيامهم ومؤونتهم . فقلت له: « انه من الضرورى أن يكون مع كل آلاى عشرة جمال خالية من الحمل حتى اذا ضعف بعض البهائم عن السير استبدل بغيره » . فقال لى : « لا تفعل ذلك ودع كل دابة تتأخر بحملها لا ترجع » . فتعجبت لذلك الأمر ، ولكن لم أراجعه . ولكى يتحقق من نفاذ أمره أمر اثنين من معاونيه

ـ أحدهما يدعى عبد الله الكردى البكباشى ، والآخر يدعى رجب صديق البكباشى الجركسى ـ بأن يقفا فى باب الممر عند الشروع فى السير ولا يتركا دابة تمر بدون حمل

سافرت الفرقة الأولى بقيادة أمير اللواء عثمـــان رفقى باشا وسافر معها راتب باشا القائد العام وأركان حـــربه ليلا فى أول يوم من شهر أغسطس ســـنة ١٨٧٦ • وفى ضحوة ذلك اليوم سرت على آثارهم بحملة قدرها خمسمائة دابة محملة مؤونة وعلفا ، وأورطة من العساكر بقيـــادة البكباشى فرج عبد العال المشهور (بالدكر) • فلما بعدنا عن مركز ام كلو بنحو ستة أميال وجدت الجمال والخيـل والبغال السابق ارسالها مع الفرقة الأولى منتشرة على رؤوس الجبال وبطون الأودية بأحمالها • بعضـــها يرتع ويرعى وبعضها مشتبك فى شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان • وبعضها خلع أحماله من الجبخانة والبقسماط والتبن والشعير والفول • فلما رأيت ذلك هالنى الأمـــر وقلت فى نفسى هذا ما خشيت وقوعه ، وهـــذا ما أراده القائد العام برفضه ما عرضته عليه من قبل • فأمرت الحملة بالوقوف عن التقدم وأمرت قائد الأورطة الحامية للحملة بسرعة جمع الدواب المنتشرة بأحمالها • وفى أثنـــاء ذلك مر علينا الأمير حسن باشا بن الخديو بمن معه من معاونيه وخدمه ، وشاهد ذلك بنفسه • فلما سألنى عن تلك الحالة أخبرته بحقيقتها • فتركنى وسار ليلحق بالفرقة الأولى • وعند جمع البهائم المنتشرة بأحمالها وجدنا نحن خمسين حملا من البقسماط مبعثرا هنا وهناك ، وتبين أن فرقة الجمالة التى أتت من سواكن هى التى ألقت أحمالها وفرت بجمالها •ومن حسن الحظ أن كان بالحملة خمسون جمـلا خاليا من الأحمال كاحتياطى • فحملناها الميرة ، ثم واصلنا السير الى الأمام • وكنا نجد بين فترة وأخرى بغلا محملا

جبخانة أو جملا متروكا بحمله فنأخذه معنا ، حتى انتهينا الى أرض مسبعة بعد اجتيازنا عقبة (نيقوص) حيث وجدنا فى مجرى السيل منها حفــائر ماء فبتنا فيها وســـقينا الدواب . وهى على بعد ثلاثين ميلا من أم كلو . وماؤها عذب وهواؤها لطيف وفيها ينبت شجر (القفل) ولأوراقه رائحة زكية . وفى اليوم الثانى توجهنا الى خور (بعرظا) فوصلناها بعد العصر . وقد استقبلنا كثير من عســاكر الفرقة الأولى التى كانت قد عسكرت على شاطىء هــذا الخور ، وشكوا الينا الجوع لعدم اعطائهم القوت الكافى حيث كان لا يصرف للنفر أكثر من مائة درهم من البقسماط ، ومائة درهم من اللحم البقرى فى اليوم الواحد

فصرحت لهم بالأكل حتى يشبعوا على أن لا يأخذوا معهم شيئا وأقمنا هناك حتى أتت الفرقة الثانية بعد ثلاثة أيام، وقامت الفرقة الأولى الى (قياخور) ثم قامت الفرقة الثانية بعد ذلك الى قياخور أيضا ، ومنها الى (قرع) بفتح الراء وصدر لنا الأمر باتخاذ (بعرظا) مركزا متوسطا للحملة والمؤن والذخائر الحربية بين مصوع وقرع . وعسكر القائد العام بالفرقة الأولى وقائدها راشد باشا راقب فى قرع واختط فيها قلعة خفيفة . وكذلك فعل عثمان رفقى باشا بفرقته فى قياخور . وأقاموا على ذلك أربعين يوما ويوما بلا عمل . فلم يستكشفوا ما حولهم من الأودية والحيران والجبال المنقطعة ، حتى ولم يضع رئيس أركان الحرب رسما لذلك لمعرفة أبعاد المواقع المناسبة لاتخاذها ميدانا حربيا ، وفى تلك المدة كانت الذخيرة ترسل يوميا الى قرع لاتخاذها مركزا عاما استعدادا لامداد الجيش اذا تقدم الى مدينــة (عدوى) عاصمة مملكة الملك يوحنا حتى صارت زكائب البقسماط فى داخل الاستحكام كالبروج المشيدة العظيمة، ومع ذلك كان القائد العام يأمر بمشترى كثير من الدقيق

والشعير من سوق الأحباش • كل هذا والعساكر لا يعطى لهم الا نصف المرتب من البقسماط مع أن النفر كان يعطى بأمر أركان الحرب مائة درهم من اللحم البقـــرى أى ثلاثة أمثال المقرر له من اللحم ، حتى فشـــــا فى الجيش داء (الدوسنتاريا) أى الاسهال الشـديد مع الزحير المؤلم • ولولا جودة الهواء لهلكت العساكر من الجوع والاسهال

وكان أحد القسس الفرنســــاويين المبشرين فى بلاد الأحباش يتردد كل يوم على رئيس أركان الحرب الجنــرال لورنج الأمريكى مستطلعا أحوال الجيش المصرى حتى علم بمقداره واتفق معه على الحركة الحربية التى تكون ســـببا لهلاك الفرقة المصرية عند الصـــــدمة الأولى ، وكان يبلغ معلوماته فى كل يوم الى الملك ، فحشد هذا الملك جيشه وكان عدده ينيف على الثلاثمائة ألف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال على حسب عادتهم فى الدفاع عن كيان بلادهم • وأتى على مقربة من الجيش المصرى المعسكر فى قرع ، وفى ١٢ سبتمبر من السنة المذكورة قمت بآخــر حملة من مركز بعرظا وكان معنا ثلاث أورط بقيـــادة أمير اللواء راشد باشا كمال حتى وصلنا الى عقبة (بمبا) وهى عقبة صعبة الرقى مرتفعة عن سطح البحر بمقـــدار ثلاثة آلاف قدم لا يمكن للراكب أن يجتازها على ظهر جواده أو مطيته بل لا مناص له من أن يتـــرجل ويمشى على قدميه لصعوبة الرقى والهبوط، ولا تمر الدواب فيها الا الواحدة بعد الأخرى • فاجتزناها بكل صعوبة بعد أن سقط بعض الجمال بأحماله من أعلى العقبـــة الى حضيض الوادى • ثم تابعنا السير حتى وصلنا الى خور عدرسا (والخور عبارة عن مجرى السيل فى منخفض من الوادى) ، فبتنا هناك حيث وجدنا على شاطئه غابات من نخل البلح قيل انها من آثار عساكرالسلطان سليم الذين أكلوا التمر وألقوا بنواته

فى شاطىء الخور المذكور : وفى يوم ١٣ منه قمنا من تلك المحطة وسرنا الى الأمام حتى وصلنا الى (سهل عالا) وهو سهل واسع كثير الأشجار وهناك سمعنا دوى المدافع المتتابع وعلمنا بوقوع الحرب • فأسرعنا فى السير حتى وصلنا الى قلعة السلطان سليم الكائنة على سفح جبل قياخور بعد غروب الشمس بساعتين • وكانت قد انقطعت أصوات المدافع • فحططنا الرحال وهيأنا الطعام للعساكر والعلف للدواب وبعد الاستراحة استأنفنا السير ليلا ، فارتقينا عقبة قياخور فى ساعتين ووصلنا الى فرقة قياخور التى كان رئيسها أمير اللواء عثمان باشا رفقى • فتقدمنا منه وهو جالس يصطلى النار الموقدة أمامه من شدة البرد• وسألناه عن الحالة فأجابنا وهو فى حيرة واندهاش عظيمين بأن فرقة قرع هلكت عن آخرها (وكانت مركبة من سبع أورط بيادة وبطاريتين طوبجية) فأحزننا هذا الخبر المفجع وجلسنا معه الى نصف الليل حيث جاءت اشارة ضوئية بأن راتب باشا وحسن باشا ابن الخديو وجميع رجال أركان الحرب الأمريكيين وصلوا الى مركز الفرقة سالمين ، وأما راشد باشا راقب والأميرالاى محمد جبر وبقية الضباط والعساكر فقد استشهدوا فى المعركة ومن سلم منهم أخذ أسيرا ، ولم يبق فى المركز الا أورطة واحدة من العساكر المستجدة كان لا يزيد سن أحدهم عن خمس عشرة سنة • وفى يوم ١٤ من الشهر المذكور أطلق الأحباش قنابل المدافع المصرية التي اغتنموها بالأمس على مركز العساكر المصرية ، ثم هجموا هجوما شديدا على القلعة المذكورة وتسلقوا جدرانها بشجاعة عظيمة وكانوا يدوسون قتلاهم وجرجاهم ولا يبالون بالموت ، الا أن عساكر الأورطة المستجدة وضباطهم وراتب باشا ومن معه من المعاونين أبلوا بلاء حسنا فى ذلك اليوم وردوا الأحباش

على أعقابهم خاسئين مدحورين • وقد شوهد راتب باشا وهو يصب نارا حامية بيده على الأحباش الذين حاولوا الصعود الى قمة القلعة • وكان على الروبى البكباشي السوارى يطوف القلعة مرارا يحثهم ويشجعهم على المقاومة والمدافعة عن الشرف والنفس حتى ملئت الخنادق وما حولها بجثث الأحباش ، وكان عدد القتلى منهم يزيد عن عشرين ألفا ، ولما رأى الأحباش من هذه الورطة ما رأوا مما لم يكن لهم فى حساب ضعفت نفوسهم وندموا على هجومهم وتحولوا بعددهم وعديدهم ومن معهم من الأسرى المصريين من قرع الى مركز آخر داخل بلادهم

خيانة أركان الحرب الأمريكيين الموظفين فى الجيش المصرى

يذكر المطلع على ما سبق أن أحد المبشرين الفرنساويين كان يتردد فى كل يوم على الجنرال لورنج رئيس أركان الحرب ، الذى وضع الخديو اسماعيل ثقته فيه • وكان القسيس المشار اليه ينقل أخبار الجيش الى الملك يوحنا ، ويعرفه بما دار بينه وبين الجنرال المذكور من الاتفاق • فلما علم الجنرال بأن الملك يوحنا فرغ من ترتيب جيشه على مقربة من قياخور طلب من القائد العام الخروج من قلعة قرع فى صباح يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فخرجت سبعة أورط بيادة وبطاريتان طوبجية الى النقطة التى اتخذت ميدانا للقتال ، وهى على بعد ميلين من قياخور • وكان ترتيب الأورطة البيادة على شكل طابور والطوبجية على اليمين • ووراءهم جبل وأمامهم خور عميق لا ماء فيه كأنه خندق طبيعى • وكان هذا الخور ملتفا حول الجبل من الميمنة والميسرة • فظنوا أنهم بهذا الخور فى حرز منيع من هجوم العدو عليهم • وكان (مكلس بك الطليانى) من أركان

الحرب قد توجه من قبل بالأورطة الأولى من آلاى عثمان بك غالب وبكباشيها أحمد أفندى شعبان وعسكر خلف الجبل المذكور بحيث لا يرى ميدان القتال ولا يعلم سبب وضع أورطته خلف ذلك الجبل

واستعد جميع أركان الحرب الأوربيين والأمريكيين للملحمة فألقوا جانبا طرابيشهم الرسمية ولبسوا قبعاتهم ثم ربطوا في أعناقهم مناديل بيضاء اشارة الى أنهم مسيحيون ليأمنوا على أنفسهم الخطر عند اختلاط الجيشين على حسب الاتفاق مع القسيس السابق ذكره

وبعد أن أخذ كل من الجيشين مكانه ورتب رجاله • ابتدأ جيش الحبش باطلاق المدافع • وكان معه ثمانية مدافع كانت أهديت الى الملك يوحنا من رئيس الحملة الانجليزية مكافأة له على مساعدته الانجليز فى محاربة الأحباش فى عهد الملك (تيودور) الذى انتحر فى قلعة (مجدلة) بعد انخذال جيشه • وخلفه يوحنا فى ملك الحبش مع انه لم يكن من بيت الملك بل كان رئيسا للاشقياء وقطاع الطرق• وكان معه كذلك ستة مدافع مصرية غنمها فى هجومه على اراكيل بك كما سبق بيانه • فأخذت الطوبجية المصرية فى قذف الأحباش بنار حامية • وعندئذ قسم الملك يوحنا جيشه الى ثلاثة أقسام فذهب قسم الى خور يخفيه عن عدوه ثم دار على يمين المصريين بالأسلحة البيضاء • وقسم ذهب الى شمال المصريين فى خور أيضا ومعه الحراب والسيوف • وقسم مسلح بالبنادق قصد القلب مستترا بالاشجار الملتفة والحيران المتشعبة • جرى كل هذا تحت نيران المدافع • ولم تكد تقرب الأحباش من العساكر المصرية حتى أطلقوا عليهم نارا شديدة • ثم اشتبك الجيشان فى قتال عنيف هجمت فيه ميسرة الحبش على ميمنة المصريين بالسلاح الأبيض من خلفهم بقوة عظيمة فأفنوا رجال الطوبجية فى

طرفة عين، واختلطوا بالآلاى الأول اختلاطا هائلا فانهزمت العساكر المصرية وسلموا ظهورهم لحراب العدو واندفعوا الى الشمال بدون انتظام

وأحاطت الأحباش بأورطة أحمد أفندى شعبان التى خلف الجبل على حين غرة . فقاتل برجال أورطته قتال الأبطال حتى فرغت ذخيرتهم الحربية . ثم قاتلوا بالسونكى (أى حراب البنادق) حتى ضعفت قواهم وخارت عزائمهم واشتد بهم العطش فأفناهم العدو عن آخرهم . وكان رصاص بنادق الأورطة المذكورة يصل الى خط القتال فأصاب كثيرا من المصريين من بينهم المرحوم راشد باشا راقب رحمه الله تعالى . أما محمد جبر حكمدار الآلاى الأول ، فقد انضم الى أورطة البكباشى محمد أفندى على الذى ثبت فى مكانه ، ورتب أورطته على شكل قلعة وقاتل الحبش بشجاعة مدهشة حتى فرغت ذخيرتهم الحربية فاستعملوا حراب بنادقهم حتى خارت قواهم واختلط بهم الأحباش حتى أفنوهم جميعهم رحمهم الله تعالى

وأما باقى الأورط فكانت مندفعة فى هزيمتها كالسيل الجارف والسيف يعمل فى أعناق رجالها من خلفهم . ومن ألقى بنفسه فى الخور المذكور قتله الحبش من القسم المعين للميسرة . وما زالوا كذلك حتى أفنوهم عن آخرهم الا من كان على رأسه قبعة أو فى عنقه منديل من أركان الحرب أو من أسرع به جواده كراتب باشا وحسن باشا بن الخديو

واغتنم الأحباش الاسلحة والذخائر الحربية والأموال وملابس العساكر وما معهم من حلى وساعات ونقود ، بعد أن قتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا

□

ومما يحمر له الوجه خجلا مرور الأحباش فى أثناء

هجومهم أمام فرقة قياخور بحيث تصل اليهم مقذوفات المدافع المصرية وتمنعهم من التقدم ومع ذلك لم تطلق عليهم مقذوفة واحدة ولم تخرج البيادة الى الميدان لتساعد اخوانهم وتنقذهم من الفناء المحدق بهم

وأدهى من ذلك أن البكباشي خسرو أفندى كان طليعة بأورطة خارج القلعة ، فلما رأى تقدم الأحباش أراد أن يعترضهم فمنعه عثمان باشا رفقى قومندان نقطة قياخور من ذلك وأمر برجوعه ودخوله القلعة وهم ينظرون الى اخوانهم حتى تم فناؤهم • مع أنه كان فى امكان عساكر قياخور الهجوم على ميسرة الأحباش وتبديد شملهم لو أدوا واجباتهم الحربية

لقد كان ترتيب الأحباش على هيئة مقعر حربى لا يتأتى لأعظم قائد حربى أن يأتي بأحسن منه • وكان وضع العساكر المصرية على الهيئة المذكورة من غير وضع حاميات للأجنحة لصد العدو عن الميمنة والميسرة ، فكانوا كمن أوقع نفسه فى مضيق لا مخرج له منه الا بالقتل أو الاسر• وتلك نتيجة مخالفة أمر الله تعالى حيث يقول : « ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم » وانتهت تلك الحملة التى سببها الطمع بالخيبة والفشل • ثم العودة الى مصر بعد عقد الصلح مع الملك يوحنا بمعرفة البكباشى على أفندى الروبى الذى رجع الى مصر وترقى الى رتبة أميرالاى

ثم أوفده الخديو بعد ذلك الى يوحنا ملك الأحباش بهدايا ثمينة • وفى مدة اقامته عند الملك المذكور كان الأحباش يشترون منه الريال (أبو طيره) بجنيه ذهب من النقود المسلوبة من القتلى والأسرى وحصل منهم بهذه الطريقة على مبلغ وافر لأنهم لم يكونوا يعرفون العملة الذهبية ولا قيمتها

ولماتم خذلان الحملة المصرية رجعت الى مصوع وتركت

البلاد الحبشية التى كانت احتلتها ، ثم عادت الى مصر فلم تلق فيها غير وجوه عابسة • وكان الخـــديو قد عزم على محاكمة القائد العام والباشوات وأمراء الآلايات ، ولكن اتفق اذ ذاك أن هجم حسن شركس مملوك المرحوم السلطان عبد العزيز على مجلس الوزراء فى الآستانة العلية وأطلق عليهم الرصاص من مسدسه فقتل أحمد باشـا القيصرلى وغيره ثم قبض عليه وحوكم وقتل

فخشى الخديو أن يصيبه مثل ما أصاب القيصرلى اذا أصر على محاكمة قادة جيشه الجراكسة ، فغير عزمه وبش فى وجوههم ووضع بيده النياشين فوق صدورهم • ثم كانت الحرب البلقانية بين الدولة العلية وبين الصرب والبلغـار ورومانيا وروسيا • فأمدت مصر الدولة العلية بعساكرها تحت قيادة حسن باشا بن الخديو وراشد باشا حسـنى وانتهت تلك الحرب بمعاهدة (استفانوس) ثم بمعـاهدة برلين المشهورة • ثم رجعت العساكر المصرية الى مصر

مكيدة اسماعيل وعزل الوزارة المختلطة

فى أوائل سنة ١٢٩٦ الهجرية صدر لنا أمر بالحضور من رشيد الى العاصمة وتسليم الاسلحة والمهمات وصرف العساكر الى بلادهم ، فحضرنا وكنا ثلاثة آلايات بيـادة ، فسلمنا المهمات فى يوم وصولنا ، وفى صباح اليوم الثانى ذهبت الى منزل محمد بك النادى الذى كان قد حضر بآلايه من رشيد معنا • فما اسـتقر بنا الجلوس حتى جاء أحد ضباط آلايه برتبة يوزباشى يدعى أحمد أفنـدى نجم ، وأخبرنا بأن تلاميذ الحربية وبعض الضباط أحاطوا بالمالية، فجاءت عساكر برنجى آلاى وأطلقت النار عليهم فشـغلنا ذلك وأرسلنا أحد الضباط ليأتينا بحقيقة الأمر • ولما عاد أخبرنا بحقيقة تلك الحركة وهى ان الخديو اسماعيل باشا

اضطرب وقلق قلقا شديدا من ضغط الوزارة المختلطة التى كانت برئاسة نوبار باشا وعضوية رياض وعلى مبـــارك والسير ولسن الانجليزى ودى بولونيير الفرنساوى وأراد أن يتخلص منها ويسقطها فأوعز الى جاهين باشا كنـــج (صنيعته المشهور) بخلق تلك الحركة الصبيانية ، وهذا حمل صهره لطيف بك سليم الضابط بالمدرســـة الحربية على أخذ التلاميذ والذهاب الى المالية بمن ينضم اليهم من الغوغاء فيصيحوا متظاهرين بالتظلم من عدم صرف مرتباتهم المتأخرة من مدة عشرة أشهر ، وينســـبوا ذلك التأخير الى الوزارة المذكورة ويطالبوا بسقوطها تخلصا من الأوربيـين الذين كثر استخدامهم فى مصالح الحكومة المهمة ذات الايراد العظيم كالجمارك وميناء الاسكندرية والســـكة الحديدية والتلغرافات والدائرة السنية ومصلحة الدومين وصـندوق الدين ومصلحة المساحة وما شاكل ذلك . (وكانت كل مصلحة من هذه المصالح تعتبر نفسها كأنها حكومة مستقلة) فذهب لطيف بك ومن معه من الضـــــباط الذين أضاع صوابهم الفقر والجوع الى المالية وصـاحوا قائلين اصرفوا لنا حقوقنا من هذه الأموال المتراكمة فى خزينة المالية . وقد صفع بعضهم ولسن ونوبار وحقر رياض باشا وعـلى مبارك . وعندما خرجت تلك الألعوبة من مركزها وتعاظم خطرها جاء الخديو بنفسه الى المالية ومعه أميرالاى الحـرس الخديو على بك فهمى المشهور (بالذئب المصرى) بأورطة من آلايه وحال بين المالية وبين أولئك المتجمهرين من التلاميذ والغوغاء . وأمر الخديو بضرب الرصاص على المتجمهـرين حين رأى عبد القادر باشا حلمى رئيس معاونيـــه مضروبا بسيف على يده من أحد الضباط الذين تطاول عليهـــم ، وضربهم وكزا ببندقية أحد العســاكر . الا أن الأميرالاى المذكور أظهر حزما ونظر فى عواقب الأمور فأمر العساكر

باطلاق أسلحتهم فى الفضاء • ولولا ذلك لكانت النتيجة وبالا على الخديو ، ومن معه لأنه أمر بقتل أناس كثيرة يطلبون حقا لهم مهضوما • ثم انصرف المتجمهرون حانقين وهاج الضباط فى جميع الآلايات ، واتفقوا على وجوب عزل هذا الخديو ، واعتلاء ولى عهده توفيق باشا مسند الخديوية المصرية • فلما علم الخديو بذلك ذهب الى مركز كل آلاى على حدته وطيب خواطر الضباط ووعدهم بصرف حقوقهم المتأخرة وعزل الوزارة المذكورة ، ثم عزلها فعلا وعهد بالرئاسة الى اسماعيل باشا راغب

من ظلم الخديو اسماعيل

لما تخلص الخديو اسماعيل من ضغط الوزارة المختلطة خشى تعصب أوربا عليه وانتقامها منه ، فأسند تلك الألعوبة الصبيانية الىّ والى محمد بك النادى وعلى بك الروبى من أمراء الجيش • وقد طلبنا رئيس التشريفات عبد القادر باشا حلمى وأخبرنا بأن الخديو علم بأننا هيجنا التلاميذ والضباط وأغويناهم على الاحاطة بالمالية ، وانه سيجرى تحقيق ذلك ، فان ثبتت ادانتنا عوقبنا بالعقاب الواجب • ثم صار يهددنا تارة ويعدنا بالسلامة تارة أخرى • فأجبناه بأننا حضرنا أمس من رشيد وكنا مشغولين بتسليم الاسلحة والمهمات الى مخازن الحربية وصرف العساكر الى بلادها حسب الأمر الصادر الينا • ولا علم لنا بتدبير تلك الحركة أصلا فكيف يتصور منصف اننا نستطيع اهاجة تلاميذ الحربية وغيرهم على ذلك العمل الخارج عن حدود الحكمة والروية فى ليلة واحدة •• فتبسم ضاحكا لأنه يعلم ان الحركة كانت بارادة الخديو وتدبير جاهين باشا كما ذكر آنفا •• وكذلك طلبنا مأمور الضبطية محمود سامى باشا البارودى وأخبرنا بما أخبرنا به عبد

القادر باشا حلمي فأجبناه بمثل ما أجبنا به من قبله وانصرفنا ، وقد آنست فيه تأففا من الظلم والاستبداد وميلا مع العدل والدستور • ثم عقد مجلس عسكرى فوق العادة تحت رئاسة الجنرال ستون الأمريكى رئيس أركان حرب وعضوية حسن أفلاطون باشا ومحمد باشا المرعشلى رئيس هندسة الاستحكامات ، وكانوا كلهم يعرفون الحقيقة • فلما سئلت بالمجلس المذكور أجبت بنفى التهمة عنا ، وأبنت أن ترتيب حركة الاحاطة بالمالية يقتضى لهمدة لا تقل عن شهر • وفى تلك المدة كنا فى رشيد • والمدارس الحربية ليست تابعة لنا ، ولا هى مقيمة معنا ولا كان أحد من ضباط آلاينا موجودا فى تلك الحركة ، على انه لو فرض وجود أحد منهم فيها فهو غير ملوم لأن نساء الضباط وأولادهم فى العباسية بلا مأوى ولا دراهم فى أيديهم ينفقون منها على عائلاتهم • ولا خبز ولا تعيين يصرف لهم • ثم انتهى التحقيق وأسدل عليه الستار

وكنت طلبت من السردار راتب باشا صرف جراية وتعيين لتلك العائلات التى أحضرت من رشيد فلم يصغ الى ولم يهتم بطلبى ولكن طلب بعد ذلك جميع ضباط الآلايات من رتبة البكباشي فصاعدا الى سراى عابدين ، وكان الاجتماع عظيما فى القاعة الكبرى بالدور الأعلى ، وجاء الخديو يتلطف بكل واحد منهم ويعده خيرا • وفى ذلك الاجتماع كان ترتيبى وترتيب النادى بك والروبى بك بمعية الخديو بوظيفة ياوران • فتكلفنا ما يلزم لزى الياوران من النفقات الطائلة على غير جدوى

أمور يضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها اللبيب

ثم بعد أسبوع تعين علي الروبى بك رئيسا لمجلس مديرية الدقهلية وتعين محمد النادى بك قائدا للآلاى الثانى البيادة المستجد وأرسل الى الاسكندرية بآلايه •

وتعينت قائدا للآلاى الرابع المستجد أيضا ولكن برتبة القائمقام . ولما تم حشد عساكر الآلاى المذكور طلبنى ناظر الجهادية وأمرنى بالذهاب الى راغب باشا . فلما توجهت اليه قال لى : « ان أهالى مديرية جرجا وأسيوط انتخبوك نائبا عنهم فى تسليم سبعمائة ألف أردب قمح وفول وشعير الى بنك (منشا وقطاوى وبنك ايجيون وابراهيم بيجه) بالاسكندرية » فقلت له : « ولم انتخبونى لذلك ؟» . قال : « لأمانتك » فقلت : « وكيف ذلك وهم لا يعرفوننى ؟ » فقال : « انهم سألوا عنك وعرفوك »

والحقيقة هى أن الحكومة كانت تداينت من البنكين المذكورين بنصف مليون جنيه مصرى لسداد بعض أقساط دين بنك (رتشلد) على أن يتسلما سبعمائة ألف أردب من غلال جميع مديريات الوجه القبلى من الفيوم الى قنا واسنا . (بدعوى ان هذا الدين على الأهالى بضمانة الحكومة) وما كان انتخابى لتأدية تلك المهمة من الأهالى حقيقة بل كانت رغبة من الخديو لابعادى عن مركز الآلاى كما صار ابعاد الروبى الى المنصورة والنادى الى الاسكندرية فتوجهت الى الاسكندرية وأنجزت المطلوب بكل أمانة واستقامة حتى أعجب مديرا المصرفين المذكورين بشدة تمسكى بالعدل والانصاف وارتاحا الى ماقمت به من الاستلام والتسليم . وقد توفر للحكومة نحو ٢٠٫٠٠٠ أردب فرق كيل وفرق معدلات ولو شئت لأغمضت عينى وسلمت الرسائل كما وردت لمخازن التجار وربحت ما يساوى قيمة الوفر أو ما يقرب من ذلك ، ولكن هو الشرف لا يعادل بمال

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سمعنا ضرب المدافع بالاسكندرية اعلانا بعزل اسماعيل وولاية توفيق باشا الأريكة الخديوية . وقد شاهدت خروج الخديو المعزول من

مصر منفيا ونزوله من منزل الفحومات وأدوات السكة الحديدية الذى نزل منه من قبل حليم باشا منفيا (وهو ابن محمد على رأس العائلة الحاكمة) فانظر الى آثار قدرة الله سبحانه وتعالى ، واعلم انه يكال لك بالكيل الذى تكيل به ، ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها ...

سافر اسماعيل الى نابولى (وهى ثغر من ثغور ايطاليا) مطرودا ، كما سافر حليم باشا الى دار السعادة مطرودا ، ولكن شتان بين من طرد ظلما ومن طرد عدلا

عهد استبداد وفساد

انتهت مدة اسماعيل باشا الخديو وهى سبع عشرة سنة كانت وبالا على المصريين لشدة نزقه وطمعه وسوء تصرفه وعدم انصافه . لم أر فيها خيرا ولا ترقيت رتبة فى عهده، كما قال بعض الخراصين ولا أقسمت على الدفاع عنه . ولا صحت حول قصره ولا انتهرنى أصلا . ولا هو قال أن صوتى أكثر قرقعة من الطبل ، وأقل نفعا منه ، فليتق الله المتبجحون الكذابون الذين تقولوا ما تقولوه وافتروا ما افتروه فألزموا صاحب تاريخ « مصر للمصريين » سليم النقاش بأن يخلط مفترياتهم وبهتانهم بحقائق كتابه على غير ارادة منه ، فجاء كتابه مشوها فيه الغث والثمين والصدق والكذب . ولكن الحق ظاهر وله أعلام . والباطل بين وله أعلام

ويستطيع كل عاقل منصف أن يفهم من عباراته الحقائق ولا يعبأ بما يجده فيها من الأكاذيب والاباطيل .. فانها ما وضعت الا ارضاء لذوى النفوذ من خصومى ، حلفناء الظلم والجور ، ونصراء الاستبداد والاستعباد . وهو أقرب التواريخ لمعرفة حقائق النهضة القومية المصرية ، وأقرب منه وأصح رواية تاريخ المستر ولفرد بلنت الذى ظهر حديثا

باللغة الانجليزية • وكذلك تاريخ المستر (برودلى) المحامى عنا فى سنة ١٨٨٢ م الذى ألفه مدة وجوده فى القاهرة (وهى ثلاثة أشهر لغاية انتهاء المحاكمة)

ولكن هناك أسرارا لا يعرفها أحد من الناس غيرى ، فأحببت أن أظهرها للناس قبل موتى قياما بالواجب على لأبناء وطني المحبوبين : ولقد تحملت مدة ولاية اسماعيل الجائرة بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ، ومكثت برتبة القائمقام مدة تسع عشرة سنة أنظر الى صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارتي فى عهدى سعيد باشا واسماعيل باشا وهم يترقون دونى ، فترقى بعضهم الى رتبة الأميرالاى وبعضهم الى رتبة أمير اللواء ، وبعضهم الى رتبة الفريق ، لا بعلم علموه من دونى ولا بفهم خارق للعادة ولا بشجاعة أبرزوها فى ميادين القتال ، ولكن لكونهم من مماليك أو أبناء مماليك العائلة الخديوية ، فاصطفاهم الخديو بالرتب والنياشين والجوارى الحسان والأراضى الواسعة الخصبة والبيوت الرحبة وحباهم بالأموال الكثيرة والحلى الثمينة من دم المصريين المساكين وعرق جبينهم ••! !

في تولية توفيق باشا

تولية الخديو توفيق

فى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ م تولى محمد توفيق باشا الخديوية المصرية ، واعتلى أريكتها فى ظروف صعبة وأحوال مرتبكة بسبب سوء الادارة الماضية والمصاعب التى طرأت على أحوال الديار المصرية قبل توجيه الولاية اليه :

وكان من أهم أسباب الاختلال اذ ذاك عسر المالية وتداخل الأجانب فى أمور البلاد واستئثارهم بها على عهد الوزارة المختلطة (من الأوربيين والمصريين) فى آخر مدة اسماعيل باشا • واشتداد وطأتهم وطموح أبصارهم الى ما أوجب استحكام الضغائن فى صدور رجال الجيش واستياءهم من الأجانب بسبب قطع مرتباتهم • ومن أهمها أيضا ما كان من بعض الأجانب أو أكثرهم من استخفافهم بالأهالى والاعراض عن مصالحهم وتدخلهم فى الادارات وأمور البلاد اجحافا بحقوق الأمة • فكان ذلك سببا فى اتفاق نبهاء الأمة ورجال الجيش المصريين على انقاذ البلاد من تداخل الأوربيين خوفا من زيادة الاستئثار ولجأوا الى ما اصطلحوا عليه كوسيلة لحفظ حقوقهم ، واتخذوه كواسطة للحصول على استقلالهم فى العمل ، وادارة أمور بلادهم بأنفسهم

وفى ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ وصل الى مصر تلغراف الباب العالى مشعرا بتولية محمد توفيق باشا

وقد أرسل الخديو تلغرافا الى الباب العالى جوابا على التلغراف المؤذن بارتقائه الى عرش الخديوية ، وختمه بقوله : « بدأت بظليل ظل الحضرة السنية

الملوكانية بمباشرة أمور الخديوية عالما علم اليقين أن سلامة الخديوية المصرية وسعادتها وموفقية عبدكم الكاملة يحصلان بالثبات على قدم العبودية والتابعية للسلطنة السنية »

وورد من بيت « روتشلد » تلغراف تهنئة للخديو الجديد بارتقائه الى كرسي الخديوية ، متضمنا أن هذا التغيير قد أزال الكثير من المصاعب التى حالت دون نفـــاذ شروط الميثاق المبـــرم بين الحكومة المصرية ، وبين البيت المذكور متعلقا بقرض الأملاك الموهوبة

الخديو اسماعيل يسرق

وفى ١١ رجب سنة ١٢٩٦ هـ سافر الخديو الســـابق اسماعيل باشا من القاهرة الى الاسكندرية حيث أقلتـــه الباخرة « المحروسة » الى « نابولى » بايطاليا وكانت معـــه أوراق مالية « بون » بمبلغ ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات، كما صرح بذلك ابنه الخديو توفيق بحضورى وحضـــور خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى والشيخ عبد الرحمن الابيارى امام المعية فى أثناء تناول طعام الافطار على المائدة الخديوية فى شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ، اذ قال :

« يا ليته ترك للحكومة ولو ستة ملايين لاصلاح شأنها »

ولما وصل الخديو اسماعيل المعزول الى محطة مصر وقف الخديو توفيق مودعا والده وعيناه مغرورقتان بالدموع • فعانقـــه والده ثم قال له : « لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديو مصر • فأوصـــيك باخوتك وسائر الآل برا • واعلم أنى مسافر وبودى لو استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك الارتباك • على انى واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأى ذوى شوراك وكن أسعد حالا من أبيك »

ثم سار القطار الخصوصى حتى وصل الى الاسكندرية

ثم ركب الزورق المعد له وتبعته زوارق المشيعين الى أن صعد فوق السفينة المحروسة ، وهنا نظر الى الثغر نظرة المودع الآسف فغلبه الدمع فبكى وأبكى كل من كان معه من أنجاله وآل بيته

موعظة وتذكرة

من غريب التقادير الالهية أن مصطفى فهمي باشا كان قد انتدبه الخديو اسماعيل لمرافقة اسماعيل باشا صديق حين سفره الى دنقلة فى سفينة بخارية بطريق النيل . فاستصحب معهرفاصا بخاريا آخر وعند وصوله الىالمعصرة ودعه ورجع الى القاهرة متأثرا مدهوشا من ذلك الظلم العظيم الذى تم بقتل الرجل خنقا في دنقلة بلا تحقيق ولا بحث ... ولما آذنت ساعة رحيل الخديو اسماعيل باشا من مصر شيعه مصطفى باشا فهمي كذلك في رفاص بخارى حتى وصل باب البوغاز ثم رجع بعد تأدية واجب الوداع لمولاه ، فانظر الى عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى

وزارة شريف باشا

قدمت وزارة راغب باشا استعفاءها فقبله الخديو وتشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتى :

محمد شريف باشا : للرئاسة والداخلية والخارجية
اسماعيل أيوب باشا : للمالية
عثمان رفقى باشا : للجهادية
مصطفى فهمى باشا : للاشغال
محمود سامي باشا : للمعارف
مراد حلمى باشا : للحقانية

المرتبات السنوية للبيت الخديوى

وأول عمل اهتم به مجلس النظار هو تعيين رواتب الخديو وأهل بيته على ما يأتى بيانه :

جنيه مصرى	
١٠٠٫٠٠٠	للخديو توفيق
٣٥٫٠٠٠	لوالدته
٢٠٫٠٠٠	لزوجته
٣٠٫٠٠٠	للخديو السابق
٢٥٫٠٠٠	لزوجته
٣٦٫٠٠٠	لزوجاته الباقيات بمصر
١٨٫٠٠٠	لتوحيده هانم
١٨٫٠٠٠	لحسين باشا كامل
١٨٫٠٠٠	لحسن باشا
٣٠٠٫٠٠٠	المجموع ثلثمائة ألف جنيه

السم فى الدسم

الفرمان الشاهانى وتدخل أوربا

وفى يونيو سنة ١٨٧٩ م ورد تلغراف من باريس ينبىء بأن الباب العالى أرسل الى دول أوربا منشورا يبين فيه كيفية تنازل اسماعيل باشا والغاء الفرمان الصادر سنة ١٨٧٣ م • ويؤكد مع ذلك انه عازم أن يحفظ لمصر مالها من امتيازات الاستقلال الادارى • فأوجس أولياء مصر من هذا الأمر خيفة،واختلفت فيه أقوالهم حتى ورد بالتلغراف ثانيا أن الدول اتفقت على معارضة منشور الباب العالى باثبات ذلك الفرمان وتأييد ما منح به من الحقوق والامتيازات للحكومة المصرية • فانتفت الأوجال بذلك ، وأيقن الناس أن الدولة العلية ستعدل عن هذا القصد • ثم ورد تلغراف آخر ينبىء بأن الباب العالى أصدر منشورا ثانيا يتعلق بفرمان سنة ٧٣ حاصله أن السلطان رأى أن يثبت لخديو مصر الحقوق والامتيازات الممنوحة فى ذلك الفرمان

لا بوساطة الدول ولكن من تلقاء نفسه · وأعقبه تلغراف آخر من الآستانة يقول انه اذا لم يقرر السلطان أحكام الفرمان الصادر فى سنة ١٨٧٣ م فى الفرمان الذى سيبعث به الى الخديو الجديد يتعين على فرنسا وانجلترا اذ ذاك أن تطلبا الاستقلال التام للحكومة المصرية · وجاء فى تلغراف من باريس أيضا أن انجلترا وفرنسا تمهلان الباب العالى فى ابلاغ صورة الفرمان لهما الى يوم الاثنين وهو الفرمان المثبت لخديوية توفيق باشا ، فاذا مضت هذه المهلة ولم يبلغهما الفرمان فانهما تعزمان على المناداة باستقلال مصر

وفى أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لندره بأن السير لايارد والمسيو افرين سفيرى انجلترا وفرنسا فى الآستانة طلبا من الباب العالى أن يعرض تولية توفيق باشا على الدول لكى يكون بمثابة معاهدة دولية · وانه فى عزم انجلترا وفرنسا أن تضعا قضايا الفرمان المتعلقة بتحديد حقوق الباب العالى موضع البحث وأن ترفضا كل ما من شأنه أن يخالف سلطة السلطان أو يناقض المعاهدات السالفة

وفى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ ورد تلغراف من لندن ينبىء بأنه قد كتب من الآستانة أن فؤاد بك مسافر منها الى القاهرة غداة غد ليسلم فرمان التثبيت الى توفيق باشا

وفى صبيحة يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٦ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٨٧٩ حضر الخديو الى القاهرة ومعه وزراؤه (ما عدا شريف باشا الذى تخلف فى الاسكندرية لاستقبال الفرمان وحامله) ليشهدوا جميعا تلاوة الفرمان السلطانى فى سراى القلعة

وفى الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الخميس ٢٦ شعبان سنة١٢٩٦ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩ انتظم موكب الفرمان · وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة

أطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان يحمله على بك فؤاد ، فاستقبله النظار حتى دخل القاعة ثم لبس طلعت باشا كركا وتناول الفرمان فصعد به على كرسى وتلاه • ولما فرغ من تلاوته دخل الخديو قاعة التشريفات فوفد عليه المهنئون

وفى الساعة الرابعة قام الخديو وتبعه النظار فصدحت الموسيقى بالأنغام المألوفة وأطلقت المدافع تعظيما له واجلالا

استعفاء وزارة شريف باشا

بعد أن استقرت وزارة شريف باشا فى الأحكام شرعت فى توجيه عنايتها الى تسوية الدين السائر وغيره على وجه يضمن للدائنين حقوقهم ويحفظ للحكومة مصلحتها فوالت انعقاد جلساتها لهذه الغاية • وقد تقرر فى احدى جلساتها رفع مشروع تأسيس حكومة دستورية شورية الى الخديو تنفيذا لأمره الصادر فى ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ كما تقرر انه اذا أبى الخديو عليهم تنفيذ ذلك المشروع استعفوا من مناصبهم جميعا على أن لا يقبل أحد منهم الانتظام فى وزارة أخرى تفضل الحكومة المطلقة على الحكومة الدستورية • ولما رفع المشروع المذكور الى الخديو رفض قبوله متعللا بعدم موافقة قنصلى انجلترا وفرنسا ، فاستعفت الوزارة وقبل استعفاؤها ••ثم تشكلت الوزارة الجديدة على الوجه الآتى:

ذو الفقار باشا : للحقانية والداخلية
مصطفى فهمى باشا : للخارجية
عثمان رفقى باشا : للجهادية
حيدر باشا : للمالية
على ابراهيم باشا : للمعارف
محمد مرعشلى باشا : للاوقاف
محمود سامى باشا : للاشغال

أما رئاسة هذه الوزارة فكانت للخديو • ولقد كان فراغ نظارة الداخلية على أهميتها موجبا للظنون المختلفة والآراء المتنوعة • ثم صدر أمر الخديو تلغرافيا الى رياض باشا بأن يعود الى القطر المصرى على أول باخرة ترد اليه

وزارة رياض باشا

وفى ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ و ٣ سبتمبر سنة١٨٧٩ وصل رياض باشا الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة ، ثم توجه لمقابلة الخديو توا • وفى ٥ شوال سنة ١٢٩٦ و ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ صدر أمر الخديو الى رياض باشا بتأليف وزارة جديدة بعد أن قدم الوزراء استعفاءهم

تسوية مسألة الدين المصرى والمالية

وفى يوم الخميس ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٩م • الموافق ١٨ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ • أصدر الخديو أمرا باعادة تعيين المستر بارنج والمسيو دى بلنيير بصفة مفتشين

ولما عين رياض باشا رئيسا لمجلس النظار أصدر اليهما اعلانات على صورة ترجمة الخطاب الصادر من الخديو اسماعيل للمستر ولسن حين كان نائب رئيس لجنة التفتيش باستحسان التقرير المقدم من تلك اللجنة

وقد رفعت الوزارة الى الخديو لائحة منطوية على بيان تدبير جديد لتسوية مشكلة الدين السائر

وفى ١٥ ابريل سنة ١٨٨٠ صدر قانون التصفية الدولية المصرية وهو يتناول تنظيم الديون وكيفية سدادها • وهى الدين الممتاز والموحد ودين الدائرة السنية والدين السائر وهى معروفة للجميع

حادثة قصر النيل

المطالبة بمجلس النواب

لما ارتقى توفيق باشا الى الأريكة الخديوية المصرية ، وسافر الى الاسكندرية ظفرت برتبة أميرالاى وعينت ياورا خديويا من ضمن ياورانه ، وأميرا على الآلاى البيادة الرابع الكائن مركزه بالعباسية بمدينة القاهرة

وكان عثمان باشا رفقى وقتئذ ناظرا للجهادية ، وهو رجل جاهل متعصب لجنسه ، غافل عما ينتج من سياسة التفريق والاستخفاف بالعنصر الوطنى من احراج الصدور ، فسولت له نفسه أن يمنع ترقى المصريين العاملين فى الآلايات تحت السلاح • ثم شرع فعلا فى سن قانون فحواه الحكم بعدم الترقى من تحت السلاح • وصدرت أوامره بذلك ليتمكن من النكاية بأبناء الوطن وحرمانهم من الرتب وجعلهم أنفارا تحت تسلط الترك والجركس • ويكون لهؤلاء الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من الارتقاء الى الدرجات السامية والرتب الشريفة

ثم أصدر أمرا ثانيا باحالة عبد العال بك حلمى أميرالاى الآلاى السودانى الى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه ، وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة • وعين خورشيد بك نعمان بدلا منه لكونه من جنسه الجركسى وكان يبلغ الخامسة والستين من عمره ، وهو ضعيف لا قدرة له على الحركات العسكرية • وأصدر أمرا آخر برفت أحمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى ، وكان فى الأربعين من سنه أيضا • وأقام فى مكانه ضابطا آخر جركسيا

وفى ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ هـ دعيت الى وليمة بمنزل

نجم الدين باشا لمناسبة عودته من أداء فريضة الحج . فلما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بأمراء الجيش وغيرهم، فجلست بجوار محمد بك نجيب الجريدلى وكان بجانبه اسماعيل باشا كامل الفريق (وهو جركسى الأصل ولكنه كان يتظاهر بحب العدل والانصاف) فأفضى الباشا الى نجيب بك بما صار من طيش ناظر الجهادية ، وأنه نصحله بأن يعرض عن ذلك الاجحاف الظاهر ، فلم يصغ اليه . فأخبرنى محمد بك نجيب بما سمع همسا فى أذنى ،وكنت أجهل قبل ذلك تلك الأوامر الظالمة . فقلت لاسماعيل باشا كامل : « أحق هذا ؟ » فقال : « نعم وقد سلمت الأوامر الى الكتاب للاجراء بمقتضاها » فقلت له : « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها »

وبعد تناول الطعام جاءنى ضابط وأخبرنى بأن كثيرا من الضباط ينتظروننى بمنزلى فتوجهت اليهم فى الحال ، فوجدت من ضمنهم الأميرالاى عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى بمركزه فى طره ، والبكباشى خضرأفندى من الآلاى المذكور أيضا ، وعلى بك فهمي أميرالاى الحرس الخديوى بقشلاق عابدين ، والبكباشى محمد أفندى عبيد من الآلاى المذكور كذلك . والبكباشى ألفى أفندى يوسف من الآلاى الرابع البيادة حكمداريتى . والقائمقام أحمد بك عبد الغفار من الآلاى السوارى وغيرهم . وكانوا جميعا فى هياج عظيم ، اذ بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم . فلما رأونى أفضوا الى بما سمعته من نجيب بك واسماعيل باشا كامل من قبل . فقلت لهم : « قد سمعت هذا من غيركم فماذا تريدون؟ » قالوا : «وليس الأمر كذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع العنصر الجركسى فى منزل خسرو باشا الفريق وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان باشا رفقى

ويلعنون خيرى بك لتسليمه واذعانه للسلطان سليم • ويقولون انه قد حان الوقت لرد بضاعتهم اليهم • وأنهم لا يغلبون من قلة • وظنوا أنهم يملكون مصر ويستبدون بها كما فعل أولئك المماليك من قبلهم » • ثم عقب الضباط بأنهم قد تحققوا صدق تلك الأنباء ممن يوثق بخبره • فقلت : « وماذا تريدون اذن ؟! » فقالوا : «انما جئناك لنرى رأيك » • فقلت : « رأيي أن تتريثوا وتهدئوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا اليهم النظر فى مصالحكم• وهم يتخذون من بينهم رئيسا لهم يثقون به كل الوثوق ويسمعون قوله ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم اذا أرادت الحكومة به شرا »

فقالوا : « انا فوضنا اليك هذا الأمر ، فليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك » • فقلت : « كلا بل انظروا غيرى وأنا أسمع له وأطيع وأنصح له جهدى » فقالوا : « انا لا نبغى غيرك ولا نثق الا بك » فأبنت لهم ان الأمر عصيب ولا يسع الحكومة الا قتل من يتصدى له فقالوا : « نحن نفديك ونفدى الوطن العزيز بأرواحنا » • فقلت لهم: « اقسموا لى اذا على ذلك » فأقسموا • وفى الحال كتبت عريضة الى رئيس النظار مصطفى رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقى باشا لجنسه واجحافه بحقوق الوطنيين • وطلبت فيها :

أولا – عزل ناظر الجهادية المذكور • وتعيين غيره من أبناء الوطن عملا بالقوانين التى بأيدينا

ثانيا – تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذا للأمر الخديوى الصادر عقيب ارتقائه الأريكة الخديوية

ثالثا – ابلاغ الجيش العامل الى ١٨٫٠٠٠ تطبيقا للفرمان السلطانى

رابعا – تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة

للعدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب

ثم تلوت العريضة المذكورة على مسامع الحاضرين فوافقوا عليها • وأمضيتها بختمي وختم علي بك فهمي وعبد العال بك حلمي • وبعد ذلك صار ترتيب ما يلزم لحفظ الخديو والعائلة الخديوية والوزراء اذا حدث أي حادث من الضباط الجراكسة • مع ترتيب ما يلزم لحفظ البنوك وبيوت التجار الأجانب والوطنيين من مطامع الرعاع • وكذلك ما يلزم لحفظنا من بطش الحكومة اذا أرادت الايقاع بنا ، وارفض الاجتماع على ذلك • وما دفعنا الى طلب انشاء مجلس النواب الا تبرم الأمة بأمثال ما حصل للمرحوم اسماعيل صديق باشا في عهد الخديو اسماعيل • مع أنه كان حائزا لرتبة المشير التي من مزاياها حفظ حائزها ولو باستعمال السلاح • وما حصل للسيد حسن موسى العقاد بسبب كلمة عدل أراد بها مساواة الأهالي الذين دفعوا للحكومة ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات باسم المقابلة و ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ باسم الاسهم — بالاجانب أصحاب الديون • وما حصل لغيرهما من القتل والخنق والتعذيب من غير حق ولا محاكمة ، بل لمحض الظلم والاستبداد ، وكذلك لعلمنا أن ذلك المجلس سوف يكون لسان الأمة لدى الحكومة فيرشدها الى سبل حفظ الأرواح الطاهرة والأعراض الكريمة والأموال العزيزة من العبث بها

مقابلتي لرياض باشا

وفي غد ذلك اليوم ذهبت الى ديوان الداخلية ومعي رفيقاي علي بك فهمي وعبد العال بك حلمي ، وقدمنا العريضة المذكورة الى وكيل الداخلية خليل باشا يكن وطلبنا اليه عرضها على رئيس النظار رياض باشا • فذهب اليه ثم عاد وأخبرنا بأن الرئيس يريد أن يرانا فلما قابلناه

طيب خاطرنا وقال سأنظر فى الأمر • وبعد أسبوع ذهبت مع الأميرين المذكورين الى بيت الرئيس ، وسألناه عما تم فى أمر عريضتنا • فأجابنا بقوله :

« ان أمر هذه العريضة مهلك • وهى أشد خطـــرا من عريضة أحمد فنى الذى أرسل الى السودان (وأحمد فنى هذا كان كاتبا بديوان المالية طلب المساواة مع غيره منخدم الديوان المذكور ، فعوقب بارساله الىالسودان حيثتوفى!) فأجبته : « بأننا لم نطلب الا حقا وعدلا وليس فى طلبالحق من خطر • وأنا لنعتبرك أبا للمصريين ، فما هذا التلويح والتخويف ؟ » فقال : « ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عضوا فى مجلس النواب » • فقلت له : « أنكمصرى وباقى النظار مصريون والخديو أيضا مصرى • أتظن أنمصر ولدتكم ثم عقمت ؟ كلا فان فيها العلماء والحكماء والنبهاء • وعلى فرض أن ليس فيها من يليق لأن يكون عضـــوا فى مجلس النواب أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد من معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية تخرج لنا بعد خمسة أعوامرجالا يخدمون الوطن بصائب فكرهم ، ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية ؟ » فدهش ، وكأنما كبر لديه ما سمعه منا • ثم قال : « سننظر بدقة فى طلباتكم هذه » فانصرفنا على ذلك

وقفى أنا وزملائى

وفى غرة ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ انعقد بعابدين مجلس تحت رئاسة الخديو حضره جميع الباشوات المستخدمون والمتقاعدون من الترك والجركس • وقرروا فيه ايقافنا نحن أمراء الآلايات الثلاثة الذين وقعوا على العريضة الآنفـــة الذكر •ومحاكمتنا أمام مجلس فوقالعادة • فلاحظ رئيس النظار رياض باشا انه اذا صار ايقافنا وجب ايقاف ناظر الجهادية أيضا ، والا تفاقم الخطر وخيفت نتائج جرأتنا •فلم

يوافق الخديو على ذلك ، وقال : « ان ناظر الجهادية يضمن حفظ النظام » ، فأكد ناظر الجهادية استعداده لحفظ النظام والقبض علينا بسهولة • ثم دعى أحمد خيرى باشا رئيس الديوان الخديو وتلا بالمجلس أمرا عاليا مآله :

« ان الأمراء الثلاثة أحمد عرابى ، وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى مفسدون • وانه لذلك يقتضى ايقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم ومجازاتهم بالعقاب الصارم فى مجلس عسكرى فوق العادة ، تحت رئاسة ناظر الجهادية • ويكون من أعضائه استون باشا رئيس أركان حرب (وهو أمريكانى) ولارمى باشا ناظر المدارس الحـــربية (وهو فرنساوى) وغيرهما من البشاوات الجركس » فوقع عليـه الخديو وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان باشا رفقى ثم ارفض المجلس

وفى مساء ذلك اليوم أرسل ناظر الجهـــادية المذكور تذاكر يدعونا بها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى صباح يوم ٢ ربيع أول سنة ١٢٩٨ هـ للاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الحضرة الخديوية • فأدركنا انه يريد أن يخدعنا ، ويبطش بنا كما فعل محمد على باشا بأمـــراء المماليك ، حينما دعاهم الى وليمة بالقلعة وبطش بهم كمـا هو واضح بالتاريخ • اذ لم يكن زمن الزفاف المحكى عنـه قد حان بعد • فكانت تلك الحيلة سابقة لأوانها ، ولذلك أخذنا حذرنا وهيأنا ما يلزم لنجاتنا، ثم ذهبنا فى الوقت المعين الى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدناه غاصا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها الى رتبة الفريق • وكانت فى أيدى شبانهم الطبنجات وكلهم فى فرح ومرح

فانعقد المجلس المؤلف من البشاوات السابق ذكرهم • وتلى علينا الأمر الخديوى المؤذن بايقافنا ومحاكمتنا • ثم نزعت عنا سيوفنا وساقونا الى الســـجن فى قاعة بقصر

النيل . وكان مرورنا بين صفين من الضـــــباط الجركس المسلحين بالطبنجات

ومر خسرو باشا كبير الجراكسة بباب السجن وصـار يهزأ بنا ويسخر منا بقوله (أيه زمبللى هرف لر) يعنى فلاحين شغالين بالمقاطف احتقارا للمصريين . ولما أقفــل علينا باب الغرفة تأوه رفيقى على بك فهمى وقال : « لانجاة لنا من الموت وأولادنا صغار » . ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمى بنفسه فى النيل من نافذة الغرفة ، فشجعته متمثـلا بقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخــرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فلا والله ما كانت الا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاى الحرس الخديوى وأحدق رجالهما بديوان الجهـادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن . ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين ، وقصدوا جميعا الى سراى عابدين

ولما أفرج الله عنا أسرعت الى العساكر فحذرتهم وتوسلت اليهم بأن لا يمدوا أيديهم بسوء الى أحد من الجراكسة ولا الى غيرهم من الضباط لأنهم اخواننا . ولئن آثروا أنفسهم علينا ، فاننا لا نريد الا النصفة والمساواة . ونظرت فاذا بجانبى اسماعيل باشا كامل فعانقته أمام العساكر . وقلت ان هذا الباشا جركسى ، ولكنه أخي حرام علينا دمه وماله وعرضه ، وكذلك غيره من الجراكسة . فانصرفوا على بركة الله تعالى الى مراكزهم ، فانصرفوا طائعين

كيف خرجنا من السجن

لما صار سجننا عين ناظر الجهـادية ثلاثة من أمـــراء الآلايات بدلا منا وأرسل معهم ثلاثة من اللواءات (باشاوات)

لتسليمهم الآلايات التى كانت تحت امرتنا • فعين الاميرالاى محمود بك طاهر للآلاى الرابع بدلا منى ، وكان معه اللواء طه باشا لطفى لأجل تسليمه الآلاى المذكور على مقتضى أحوال الجيش • وعين الأميرالاى خورشيد بك نعمان أميرا للآلاى السودانى بدلا من عبد العال بك حلمى ، وكان معه خورشيد باشا طاهر لتسليم الآلاى المذكور • وعين الفريق راشد باشا حسنى لتسليم آلاى الحرس الخديوى الى القائمقام خورشيد بك بدلا من على بك فهمى

وعندما علم ضباط آلاى الحرس الخديوى بما لحقنا من الاهانة والسجن وتعيين غيرنا بدلا منا هاجوا وماجوا وثارت الحمية فى رؤوسهم وفى الحال أمر محمد أفندى عبيد البكباشى بضرب نوبة طابور للعساكر • فاعترضه خورشيد بك بسمى القائمقام المعين حديثا وهدده بقطع رأسه وقال له أنا أمير الآلاى • فلم يلتفت اليه وأمر بعض العساكر بوضعه تحت الحفظ • وكانت الجنود قد اصطفت تحت السلاح فأخذهم وقصد قصر النيل لانقاذنا من السجن • فاعترضه أيضا راشد باشا حسنى الفريق ولكن لم يجد ذلك نفعا • وكان الخديو مشرفا على العساكر من شرفة (السلاملك) فأمر (بروجى قره‌قول السراى) بأن يضرب (نوبة) حضور الضباط عند الخديو • فلم يذهب اليه أحد ووقفت الأورطة الأولى حكمدارية البكباشى أحمد أفندى فرج فى ساحة عابدين ومعها بيرق الآلاى • وكان وقوفها فى هيئة طابور لاجل حفظ الخديو مما عسى أن يطرأ من الامور • واستمرت الأورطتان الأخريان فى سيرهما الى أن وصلتا الى قصر النيل • فأصدر البكباشى محمد عبيد أمره الى حكمدار الأورطة الثالثة على أفندى عيسى البكباشى بأن يذهب بأورطته الى الجهة الخلفية من قصر النيل وذهب هو بأورطته الى الجهة الأمامية • ثم عين فرقة من العساكر

لاقتحام الديوان الذى أوصدت أبوابه ومنافذه للبحث عنا واخراجنا من السجن • فوقع الرعب فى قلوب أمراء الجهادية الموجودين بالديوان وأعضاء المجلس المعينين لمحاكمتنا من الأوربيين والجركس • وطلب كل منهم النجاة لنفسه ،وفى جملتهم عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية

وهكذا كان الشكر والفخر للبطل المقدام والشجاع الهمام محمد أفندى عبيد الذى كان انقاذنا من الهلاك على يديه • وللبطل المقدام على أفندى عيسى البكباشى • وللوطنى الغيور أحمد أفندى فرج البكباشى • ولجميع ضباط آلاى الحرس الخديوى وعساكره الذين خلدوا لهم ذكرا جميلا

وكذلك الشهم الهمام والبطل المقدام البكباشى خضر أفندى خضر فانه ما كاد يعلم بأمر سجننا ، عند حضور خورشيد باشا طاهر والأميرالاى الجديد خورشيد بك نعمان وأحمد بك حمدى الياور الخديوى لأجل تسليم الآلاى السودانى الى خورشيد نعمان بدلا من عبد العال بك حلمى حتى انتظر جلوسهم فى المحل المخصص لاقامة القائمقام فرج بك (الدكر) ثم قام من المجلس وأحضر بلوكا من العساكر وجعلهم خفراء على الأمراء المذكورين • وأمر بأن لا يسمح لأحد منهم بالخروج من مكانه مطلقا • ثم أمر بعد ذلك بضرب نوبة طابور فخرج الآلاى الى الميدان • ولما تم انتظامه أخبر الضباط والصف ضباط والعساكر بما صار من سجننا واهانتنا • فأججت نيران الغيرة فى صدورهم وطلبوا أن يسرع بهم لانقاذنا من السجن قبل فوات الوقت وتفاقم الأمر • فأسرع بهم وهو فى مقدمتهم من (طره) قاصدين ديوان قصر النيل

وأما البكباشى ألفى أفندى يوسف فانه نكث بعهده الذى عاهدنا عليه من أول يوم فلم يعد الى بيته الا بعد أن ذهب الى خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وأخبره بما تقرر

بيننا فى اجتماعنا الأول • وكذلك أخبر على باشا مبارك بكل ما تم الاتفاق عليه بيننا

وعندما توجه طه باشا لطفى ومحمـــــود بك طاهر الى العباسية لاستلام الآلاى الرابع حكمداريتنا لم يقم الالفى يوسف هذا بما أقسم عليه بل نكص على عقبيه وحنث فى يمينه جبنا وخيانة وغدرا ونذالة ، كمـا غدر وحنث فى يمينه محمود بك طاهر المذكور حين عاهدنا عـــلى طلب الاصلاح قبل حادثة قصر النيل

بعد خروجنا من سجن قصر النيل

فر ناظر الجهادية عثمان رفقى وجميع أمراء الجراكســـة وأعضاء المجلس السابق ذكره الى سراى عابدين ليحتموا بالخديو بعد أن أحبطت وطنية الجند مكرهم • ولما استقر بهم المقام تشاوروا فى الأمر فقال استون باشا الأمريكى: « ان ما حصل من آلاى الحرس يعتبر تمردا عسكريا • ومن الواجب حصره بالطوبجية والبيادة • وأمر ضباطه بتسليم الأمراء الثلاثة • فان أبوا تطلق عليهم المدافع والبنادق حتى يضطروا الى التسليم » فاستحسن الجميـع ذلك الرأى الا اسماعيل باشا كامل الفريق فانه عارضـــه وقال : « انى أعتقد أن جميع الآلايات البيادة والطوبجية والسوارى على رأى واحد فلن يجدى هذا الكلام نفعا » • فقال الجنـــرال استون : « اذا كان الأمر كذلك فالآلاى السودانى يكفى لاكراه آلاى الحرس على التسليم » فعارضه اسماعيل باشا كامل ثانية بقوله : « ان آلاى السودان أشد تحمسا من باقى الآلايات » • فلما سمع الخديو معارضة الباشـــا المذكور غضب غضبا شديدا وأمر خورشـــيد باشا طاهر تلغرافيا باحضار الآلاى السودانى من (طره) بغاية السرعة وتكون معه الجبه‌خانه اللازمة • فجاءه الرد من ناظر محطة

طره بأن البكباشي خضر أفندى خضر ألقى فى السجن كلا من خورشيد باشا طاهر والأميرالاى خورشيد بك نعمان. وأحمد بك حمدى الياور الخديوى والقائمقام فرج الدكر . وصرف الجبخانة اللازمة للعســاكر ، ثم قام بهم من مدة ساعة بخطوة سريعة بطريق البحر قاصدا قصرالنيل لاخراج الأمراء الثلاثة المسجونين ...

وهنا تحقق الخديو من صدق اسماعيل باشا كامل ووجاهة اعتراضه وعمت الدهشة جميع الحاضرين . ثم أمر الخديو بارسال بعض الياوران لمقابلة البكباشي خضر أفندى خضر واخباره بأن الأمراء الثلاثة خرجوا من السجن . وابلاغه أمر الخديو القاضي برجوعه بالآلاى من حيث أتى ..وضرورة اخلاء سبيل الأمراء الذين سجنهم بطره . ولما قابله رسل الخديو قال لهم : «انى لا أعود الا بعد أن أراهم بعينى رأسى». فعرضوا عليه أن الخديو يكافئه بالمال والرتب العــالية اذا هو سمع ورجع . وأنذروه بكل عقاب اذا هو أبى . فلم يصغ اليهم وأســتمر فى سيره حتى وصـــل الى ساحة عابدين .فاستقبله آلاى الحرس المذكور بالتعظيم العسكرى وهو حامل السلاح . وأما نحن فلما خرجنا من السـجن تقدم الهمام يوسف أفندى فهمى الملازم وغيره وذهبوا مع عساكر آلاى الحرس الخديوى الى قشلاق عابدين .وتوجهت أنا العاجز الى مركز الآلاى المذكور . وجمعت الضـــباط والصف ضباط وألقيت عليهم كلمة أوصيتهم فيها بملازمة الهدوء والسكينة وقلت لهم : « اننا لا نطلب الا العـــدل والمساواة مع اخواننا الجراكسة والأتراك ، وأن لا يكون المصرى محتقرا فى نظر الأجناس الأخرى . ونريد كذلك مجلسا نيابيا لحفظ حقوق آبائنا واخواننا وأبنائنا من ظلم المستبدين الظالمين . وأن تنقح القـــوانين العسكرية حتى تكون كافلة للمســـاواة فى الترقيات والمكافآت ، وزيادة

المرتبات والماهيات التي مضى عليهــا ثمانون عاما ومرتب النفر العسكرى فيها لا يزيد على ١٩ ١/٤ قرش وفيهم من له زوجة وأولاد ووالدة يتضورون جوعا لسوء حظ عائلهم»

ثم كتبت الى وكيل دولة فرنسا السياسى البــارون (دورنج) وكنت لا أعرف اسمه ولا اســم غيره من وكلاء الدول الأوربية راجيا أن يخبر عنى جميــع وكلاء الدول المتحابة وخصوصا قنصل جنرال دولة انجلتــرا بأنه قد حصل خلاف بيننا وبين حكومتنا، وأننا نؤمل منهمالتوسط فى اصلاح ذات البين

وأمضينا بعد ذلك ليلتنا فى القشلاق على أتم ما نكون من التيقظ والاحتراس ٠ وأما القناصل فقد ذهبــوا الى عابدين وأشاروا على الخديو باجابة طلباتنا حسما للنـزاع ومنعا من الخطر ٠ بناء على ان الحكومة عاجزة عن تنفيــذ أغراضها فينا

وفى صباح ٣ ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ ٠ الموافق ٢ فبراير ١٨٨١ م ٠ ذهب جميــــع الباشوات الى الخديو وتشاوروا فى أمر تلك الأزمة ٠ فقال ناظر الأوقاف محمود باشا سامى المشهور (بالبارودى) : « انى أرى العساكر على الطاعة بدليل هتافهم باسم الخديو ٠ وأن الموســيقى تعزف بالسلام الخديو ، فلو أجيبت طلباتهم لانحســمت المسألة بسلام »

وبناء على ذلك تقرر تعيين محمود سامى باشــا وخيرى باشا رئيس الديوان الخديوى لمفاوضــــتنا فيما يلزم من الاصلاح ٠ فحضرا وسألانا عما نريده ٠ فأجبناهما بأننــا على الطاعة ولا نريد الا الاصلاح ٠ فقـــال خيرى باشا : « وما هو الاصلاح ؟ » فقلنا : « هو ما أوضحناه بعريضتنا ٠ ورغبتنا هى أن يبدأ بعزل ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا ثم يشرع فى تنفيذ باقى الطلبات »

فذهبا وأخبرا الخديو ثم عادا وأخبرانا بأن الخديو ، قبل طلباتكم وعزل ناظر الجهادية . فاختاروا ناظرا غيره . فقلنا « لا خيرة لنا . وانما نريد ناظرا وطنيا يعينه الخديو » . فقال خيرى باشا : « ان الخديو فوض اليكم اختيار الناظر حتى لا تشكوا فيما بعد »

فقلنا : « انا نرضى بتعيين محمود سامى باشا هذا ناظرا للجهادية » . فذهبا وبلغا الخديو ذلك . وبناء عليه صدرت الأوامر بتعيين محمود سامى باشا البارودى ناظرا للجهادية مع بقاء نظارة الأوقاف فى عهدته كما كانت ، واعادة كل منا الى آلايه ، للعمل على نبذ الفوارق العصبية والجنسية . والتمسك بعروة الاخاء والمساواة ، ثم أخذ بعد ذلك فى سن القوانين العسكرية وتعديلها وتنقيحها

دسائس الخديو ورجاله

حدثت عقيب حادثة قصر النيل فى أوائل فبراير سنة ١٨٨١ الى وقت سقوط وزارة رياض فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ عدة دسائس أوعز بها الخديو ورجاله أدت الى توتر الحالة واشتداد الأزمة بين الخديو وحكومته وزعماء الجيش . أذكر منها (١) :

الدسيسة الأولى :

أوعز يوسف باشا كمال وكيل الدائرة الخديوية ــ وهو رجل جركسى الأصل ــ الى باشجاويش جركسى أيضــا متزوج من جارية من السراى وملتحق بالآلاى السودانى ، بأن يستميل أفراد الآلاى المذكور الى التمرد على ضباطهم . ثم يجىء اليه بمن يقبل الاشتراك فى ذلك التمــرد من

---

(١) اكتفينا هنا بأربع دسائس من ثلاث عشرة دسيسة ذكرها أحمد عرابى فى هذه المذكرات كأمثلة لما كان يحاك لزعماء الجيش والوطن من دسائس فى ذلك العهد

الصف ضباط والعساكر ليصرف له مبلغ ثمانية جنيهات ويزوجه من جارية من جوارى السراى • فقام الباشجاويش المذكور بما عهد اليه وتيسر له أن يستميل ثمانية أشخاص من السودانيين • وبينما هم ينشرون الفتنة بين جنود الآلاى اذ اتصل خبرهم ببعض الضباط فتداركوا الأمر بضبطهم • وقد اتضح من التحقيق أن الباشجاويش هو الذى أغرى الجنود السودانية • وانه ذهب بهم الى وكيل الدائرة الخديوية الذى صرف لكل منهم ثمانية جنيهات وشجعهم على القيام بتلك الدسيسة ، وبناء على ذلك حكم مجلس الآلاى بسجن الباشجاويش الجركسى مدة ستةأشهر مكبلا بالحديد وأعفى الصف ضباط السودانيين • فوافق عليه الأميرالاى عبد العال بك حلمى وأرسله الى الجهادية حيث صادقت عليه أيضا

الدسيسة الثانية :

أغرى أحد غلمان الخديو (جركسى) غلاما آخر (جركسيا) كان فى وصاية عبد العال بك حلمى (لأنه ابن زوج حرمه المتوفى) بقتله فدس له السم فى اللبن ، ولولا أن رأت خادمته (تشريف) ذلك العمل الجنائى الفظيع ، ونبهت اليه فى حينه ، لكانت النتيجة شرا ووبالا على الجميع • وقد عوقب المجرم بالسجن

الدسيسة الثالثة :

لما رأى الخديوى أن محمود باشا سامى لا يوافق نظار الحكومة على دس الدسائس والمكائد التى كانوا يحاربوننا بها أمر بعزله واستبدل به صهره داود باشا يكن • وكذلك أمر بعزل مأمور ضبطية المحروسة أحمد باشا الدرەمللى لموافقته على طلباتنا الوطنية • وتعيين عبد القادر باشا حلمى بدلا منه • ولما استقر داود باشا فى نظارة الجهادية توجهنا اليهوهنأناه بما ناله من الالتفات الخديوى•

وطلبنا اليه أن يجعل فاتحة أعماله السعي فى تصديق الخديو على قوانين الاصلاحات العسكرية التى تمت بالقومسيون ، فوعدنا بذلك ولكن ما عتم أن نشر على جميع الآلايات منشورا أمر فيه ألا يجتمع الضباط مع بعضهم فى المنازل أو فى أحياء المدينة • وألا يتركوا مراكز الآلايات ليلا ولا نهارا ، وأنه اذا وجد اثنان منهم فأكثر مع بعضهم فى المدينة فسيجرى ضبطهم بمعرفة رجال الضبطية وسجنهم فيها • ثم أخذ يذهب بنفسه ليلا الى مراكز الآلايات ليرى هل تنفذ أوامره أم لا

ولما كانت تلك الأوامر مخالفة للقوانين العسكرية ومهينة للشرف العسكرى فقد ردت اليه تلك الأوامر من أمراء الآلايات

أما مأمور الضبطية عبد القادر باشا حلمي فانه أرخى عنان الجواسيس حول منازلنا وفى الطرقات ليفتكوا بنا غيلة وغدرا • ففكرنا فى وضع حد لتلك الدسائس الدنيئة التى اشتغل بها وزراء الحكومة ومأموروها • وذهبنا الى راغب باشا الذى عرف بحسن السياسة ، وكمال الاقتدار على تذليل المصاعب ، لنستنير برأيه وأوضحنا له الموقف بحذافيره • فسألنا عمن يمكن جمعه من العساكر وعن مقدار الاسلحة والذخائر الحربية الموجودة بالمخازن والآلايات • ثم أشار علينا بارسال بلوك من العساكر لقتل الخديو • وأظهر استعداده لأن يقودنا بعد ذلك بما أوتيه من الحكمة واصالة الرأى ! !

فعلمنا مبلغ حكمته واستعذنا بالله من شر رأيه ، لأننا لم نرد الا الاصلاح بالتى هى أحسن • ولأن ذلك العمل الفظيع كان ضد مبادئنا على خط مستقيم

الدسيسة الرابعة :

أمر كومخلى ابراهيم أغا توتنجى الخديو أحد الشوبكجية

المدعو محمد حسن الحبشي باخفاء تراكيب الشـــوبكات المجوهرة التي كانت معدة للضيوف في التشريفات ليظهر لأوربا أن أمـــوال الخديو في خطر الضـــياع . وليلصق عار ذلك العبث بعســـاكر الحرس . ولما بلغ الأميرالاى على بك فهمي ذلك الأمر توجه بنفســـه الى السراى ، وأخذ في التحقيق الى أن اعترف له محمد حسن المذكور بكل ما كان من أمر المكيدة . وأرشـــده الى محل وجود تلك الشوبكات فاستخرجت من (مجرور المراحيض) ولما أردنا اجراء تحقيق رسمى لاظهار براءة رجال الحرس أسرع الخديو بارسال ابراهيم أغا الشوبكجى المذكور الى الآستانة خفية . كما أمر بارسال محمد حسن الى سواكن حيث لقى المسكين حتفه جزاء صدقه وأمانته

وكذلك نفيت الست عائشة (الكوديا) التى كانت تبخر الخديو وملابسه وتتلو عليه (العزائم والتمائم) الى جدة جزاء نصحها له بالكف عن الدسائس ، والتماسها موافقته ومساعدته في اجراء الاصلاحات الوطنية بصفاء نية وخلوص طوية . ثم أمر برفت زوج ابنتها من خدمته، ولما طلق الرجل زوجه أعيد الى خدمته كما كان

ولما كثرت دسائس الخديو توفيق وبان ختله وعزمه على اغتيالنا أخذنا حذرنا منه وسهرنا على احباط تلك الدسائس المنكرة . وكان السير مالت (قنصل انجلترا بمصر) كثير التردد على الخديو ليلا ونهـــارا دون غيره من وكلاء الدول الأوربية . فأوجسنا من ذلك خيفة على مصـــير بلادنا وخشينا من مطامع انجلترا التى كانت ترمى الى التهـــام وادى النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس الخضراء حتى يتم التوازن الذى تدعيه أوربا ، فعرضنا تفاصيل مخاوفنا على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علما بما كان جاريا في مصر . ولكى لا يتورط في تصديق ما قد يصل اليه من دسائس

أعداء البلاد . وذيلنا العريضة المذكورة بامضائى وامضاءات اخوانى على بك فهمى وعبد العال بك حلمى وأحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش . وأحمد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحى وعثمان باشا فوزى وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين

بعد حادث قصر النيل

وبعد حادثة قصر النيل طلبنا الخديو قبل سفره الى مصيفه بالاسكندرية وأمرنا بالمحافظة على الأمن العام فى البلاد . كما أمرنا بالذهاب الى جميع قناصل الدول لتأمينهم على رعاياهم واعطائهم كلمة الشرف بحفظ أرواحهم وأموالهم . فصدعنا بأمره وأبلغنا القناصل باننا قد كفلنا استتباب الأمن والراحة فى البلاد . وطمأنا خواطرهم على رعاياهم . ثم بعثنا بناء على ذلك التعهد الرسمى الى جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية وفروع الجهادية والبحرية بأن يخلدوا الى الهدوء والسكينة

حادثۂ عابدین

مماطلة

لما رجع الخديو الى المحروسة من مصيفه صدر أمر من ناظر الجهادية الجديد داود باشا يكن الى الآلاى الثالث البيادة حكمدارية ابراهيم بك حيدر بالتوجه الى الاسكندرية. والى آلاى الاسكندرية حكمدارية حسين بك مظهر بالحضور الى المحروسة . فاضطرب ضباط الآلاى الثالث وذهبت بهم الظنون والشكوك كل المذاهب وقالوا ان الحكومة لم تقصد من ذلك الاجراء سوى الانتقام منهم . وكان قد تردد على الألسنة ان فى النية اغراقهم فى كوبرى كفر الزيات كما حصل للأمير حليم باشا والأمير أحمد باشا بن ابراهيم باشا فى عهد سعيد باشا . ولما جمع ابراهيم بك حيدر حكمدار الآلاى ضباطه وأخبرهم بأمر الجهادية رفضوا جميعا الاذعان له . فكتب الى الجهادية يحيطها علما بذلك

ولما رأينا كثرة الدسائس وشدة الضغط من الحكومة وعدم التصديق على القوانين العسكرية التى تم تنظيمها ، وعدم الشروع فى تأليف مجلس النواب الذى وعدنا الخديو بانشائه أيقنا ان الحكومة تماطلنا فى تنفيذ الطلبات الوطنية وصممنا على تجديدها فى صورة مظاهرة وطنية شاملة للعسكرية والأهالى الذين أنابونا عنهم فى المجادلة عن حقوقهم وتأمينهم على الأنفس والأموال والاعراض . وعند ذلك قمت بمخاطبة جميع الآلايات البيادة والسوارى والطوبجية الموجودة فى القاهرة بواسطة فن الاشارة العسكرية للاستعداد للحضور الى ميدان عابدين فى الساعة

العاشرة عربى من يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لعرض طلباتنا العادلة على الحضرة الخديوية

وكتبت الى ناظر الجهادية ليخبر الخديو بأن جميع الآلايات ستحضر الى ساحة عابدين فى الساعة المذكورة لعرض طلبات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وضمان مستقبلها . ثم كتبت الى قناصل الدول مؤكدا لهم ان لا خوف البتة من تلك المظاهرة على رعاياهم لانها متصلة الغاية بأحوال البلاد الداخلية

ولما وصل كتابى الى ناظر الجهادية أسرع بعرضه على الخديو الذى استدعى رياض باشا رئيس النظار فى الحال وفاوضه فى الأمر . ثم بعث الينا بطه باشا لطفى لنعدل عن القيام بالمظاهرة . وذهب الخديو بعد ذلك ومعه رياض باشا وخيرى باشا رئيس ديوانه الى مركز آلاى الحرس بقشلاق عابدين وجمع الضباط والعساكر وأخذ ينصح لهم بقوله: « أنتم أولادى وحرسى الخصوصى فلا تتبعوا التعصب الذميم ولا تقتدوا بأعمال الآلايات الأخرى » فأجابوه بالسمع والطاعة . ثم أمر على بك فهمى حكمدار آلاى الحرس بأن يوزع عساكره على نوافذ السراى وأبوابها من الداخل ليتخذوها متاريس لهم عند الاقتضاء ، ففعل . أما طه باشا فانه قابلنا وسألنا عن قصدنا فأخبرناه بما عزمنا عليه من عرض طلبات عادلة لا بد منها لضمان حرية الأمة وسعادتها . فرجع ليخبر مولاه بما رأى وسمع . وبعد توزيع عساكر آلاى الحرس على السراى كما أسلفنا توجه الخديو الى القلعة وبمعيته رياض باشا وخيرى باشا ليحاول منع الآلاى الثالث من الذهاب الى ساحة عابدين . وعند وصوله وجد الآلاى المذكور واقفا تحت السلاح ينتظر الأمر بالسير . فطلب الضباط ووبخهم . ثم أمسك بتلابيب البكباشى فوده أفندى حسن وقال له : « أمثلك يعارض أوامر الحكومة

ويسعى فى وقف اجراءاتها ؟ » وهنا هاج العساكر وماجوا وأمر اليوزباشى محمد أفندى السيد البروجية بضرب نوبة « سونكى ديك » فأسرع العساكر الى تركيب السونك فى رؤوس البنادق وأحاطوا بالخديو ومن معه صارخين بقولهم (أترك البكباشى) • فتركه وقال : « مر العساكر بأن ينفرجوا عنا يا بكباشى » فأمرهم بالرجوع الى حالتهم الأولى • ثم تركهم الخديو وسار بمن معه من طريق الجبل قاصدا العباسية ليمنعنى من القيام بما عزمت عليه • فلما وصل الى مركز الآلاى طلبنى فلم يجدنى • وأخبره اليوزباشى حكمدار الخفر بأنى توجهت بالآلاى حكمداريتى وآلاى الطوبجية حكمدارية اسماعيل بك صبرى بمدافعه وجباخانته الى عابدين منذ ساعة • فقفل راجعا الى السراى

وكان عبد العال بك حلمى حكمدار الآلاى السودانى قد قام مع آلايه • ولما وصل الى ساحة المنشية أمر العساكر بالاستراحة وتنظيف ملابسهم من الأتربة • وهناك بلغه خبر ذهاب الخديو الى القلعة فأخذ بلوكين من العساكر وصعد الى القلعة ليستكشف الأمر الذى أوجب الخديو أن يترك مركزه فى الوقت المعين لاستعراض الآلايات عليه والمطالبة بالاصلاحات اللازمة للجهادية وللأمة جميعا

فلما وصل الى مركز الآلاى الثالث واستعلم عن سبب مجيء الخديو أحيط علما بما حصل • وكان الوقت قد حان فنزل من القلعة وخلفه الآلاى الثالث يقوده البكباشى فوده حسن لأن الأميرالاى ابراهيم بك حيدر قد ترك الآلاى وذهب الى بيته حتى لا يشترك فى تلك المظاهرة هلعا وجبنا ونذالة

الجيش فى ساحة عابدين

كان أول من حضر الى ميدان عابدين الآلاى السوارى بقيادة أحمد بك عبد الغفار • ثم حضرت بآلاى العباسية



عرابى فى ساحة عابدين

ومعى آلاى الطوبجية يقوده اسماعيل بك صبرى .وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورطة البيادة أثناء المسير . وكان ذلك فى يوم الجمعـة الواقع فى ١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ و ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م . وهناك أخبرنى بعض الضباط ان آلاى الحرس الخديوى (حكمدارية على بك فهمى) وزع داخل السراى وهو على استعداد للدفاع عنها اذا مسـت الحاجة ومعه كمية وافرة من الجباخانة . فبعثت بالملازم محمد أفندى على الى الحكمدار المذكور ليستدعيه الى . فلما حضر سألته عن سبب وضع العساكر فى أبواب السراى ومنافذها من الداخل وما هو القصد من ذلك ؟ فقال : « ان السياسة خداع » فطلبت منه أن يجمع آلايه ويأخذ محله فى الميدان.

فأمر بخروج الآلاى جميعه وأخذ المحل المعين له فى الدائرة. ثم صار ترتيب آلاى الطوبجية والسوارى والبيـادة على شكل مربع . وحضر بعد ذلك الآلاى الثانى من قصر النيل يقوده أحمد أفندى صادق اليوزباشى ومعه أحمد أفندى عبد السلام ورسول أفندى اليوزباشى لامتناع الأميرالاى محمد بك شوقى والبكباشية عن مرافقتهم . ثم جاء الآلاى الثالث من القلعة بقيادة فوده أفندى حسن والآلاى السـودانى بقيادة عبد العال بك حلمى . وأورطة المستحفظين يقودها القائمقام ابراهيم بك فوزى

حديثى مع الخديو

فلما كمل اجتماع الجيش فى عابدين كان الميدان غاصا بجماهير المتفرجين من الوطنيين والأجانب ونوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحتها ملأى بالمتفرجين والمتفرجات

وأما الخديو فانه لما عاد من العباسية دخل السراى من الباب الشرقى المسمى (بباب باريز) وصعد الى الايوان ثم نزل منه ومشى فى الميدان وحواليه المستر كوكسـن

(قنصل انجلترا في الاسكندرية) والجنرال جولد سميث (مراقب الدائرة السـنية) ونفر من جاوشية المراسلة الخديوية • حتى اذا ما توسط الساحة طلبني فتوجهت اليه لأعرض مطالب الأمة وكنت راكبا جوادى وسيفى فى يدى ومن خلفى نحو ثلاثين ضابطا • فلما دنوت منه صاح بى أن ترجل وأغمد سيفك • ففعلت • ثم أقبلت عليه وفى تلك اللحظة أشار عليه المستر كوكسن بأن يطلق غدارته على فالتفت اليه، وقال : « أفلا تنظر الى من حولنا من العساكر» ثم صاح بمن خلفى من الضباط أن اغمدوا سيوفكم وعودوا الى بلكاتكم • فلم يفعلوا وظلوا وقوفا خلفى ودم الوطنية يغلى فى مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم • ولما وقفت بين يديه مشيرا بالسلام خاطبنى بقوله : « ما هى أسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟ » فأجبته بقولى : « جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة ، وكلها طلبات عادلة» فقال : « وما هى هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هى اسقاط الوزارة المستبدة ، وتأليف مجلس نواب على النســق الأوربى ، وابلاغ الجيش الى العدد المعين فى الفـرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها » • فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احساناتنا » • فقلت : « لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو اننا سـوف لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم ! »

وكنت أرى الجنرال جولد سميث كلما سمع جملة من كلامي رجع القهقرى خطوات ، ثم يعود الى محله فى الدائرة المحاطة بالضباط والجاويشية • فأشار المستر كوكسن على الخديو بالرجوع الى السراى زاعما أنه يخشى عليه سوء اذا زادت المخاطبة عن ذلك الحد

كدنا نعزل الخديو

وبعد رجوع الخديو الى داخل السراى عاد المستركوكسن ومعه المستر كلفن المراقب المالى الانجليـــزى ، وخاطبنى بالنيابة عن الخديو كرسول من طرفه • قال :

« ان طلب اسقاط الوزارة وطلب تأليف مجلس النواب من حقوق الأمة لا من حقوق الجيش ، ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لا تساعد على ذلك »

فقلت :

« اعلم ياحضرة القنصل ان طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد اليها الا لأنهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم • فهم القــوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة •وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر فهـــم الأهالى الذين أنابونا عنهم فى طلب حقوقهم • واعلم علم اليقين اننـــا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ »

فقال القنصل : « علمت من كلامك انك ترغب فى تنفيذ اقتراحاتك بالقوة وهذا أمر ينشأ عنه ضـــــياع بلادكم وتلاشيها »

فقلت :

« كيف يكون ذلك ومن ذا الذى يعارضنا فى أحـــوال داخليتنا • فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة الى أن نفنى عن آخرنا »

فقال القنصل : « وأين هى قوتكم التى ستدافع بها ؟ »

فقلت : « عند الاقتضاء يمكن أن يحشد مليـــون من العساكر يدافعون عن بلادهم يسمعون قولى ويلبون اشارتى»

فقال القنصل :

« وماذا تفعل اذا لم تجب الى ما تطلب ؟ »

فقلت : « أقول كلمة أخرى »

فقال : « وما هى ؟ »

فقلت : « لا أقولها الا عند اليأس والقنوط » ..!

اجابة مطالبنا

ثم انقطعت المخابرات ساعة تقرر فى غضـــونها اجابة مطالبنا وتنفيذها بالتدريج . ثم اسقطت الوزارة وطلب الى الخديو قبول تعيين حيدر يكن رئيسا للوزارة الجديدة . فلم أوافق على ذلك لانه من أقربائه وعرضت تعيين محمدشريف باشا . وبناء على ذلك استدعى شريف باشا من الاسكندرية بالتلغراف

وبعد صدور أمر الخديو باجابة مطالبنا توجهت اليـــه وشكرت له ارضاءه ضمير الأمة ، فأقســم بأنه مرتاح لما فعل ، وانه وافق على تلك الطلبات بنية صافية . فكررت له الشــــكر والدعاء . ثم أمرت فانصرفت الآلايات الى مراكزها ما عدا آلاى السودان فانه قضى ليلته فى ضيافة آلاى الحرس بقشلاق عابدين

وفى يوم ١٠ سبتمبر ســـنة ١٨٨١ توجهت الى سراى شريف باشا وهنأته برياسة الوزارة الجديدة ، وطلبت منه أن يعنى بانتخاب من يؤازرونه فى سرعة تأليـف مجلس النواب . ونشر الحرية فى البلاد . ورغبت اليه فى تعيين محمود سامى باشا ناظرا للجهادية . ومصطفى فهمى باشا ناظرا للخارجية لما أعلمه من ميلهما الى العدل والحرية . فأبى وقال : « انى لا أقبل أن يكون فى وزارتى محمـود سامى ولا مصطفى فهمي لانهما لم يوفيا بالعهـــــد الذى تعاهدنا عليه من قبل . فقد اتفقنا على انه اذا رفض الخديو الموافقة على تأليف مجلس نواب استقالت وزارتنـــا ولا يشترك أحد منا بعد ذلك فى الوزارة الجديدة ولكنهمـــا

نكثا بالعهد وقبلا الدخول في وزارة رياض باشا التي قامت بعد وزارتنا والتي سقطت بالأمس • لذلك لا أستطيع أن أشتغل معهما » • فقلت له : « ان لكل وقت حكما واني أثق بحبهما للحرية والعدل والمساواة • وفضلا عن ذلك فان الجيش لا يطمئن لغير محمود سامي باشا » • فقال : « أفلا ترضون أن أكون ناظرا للجهادية ، فاني قد تربيت معكم في العسكرية » • فقلت : « لقد اخترناك رئيسا للوزارة ولا بد من مراعاة ميول رجال الجيش » فلما أصر على عدم قبولهما في وزارته تركته ، ورجعت الى أشغالي من غير أن يتم شيء في أمر الوزارة

وزارة شريف باشا

وفي يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى ، وقلت أنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض • فقلت له : « ان لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك • ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك • ففيها بحمد الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير » فأغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جوابا • ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوي عاشور (وكيل زراعته الذي نال رتبة باشا في زمن الاحتلال حين كان شريف باشا رئيسا للنظار أيضا) وقال ان الباشا قبل ما عرضته عليه وأنه يريد مقابلتي • فذهبت اليه مع محمود سامي باشا حيث أعلن لنا تأليف الوزارة على الوجه الآتي :

شريف باشا : رئيسا للنظار وناظرا للداخلية ـ محمود سامي باشا : ناظرا للجهادية والبحرية ـ حيدر باشا : ناظرا للمالية ـ اسماعيل أيوب باشا : ناظرا للاشغال ـ مصطفى فهمي باشا : للخارجية ـ زكي باشا : ناظرا

للاوقاف والمعارف ـ قدرى باشا : ناظرا للحقانية

ثم رفع الى الخديو تقريرا ضمنه الكلام على السياسة التى ستجرى عليها وزارته والاعمال التى ستباشرها • فأجاب عليه الخديو بالموافقة

□

وفى يوم الأحد الواقع فى ١٤ شوال سنة ١٢٩٨ وفد على شريف باشا كثير من وجوه البلاد وأعيانها نذكر منهم سليمان باشا أباظه وشريعى باشا وسلطان باشا وأمين بك الشمسى ومنشاوى بك والشيخ على الليثى وعبد السلام بك المويلحى والشيخ أحمد محمد والشيخ الصباحى وابراهيم أفندى الوكيل وقدموا لدولته تقريرين أولهما كضمانة وكفالة لتعهداتنا ودليل على اشتراكهم معنا فى الطلبات الوطنية التى نحن متضامنون عليها وهذه صورته:

« نحن الواضعون أسماءنا أدناه علماء ومشايخ وأعيان وعمد مصر واسكندرية والثغور والوجهين البحرى والقبلى لاعتقادنا التام بحسن صفات وغيرة أعضاء مجلس النظار الذين صار انتخابهم بمعرفة دولتكم بالحكومة المصرية • واظهارا لصداقتنا التامة وخلوص نية الجيش نحن ضامنون ومتكفلون بصدق وصحة التعهدات التى من مقتضاها تمام الانقياد لأوامر دولتلو شريف باشا » اهـ

أما الثانى وعليه ١٦٠٠ توقيع فهو يتضمن طلب تأليف المجلس النيابى وفقا للارادة الخديوية وهذه صورته :

« لما كان لا ينتظم نظام العالم ولا يقوم قوام الهيئة الاجتماعية الا بالعدل والحرية حتى يكون كل انسان آمنا على نفسه وماله حرا فى أفكاره وأعماله مما فيه سعادته وحسن حاله • وهذا لا يتأتى الا بايجاد حكومة شورية

عادلة لا تشوبها شوائب الاستبداد ولا تتطرق اليها طوارق الفساد . اتخذت الممالك المتمدنة العادلة مجالس ملية من نبهاء أممها ينوبون عنها فى حفظ حقوقها تجاه هيئة حكوماتها ويكون الواسطة الحقيقية فى تنفيذ ما تصدره الحكومات من الأحكام العادلة . وعلى هذه القواعد ولأجل هذه المقاصد كان قد اتخذ لحكومتنا مجلس نواب فى العهد السابق . وبما أن مقاصد خديوينا المعظم جميعها خيرية ونياته سليمة فطلبا لحفظ بلادنا من بوائق الدهر تجاسرنا بعرض هذا راجين من المراحم الداورية صدور الأمرالكريم بتشكيل مجلس نواب لأمتنا المصرية يكون له ما لمجالس الأمم الأوربية المتمدنة من الحقوق الشرعية ازاء هيئة الحكومة . وبذلك تكون الحضرة الفخيمة الخديوية قد خولتنا نعمة لا تعادلها نعم وتصير حكومتها العادلة أنموذجا شريفا يبرهن على حسن نتائج العدل والحرية أمام العالم . واننا على يقين من قبول التماسنا هذا وفقا لارادة ولى النعم أدام الله اجلاله »

الجيش هو القوة المنفذة

وفى يوم الجمعة ٢٢ شوال سنة ١٢٩٨ توجهت مع بعض الضباط لمقابلة شريف باشا وتهنئته برياسة الوزراء بالنيابة عن الجيش فقلت له : « أعرض لدولتكم اننا جميعا واثقون بصداقتكم وخلوص طويتكم لمحبة الوطن وأهله وجازمون بأن الصفات التى تحليتم بها ستكون سببا فى وقاية بلادنا واستتباب الراحة العمومية فيها . واننا لنعلم واجباتنا والفروض التى توجبها علينا وظائفنا العسكرية وأعظمها حفظ البلاد ومن فيها . ولذلك فاننا نعترف بأننا القوة المنفذة لما يصدر من الأوامر التى تكون ان شاء الله فى خير البلاد وصلاح العباد . الا أن لنا حقوقا معلومة يمنحها لنا القانون فنرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحسن

الينا بنوالها بمساعدتكم • ونسأله سبحانه أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح آمين » ثم أمن الحاضرون فرد علينا بقوله :

« فى علمكم ما قال الأقدمون : آفة الرياسة ضعف السياسة • ولا حكومة الا بقوة ولا قوة الا بانقياد الجنود انقيادا تاما وامتثالهم امتثالا مطلقا

« كل حكومة عليها فرائض وواجبات من أهمها صيانة الوطن وحفظ الأمن العمومى فيه وهذا وذاك لا يتأتيان الا بطاعة رجال الجيش•فترددى أولا فى قبول الرياسة ما كان الا تجافيا عن تأسيس حكومة غير قوية تخيب بها الآمال ويزيد معها الاشكال فأكون عرضة للملامة بين اخوانى فى الوطن وبين الأجانب • وحيث أغاثتنا الالطاف الالهية وحصل عندى اليقين بانقيادكم ، فقد زال الاضطراب من القلوب ورتبت الهيئةالجديدة من رجال ذوى عفةواستقامة• فأوصيكم بملاحظة الدقة فى الضبط والربط لأنهما من أخص شؤون العسكرية وأساس قواها • واعرفوا انكم مقلدون أشرف وظيفة وطنية فقوموا بأداء واجباتها الشريفة وعلى القيام بأداء كل ما يزيدكم فخرا وسؤددا وفقنا الله واياكم »

وفى ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ قدم شريف باشا الى الخديو تقريرا بقوانين الاصلاحات العسكرية التى كانت من ضمن طلباتنا فى يوم حادثة عابدين المشهورة

الوفد العثمانى

فى ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ ورد تلغراف من الآستانة ينبىء بأن جلالة السلطان عقد عزمه على ارسال وفد الى القطر المصرى من غير أن يشاور الوزراء فى الأمر • وأنه

عين على نظامى باشا رئيسا للوفد المذكور • وعلى فؤاد بك معتمدا ثانيا • وأحمد راتب باشا وصفر أفندى وهما من ياوران الحضرة السلطانية • وأنهم قد سافروا جميعا فى يوم ٢ اكتوبر قاصـــدين الاسكندرية • فوقع ذلك النبأ موقع الدهشة والاستغراب لدى جميع الدول الأوربية • لأنه لم تسبقه مقدمات ولا مخابرات مع تلك الدول • وقد توجه كل من قنصل فرنسا الجنرال وقنصل انجلتـــرا (السير مالت) الى الخديو وأخبراه بأنهما لا يعلمان شيئا عن أسباب قدوم الوفد العثمانى • وأكدوا له بأن الوفد المذكور لا يمكنه أن يعبث بشىء من حقوقه

وفى يوم الخميس ١٣ ذى القعده سنة ١٢٩٨ وصـــل الوابور الهمايونى (طليعت) الى مينـــاء الاسكندرية فى منتصف الساعة السادسة مقلا حضرة صاحب الدولة عـلى نظامى باشا وحضرة صاحب العطوفة على فؤاد بك وقدرى بك وصفر أفندى وسيف الله أفنـــدى من ياوران الحضرة الشاهانية • فأطلقت مدافع السلام من وابور محمد عـلى وطابية رأس التين • كما أديت التحيـــة من بقية المراكب المصرية الراسية فى الميناء • وتوجه ذو الفقـــار باشا سر تشريفاتى خديوى ومعه المحافظ ومأمور الضـــبطية وفريق آلايات الاسكندرية ووكيل البحرية الى الوابور (طليعت) وبلغوا حضرات القادمين سلام الخديو • ثم نزلوا الى البر وذهبوا الى سراى رأس التين للاستراحة من متاعب السفر

وبعد أن ارتاحوا ركبوا الى محطة السكة الحديدية ، حيث شيعهم فيها حضرات الذين استقبلوهم من قبل • وكان فى انتظارهم قطار خاص أقلهم فى منتصف الســـاعة الرابعة بعد الظهر الى القاهرة فوصلوها فى الساعة الثامنة مساء• وكان فى استقبالهم فى محطة مصر سعادة طلعت باشـــا باشكاتب الديوان الخديوى وغيره من المأمورين • فبلغهـــم

طلعت باشا سلام الخديو ثم ركبوا الى قصر النزهة بجهة شبرا وكان قد أعد لنزولهم فيه مدة اقامتهم فى مصر

وفى الساعة الرابعة العربية من صبيحة يوم الجمعة توجهوا الى سراى الاسماعيلية لزيارة الجناب الخديو ، فقوبلوا عند وصولهم بغاية التعظيم • وكان على سلم السلاملك سعادة طلعت باشا وسعادة خيرى باشا والتشريفاتية وياوران الحضرة الخديوية • فساروا بهم الى حيث الجناب العالى الذى حياهم وأكرم مثواهم

وفى منتصف الساعة العاشرة ركب الخديو عربته وتوجه الى قصر النزهة ليرد لهم الزيارة ثم عاد الى سراى الاسماعيلية

زيارة على نظامى باشا للالاى الثانى بقصر النيل

توجه على نظامى باشا المندوب السلطانى لزيارة الآلاى الثانى بقصر النيل ، فلما وصل اليه استقبله حكمدار الآلاى طلبه عصمت بك بعساكره حاملى السلاح • وبعد أداء التعظيم اللازم دخل ديوان الجهادية مع ناظرها محمود باشا سامى والأميرالاى طلبه بك عصمت ثم خاطب طلبه بك بقوله : « أخبر حضرات الضباط الكرام انى عسكرى دخلت العسكرية وتربيت فيها الى أن نلت الرتب السامية • فقد كنت قائد جيش عظيم ثم تفضل على مولانا وسيدنا السلطان الأعظم بترقيتى الى وظيفة سر ياورانه بمعنى انى نائب عن مقامه السامى فى تنفيذ أحكامه العالية • فانكم تعلمون أن الجندحامية الملك وعون الخليفة على تنفيذ أوامره • وقد قضيت فى العسكرية اثنين واربعين عاما وهذا هو الشرف الذى اعتز به فانه لا شرف للانسان الا خدمة الملة بنفسه وروحه • وبصفة كونى سر ياورا شاهانيا أخبر حضرتكم أن مصر قلب الدولة العلية وهى بين أعين مولانا وسلطاننا المعظم نخشى عليها ما نخشاه على أنفسنا وديارنا

فانها من الأراضي السلطانية • والجناب الخديو العالي هو نائب السلطان فالناظر اليه ناظر للسلطان »

فأجابه طلبه بك عصمت بقوله :

« أقدم لدولة السر ياور الأعظم احتراما يليق بمقامه السامي وأعرض على مسامعه ان الجيش المصرى الشاهاني يعترف لمولانا وامامنا سلطان الملة الاسلامية بالسلطة والسيادة على مصر • واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن اخواني الأمراء واخوتي العساكر المصرية أقدم لمولانا السلطان الأعظم خضوعنا واعترافنا بسيادة جلالته ، كما اني أعترف مع جميع اخواني بحفظ ناموس مولانا الخديوى وامتيازاته السلطانية ونخضع له خضوع الأبناء لآبائهم ونقر بسيادته علينا ونيابته عن المقام الشاهاني • وليس بيننا وبين مقامه السامي ما يوجب اضطرابا أو يحدث قلقا أو يحرك ذكرا في السياسة وغيرها • واني أقدم لدولتكم العلية هذا الخطاب ، وأنا معتقد بأني أخاطب وكيل الحضرة السلطانية • وانا نشكر عنايتها وسعيها واجتهادها في دفع أفكار السياسيين عنا بما ألفناه من رحمتها وحنوها ورأفتها بنا • »

فرد عليه على نظامي باشا بقوله :

« كذا تكون أمراء الجيوش • واني قد سررت بما علمته من حسن نيتكم وطهارة بواطنكم وحبكم للجناب الخديو السامي • وقد تأكد عندي أن تظاهركم العسكرى لم يكن لاضرار ولا افساد »

فقال طلبه بك :

« سيدى •• ان تظاهرنا كان لحفظ البلاد ووقاية شرف أميرنا ومولانا الخديو • ومع النوازل التي رأيناها قد أحاطت بأوطاننا فاننا رأينا رئيس النظار السابق يبذل جهده في تقليل الجند وتبديده • فعلمنا أنه يريد بالبلاد شرا • اذ

لا يخفى على فطنة دولتكم أن الملك لا يحفظ الا بحامية الجند والجند ان لم يكن كافيا لحفظ الحدود ورد العدو كان كعدمه. وبلادنا مع كثرة الأجانب فيها واحتياجهـــا لحفظ الأمن ومراقبة الأعداء لا يقوم بحفظها الا قوة عظيمة من الجند . وقد عارضنا في تقليل القوة العسكرية فاستبد علينا رئيس النظار وأبى الا تنفيذ أغراضه . فضلا عن أننا رأيناه يمشى في غير طريق الوطنية ولا يفعل الا ما يشاء . وهذا ما يضر بالوطن وصالح الدولة العلية ويمس شرف مولانا الخديو

« وقد كررنا طلب حقوقنا وحقوق الأمة ، فلم نجد غير أذن صماء وعين عمياء ، فاضطررنا الخوف على بلادنا وأميرنا للقيام بالجند ووقوفنا في ساحة عابدين . وقدمنا طلبنـــا للجناب الخديو بوساطة أخينا الأكبر ونائبنا جميعا (أحمد بك عرابى) . فتفضل علينـــا بالاجابة وسلم الرئاسة العظمى لصاحب الدولة والهمة العلية دولتلو مخمد شريف باشا وهو خير كفؤ لذلك . ونحن الآن راضون عن الهيئة الحاضرة معترفون بسيادة مولانا السلطان الأعظم خاضعون لأميرنا الخديو . ولم يبق عندنا شيء سوى خدمة الوطن العزيز بحياتنا .

« وكما أن الدولة العلية ترى مصر قلب الدولة فكذلك نحن نرى الدولة محل سطوتنا ومركز آمالنا ودار الخلافة الاسلامية . واننا نرجو أن تجتمع كلمة المسلمين فى سائر الأقطار وتتحد قلوب المؤمنين لتكون يدا واحدة فى وقاية دولتنا من جميع النوازل أعاذها الله منها . ولا نشك فى أن اخواننا المسلمين يجدون فى بث الاتحاد بينهم وجمـع الكلمة على تأييد ملكنا وسلطاننا المعظم خلد الله سلطانه »

ولما أتم كلامه وقف على نظامى باشا وصافح طلبه بك ومن معه من الضباط وأثنى عليهم ثناء جميلا . ثم جلس مع ناظر الجهادية محمود سامى باشا نحو نصـــف ساعة

وذهب بعد ذلك فزار شيخ الجامع الأزهر ونقيب الاشراف والشيخ عليش شيخ السادة المالكية • وكانوا يبـــاهون جميعا بما فعلته الجهادية وما وصلت اليه الحالة بفضــــل رجالها

وقد مكث رجال الوفد فى مصر بضعة عشر يوما أقيمت لهم فى خلالها المآدب الفاخرة • أما الخديو فقد أكد لهم بأن الجيش على طاعته ، وان ليس فى مصر ما يوجب الاضطراب

وفى ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ سافر الوفد الشاهانى الى الاسكندرية مقتنعا بما رأى وسمع • وفى صباح اليــوم التالى أقلته البارجة (طليعت) الى الآستانة • وقد أطلقت المدافع ايذانا بسفرهم واجلالا •

سفر الآلاى السودانى الى دمياط وسفرى بالآلاى الرابع الى رأس الوادى

لما ورد من الآستانة تلغراف ٣ اكتوبر سنة ١٨٨١ المار ذكره علم الجميع أن مجىء الوفد الشـــاهانى هو لتحقيق التمردالعسكرى الذى أشاعته أوربا لتجعلهوسيلة لتتداخل فى افساد ما تم من الاصلاحات فى القطر المصرى • ولقد ماجت الأفكار واضطربت خواطر رجال الاستبداد وأوجس الخديو من جراء ذلك شرا • فاتفق مع الوزارة الجديدة على أن لا يسمح لرجال الوفد المذكور بمقابلتنا ، وأن يعترف الخديو بأن لا تمرد ولا عصيان فى الجيش ، وأن الجيش على طاعته ولا موجب للاضطراب • وانه يلزم ارسال الآلاى السودانى الى دمياط ، والآلاى الرابع حكمداريتى الى رأس الوادى •

هذا ما تم الاتفاق عليـــه بين الخديو والوزارة • وقد أخبرنا ناظر الجهادية محمود سامى باشا بكل ذلك فوافقنا عليه مبدئيا تطمينا للنفوس وتسكينا للقلوب ، ولكن عـلى

شرط صدور أمر الخديو بانتخاب النواب قبل سفرنا

ثم نبهنا على عبد العال بك بالتأهب للسفر الى دمياط وأن يأخذ معه موسيقى الآلاى الثانى البيادة

سفر الآلاى السودانى

سافر عبد العال بك حلمى بالآلاى السودانى الى محطة السكة الحديدية مارا وسط المدينة • وكان قد سبقه اليها معظم ضباط الجيش وضباط البوليس للقيـــام بواجب التوديع • وكان عدد الحضور غير قابل للعد والاحصــاء • ولما وصل الآلاى المذكور الى المحطة أخذ عنـــاني بك من أعيان القاهرة ينثر الورد والرياحين على رؤوس العساكر • وقد سقى الناس شرابا ســـــكريا فى ذلك اليوم اكراما للجيش المنقذ للبلاد من هاوية الاستبداد • وكنت حينذاك مع ناظر الجهادية محمود سامى باشا فى جملة المودعين

وتلا كل من محررى جريدتى الطائف والمفيد (السيد عبد الله نديم والسيد حسن الشمسى) خطابا تضمن المدح والثناء علينا وعلى هيئة الجيش

وهذا هو خطاب السيد عبد الله نديم :

« حماة البلاد وفرسانها

« من قرأ التواريخ وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم اليه من الشرف وما كتب لكم فى صفحات التاريخ من الحسنات • فقد ارتقيتم ذروة ما سبقكم اليها سابق ولا يلحقكم فى ادراكها لاحق الا وهى حماية البلاد وحفظ العباد وكف يد الاستبداد عنهمـــا • فلكم الذكر الجميل والمجد المخلد يباهى بكم الحاضر منأهلنا ويفاخر بمآثركم الآتىمن أبنائنا • فقد حيى الوطن حياة طيبة بعد أن بلغت الروح التراقى • فان الأمة جسد والجند

روحه ولا حياة للجسم بلا روح · وهذا وطنكم العزيز أصبح يناديكم ويناجيكم ويقول :

اليكم يرد الأمر وهو عظيم فانى بكم طول الزمان رحيم
اذا لم تكونوا للخطوب وللردى فمن أين يأتى للديار نعيم
وان الفتى ان لم ينازل زمانه تأخر عنه صاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة فمشدود أطراف الجهات قويم
اذا لم تكن سيفا فكن أرض وطأة فليس لمغلول اليدين حريم
وان لم تكن للعائذين حماية فأنت ومخضوب البنان قسيم

« ولقد ذكرت باتحادكم وحسن تعاهدكم ما كان من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم عند تغيب سيدنا عثمان فى أهل مكة من مبايعة أهل الشجرة على حفظه وصيانته صلى الله عليه وسلم · فصاروا يعنونون بالعشرة المبشرين بالجنة · وأنتم قد تعاهدتم على حفظ الاوطان وبقاء سطوة مولانا الخديو وتأييد ملكه · وتبايعتم على الدفاع ووقاية أهليكم من كل ما يذهب بالثروة أو يضعف القوة أو يخدش الشرف فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به · وذلك هو الفوز العظيم »

سفر الآلاى الرابع

وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٨١ تأهبت للسفر الى رأس الوادى · وكان قد صدر الأمر العالى بانتخاب النواب قبل ذلك بأربعة أيام · فمررت بالآلاى المذكور فى وسط مدينة القاهرة المحروسة من باب النصر والموسيقى العسكرية تعزف فى مقدمة الآلاى على حسب العادة الى أن بلغنا مسجد سيدنا وولى نعمتنا الامام الحسين · فوقف الآلاى مقابلا للمسجد تعظيما واجلالا لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام · ثم دخلت الى المقام الحسينى مع بعض الضباط

وأمرنا بيرق الآلاى على الضريح الشريف • وسألنـــا الله جل شأنه أن يوفقنا لما فيه خير البلاد ونفع العبـاد • ثم خرجنا وسرنا بالآلاى على الهيئة السالف ذكرها وكانت الشوارع ممتلئة بالمودعين والمتفرجين الى أن بلغنا محطـة السكة الحديدية • وكان قد سبق اليها جميع ضباط الجيش المصرى ورؤسائه وكثير من الذوات والتجار وعامة الناس وبالجملة فان هذا الاحتفال كان في ذلك اليوم مما لم يسبق له مثيل في مصر ، فقمت فى الحاضرين خطيبا قبل سفرنا وقلت ما يأتى :

« سادتى واخوانى

« بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنـــا غرس الاستبداد ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها • وما قصدنا بسعينا افسادا ولا تدميرا ، ولكن لما رأينا أننا بتنا في اذلال واسعباد ولا يتمتع فى بلادنا الا الغرباء • حركتنا الغيرة والوطنية والحمية العربية الى حفظ البـــلاد وتحريرها ، والمطالبة بحقوق الأمة • وقد ساعدتنا العناية الالهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينـــا السائر بنا في غير طريق الوطنية • وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شئونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم • ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوربية ما حصلت على الحرية الا بالتهور واراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البـــلاد ونحـــن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلبا أو نضيع حقـا أو نخدش شرفا ، وما أوصلنا الى هذه الدرجة القصوى الا الاتحاد والتضافر على حفـظ شرف البلاد • فالآن ننادى بصوت واحد « فليعش الخديو واهب الحرية • فليعش الجيش المصرى طالب الحـــرية • فلتعش الحرية فى مصر خالدة مؤبدة

« نحن الآن فى نعمة جليلة وعزة جميلة • وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من اخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة • ويجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة • ولقد ألقينا مقاليــدنا الى وزرائنا الكرام ورئيسهم الشهم الهمام شريف النفس عظيم القدر وبين أيديهم عقبات ومصاعب فلا تزدهم ارتبــاكا بتخاذلنا • بل نلزم وحدة الاتحاد ونحافظ على البلادونسير معهم فى طريق الاصلاح أينما ساروا • وانا قائمـون الى رأس الوادى امتثالا لأمر رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله سعادة محمود باشا سامى ناظر جهاديتنا • ليعلم الجميع ان قيامنا كان لطلب الحقوق لا للعقوق • وان الطمأنينة عادت كما كانت وعدنا الى ما نشأنا عليه من طاعة مولانا الخديو وخضوعنا له ولوزرائه الفخام • فلا تأخذكم الأراجيف واشاعات أعداء الوطن وثقوا بسعى أميرنا ورجاله

« وأخص اخوانى رجال الجيش بحفظ وحدة الاتحادوعدم الاصغاء الى الوشاة والحساد • فانكم تعلمون أننا جاهدنا فى هذا الأمر أعواما طوالا حتى ربطنا القلوب وألفنــــا النفوس • وبيننا من الأعداء من يسعى فى تفريق كلمتنا واضرام نار الفتنة بيننا • فاردعوهم بلســـــان التقريع واحفظوا لنا ما عاهدناكم عليه • فالبلاد محتاجة الينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات والا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه

« تعلمون أنكم كما قمتم وأنقذتم أمراءكم الثــلاثة بل اخوانكم من السجن ، بل من القتل • كذلك قمنا لكم وبكم فانقذنا الوطن من الاستبداد ورفعناه الى عرش الحرية

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

« ونحن نفتخر بالأبناء • فقدفتح لنا الآباء الفتوح ونحن حفظناها • فاجعلوا عروة الاتحاد بينكم وثيقة • وانى سائر

باخوانكم الى رأس الوادى فاستودعكم الله جميعا وأقبل أخي على بك فهمي بالنيابة عن الجيش كله وأخي محمد أفنـدى عبيد بالنيابة عن جميع المودعين من أمتنا الشريفة المحبوبة»

فقام السيد عبد الله نديم . وكان قد عاد من دميـاط فخطب الحاضرين بمعنى ما خطبت . وكان مصـطفى بك عنانى وبعض الأهالى ينثرون الزهور والرياحين على رؤوس العساكر ويقدمون لهم الحلوى ويسقون الناس شرابا سكريا لذيذا

ولما قرب وقت مسير القطار صحت مودعا جميـع المشيعين . ثم سار بنا القطار قاصدا مدينـة الزقازيق يصحبنا السيد عبد الله نديم

وكنا فى أثناء المسير كلما وقفنا فى محطـة يستقبلنا الأهالى بالفرح والسرور ومزيد الاحتفاء والاجلال ،فيخطب السيد عبد الله نديم فيهم بمثل ما سلف ذكره .واستمرت مظاهر الاحتفالات على هذا المنوال الى أن دخل القطار محطة الزقازيق (مركز مديرية الشرقية) فاستقبلنا فيها جمهور الأهالى والتجار يتقدمهم أمين بك الشمسى وهتفوا لنـا وللجيش بالدعاء وعلى وجوههم علامة الفرح والسرور .ولما وقف القطار نثروا على العساكر الورد والأزهار العطرية وسقوهم الأشربة السكرية .

ثم خرجت من القطار وسلمت على جموع المستقبلين . وألقيت عليهم الخطاب الآتى :

« سادتى واخوانى

« أنا أخوكم في الوطنية واسمى أحمد عرابى ولدت فى بلدة (هرية رزنة) من بلاد الشرقية هذه . فمن عرفنى منكم فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فقد عرفتـه بنفسى . وها أنذا واقف بين أيدى الأهل والخلان . وقد بلغـكم

ما تطلبناه من قطع عرق الاستبداد وتحرير البلاد وأهلها. وبعناية الله سبحانه منحنا مولانا الخديو هذه الأمنيـــة فنحن لم نخرج من العاصمة عصيانا ولا تظاهرا بعدوان . وانما سرت بالجيش ووقفت بين يدى الخديو وقفة الطالب الراجي كرم مولاه . فلا تعولوا على الأراجيف واشاعات أهل الفساد . واعلموا أن البلاد محتاجة الى الخدمة بالقوة والفكر والعمل . أما القوة فنحن رجالهـا ولا ننثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس . وأما الفكر فهو منـــوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام وهم لا يهنأ لهم عيش الا اذا طاب لنا ولا يدركون الراحة الا بأمننا . فهم يسهرون الليـــل ويقضون النهار فى سلوك السبل المؤدية الى حفظ الأمة وسلامتها من العوارض . وأما العمل فهو منوط بكم فان القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة . وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها والحقوق محفوظة لذويها . وهذه نعمة كبـــرى نشكر الله عليها كما نشكره على نجاة الوطن وأهله من رق العبودية واستنشاق نسيم الحرية . ونحمده على سلامة باطن أميرنا المعظم وخديوينا الأفخم أيده الله »

ثم قام بنا القطار قاصدا رأس الوادى . وبعد استقرارنا فيه بيومين دعانا الفاضل أمين بك الشمسى رئيس تجـار الزقازيق الى وليمة شائقة اكراما لنا واحتفالا بنا وبضباطنا ورجالنا . فألقيت على جماهير المودعين من أعيان المديرية المذكورة خطابا هذا نصه :

« سادتي واخواني الأعزاء

« أحلي أسماعكم باسم مولانا وأميرنا الخديو الساعى فى عمران الوطن وقطع عروق الاستبداد منه . وأذكركم بمدة حجبت عنا فيها أنوار الحرية واستعبدتنا فيها الظلمة حتى صرنا نتألم ولا يرحمنا أحد . وأصبحت أموالنا وأرزاقنا

معرضة للنهب والسلب تتخطفها أيدى المستبدين الذين تمكنت القسوة من قلوبهم وألفوا الظلم وكرهوا العدل والانصاف حتى كانت عاقبة أمرهم أن أصبح الناس في قيد الفقر وذل الفاقة . والقطر معرضا للاخطار مهيأ لامتداد أيدى الطامعين اليه. فعز ذلك على اخوانكم وأولادكم في الجهادية حماة البلاد . وتحركت فينا الحمية العربية والغيرة الوطنية فتعاهدنا على حفظ البلاد ووقاية أميرنا من كل سوء . وسرت بهذا الجيش ووقفت بساحة عابدين أمام مولانا الخديو حفظه الله . وقد اشتدت شوكة جيش البغى وقويت معارضته ، « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزموا زلزالا شديدا »

ثم قام صديقى الأعز الهمام صاحب الغيرة والعزم القوى السيد عبد الله نديم بين الصفوف ينادى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » ، فكان معى ثانى اثنين فى حفظ قلوب الرجال من الروع والارتجاف . وأخذ الكل يردد هذه الآية الكريمة كأنهم لم يسمعوها الا من فمه فى تلك الساعة

ثم قام وألقى خطبة غراء كثر فى أثنائها هتاف الاستحسان من الحاضرين . وفى اليوم الثانى دعيت لوضع أساس المدرسة الأميرية بالزقازيق، فتوجهت ووضعت حجر الزاوية فيها باسم الحضرة الخديوية . وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه . وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى . وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل

وفى ٢٠ اكتوبر أرسل الينا نوبار باشا مندوبا من طرفه يدعى أحمد قبودان البكرى من موظفى بوغاز الاسكندرية،

ليشكرنا على انقاذ الوطن من ظلم الظالمين وجور المستبدين، ويعرض علينا أنه مستعد لأن يقود حركتنا الوطنية بصائب رأيه اذا دعوناه الى رياسة الحكومة واعتمدنا عليه وسلمنا أمورنا اليه • فعجبنا لذلك وأجبناه بأن مبدأنا هو أن تكون « مصر للمصريين » • وللنزلاء عندنا حسن الضيافة ومزيد الاكرام • وانا لا نجهل الأدوار التي لعبها نوبار باشا في مسألة تغيير قواعد فرمان الوراثة الخديوية • وفي مسألة تأليف المجالس المختلطة في مصر ، تلك المجالس التي صرف عليها ١٢ مليونا من الجنيهات من أموال المصريين المساكين على يده وبسعيه ، وكان هو أكبر مساعد للمستبدين وله الحظ الأوفر من تلك الغنائم

عودتي الى القاهرة

بلغ الحكومة من جواسيسها أني أتجول في أنحاء مديرية الشرقية لبث مبادئي وأفكاري في نفوس عمد البلاد ومشايخ العربان ، حاضا على وجوب مؤازرتي في مشروعاتي الوطنية • وأن كثيرا من المظلومين يأتون لي شاكين من ظلم الظالمين • فأوجست خيفة من ذلك وقررت طلبي الى العاصمة فأجبت طلبها • ثم عرضت علي وظيفة وكيل نظارة الجهادية ورتبة اللواء (باشا) فقبلت وكالة الجهادية مع بقاء الآلاى في عهدتي ورفضت رتبة الباشا حتى لا أدنس سمعتي • وحتى لا يقال بأني انما أشتغل لمصلحتي الخصوصية لا للمصلحة العمومية

ولما استلمت منصبي الجديد كثر وفود المتظلمين علي من أرجاء البلاد وأكنافها حتى كانت ساحة منزلي لا تسع الزائرين والمتظلمين وكان كثير من الأوربيين ومكاتبي الجرائد الافرنكية والوطنية يحضرون الى منزلي لاستطلاع سياستي • والوقوف على مكنونات أفكاري بحيث كنت في

تعب دائم ليلا ونهارا • وفى تلك المدة حضر الى منـــزلى الرجل الكريم المتفانى فى حب الحق والعدل والحرية ، محب الشرقيين عموما والمصريين خصوصا (المستر ولفرنسكاون بلانت) • وكان معهصاحبه العلامة القس لويس الصابونجى (صاحب جرنال النحلة) وعرض على قبول صداقتــه لى فقبلت منهذلك • فمد يده الى ومددت يدى اليه •وتصافحنا وتعاقدنا على الصداقة والاخلاص وكنت أظن أننا بواسطته وبفخامة مركزه فى قومه وشدة غيرته على الحرية ، نتمكن من تذليل الصعوبات التى يلقيها قناصل الانجليز هنا فى طريق حريتنا ونجاح بلادنا ، بدعوى الانسانية والعـــدل والانصاف بين الأمم والشعوب وهذا ما يدعى الغربيــون زورا وتضليلا دائما وهى كلمات محبوبة يدسون بها السم فى الدسم ليتمكنوا بها من الإستيلاء على مشارق الأرض ومغاربها طمعا وجشعا •

وكذلك حضر لزيارتنا كاتم أسرار ملكة الانجليز محب الحرية (السير وليم جريجورى) • الرجل الأرلندى الذى كان قد تولى حكومة جزيرة سيلان مرتين اجابة لرغبة أهل تلك البلاد • وسألنا عن مقاصدنا فأكدنا له أن لا خوف على رعايا الدول المتحابة ، فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم بضماننا وكفالتنا • وأنا لا نريد الا الحرية وقطع عروق الاستبداد • وقد تم لنا ذلك بتأليف مجلس نيابى، وبرضاء واستحسان الخديو • وقد التمست من الخديو فى تلك المدة بواسطة ومساعدة ناظر الجهادية ورئيس النظار الافراج عن المسجونين ظلما فى مدة الاستبداد فأجيب التماسى • وكان من ضمن أولئك المسجونين أحمد بك أبو ستيت من مديرية سوهاج • والسيد حسن موسى العقاد من أعيان العاصمة • وكانا منفيين الى السودان ظلما وعدوانا • ولما قدم السيد حسن موسى العقاد أقام الافراح وأولم ولائم كثيرة لضباط .

الجيش وأعيان العاصمة تعد من ليالى مصر المشهورة

وفى تلك المدة أيضا أنشئت جرائد وطنية صادقة منها جريدة الحجاز ومحررها السيد ابراهيم سراج المدنى • وجريدة المفيد ومحررها السيد حسن الشمسى • ولسان الأمة ومحررها السيد عبد الله نديم • وكان موضوعها سياسيا تهذيبيا للذب عن حقوق الأمة

وفى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨٢ خلوت بالمغفور له محمود باشا سامى ناظر الجهادية فأطنب فى الثناء على لقيامى بنشر راية الحرية فى مصر وملحقاتها من بعد مضى خمسة آلاف سنة على المصريين وهم يرسفون فى قيود الاستبداد • ثم أقسم أنه مستعد لأن يضحى حياتهويجود بآخر نقطة من دمه فى تنفيذ رغبتى • ويجرد حسامه وينادى باسمى خديويا لمصر اذا رغبت فى ذلك

فقلت له : « مه يا محمود باشا • فانى لا أريد الا تحرير بلادى ولا أرى سبيلا لنوالنا ذلك الا بالمحافظة على الخديو كما صرحت بذلك مرارا وتكرارا • وليس بى طمع أصلا فى الاستئثار بالمنافع الشخصية • ولا أريد انتقال الأريكة الخديوية الى عائلة أخرى لما فى ذلك من الضرر ، مع علمى بأنك تنتسب الى الملك الأشرف (سبرباى) • فقال : «أنا لا أقول لك الا حقا ، وأنت أحق بهذا الأمر منى ومن غيرى» فشكرته على ثقته بى وتم الحديث

مجلس النواب

الأمر العالى بتأليف المجلس

رفع رئيس النظار شريف باشا فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ الموافق ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الى الجناب الخديوى تقريرا بشأن انشاء مجلس نواب وانتخاب أعضائه . وذلك بنـاء على الطلب المقدم منا والمذيل بامضاءات ألف وستمائة مصرى لتأليف مجلس نيابى ، فصدر الأمر العالى الآتية صورته:

« نحن خديو مصر

« بناء على التقرير المرفوع الينا من رئيس مجلس نظار حكومتنا بتاريخ ١١ ذى القعـــدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ المرفوق صورته بأمرنا هذا . وبعد الاطلاع على لائحة مجلس شورى النواب الصادرة بتاريخ ٢١ رجب سنة ١٢٨٣ وبناء على موافقة رأى مجلس نظارنا نأمر بما هو آت :

المادة الأولى : يصير انتخاب النواب بالصفة والشروط الموضحة بتلك اللائحة ، وافتتاح مجلس الشورى يكون فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ غرة صفر سنة ١٢٩٩ اتبـــاعا للمادة ١٦ من اللائحة المذكورة

المادة الثانية : ناظر داخلية حكومتنا مكلف بتنفيذ أمرنا هذا

صدر بسراى الجزيرة فى ١١ ذى القعـــدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١

الامضاء : محمد توفيق

بأمر الحضرة الفخيمة الخديوية رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية

الامضاء : محمد شريف

ولقد صادف المشروع بعد صدور التقرير والأمر العالى السابقين استحسانا يجل عن الحصر والوصف فى البلاد . فلم يكن المرء يلقى الا وجوها طلقة وثغورا باسمة . وكان أهم ما استوجب الاستحسان قول رئيس الوزراء : « ان مشاورة أهل الرأى والسداد من وجوه البلاد فيما تحتاج اليه من الاصلاح هو الواسطة الوحيدة للحصول على الفائدة المقصودة . وان هذا المأخذ مطابق لرأى عمد الأهالى بالنيابة عن عمومهم » . وكان ذلك عند الأمة دليلا على قرب الصلة وارتفاع الحجاب بينها وبين الحكومة

أما اللائحة التى ورد عنها الكلام فى تقرير شريف باشا وجاء فى شأنها : أن مجلس النواب سيجتمع بمقتضاها ولكن هيئة النظار ستتحد معه فى البحث فيما يجب تعديله وتنقيحه منها مع مراعاة حقوق الحضرة الخديوية وحالة القطر ، فقد كان فى الكلام عنها فى ذلك التقرير موضعان للاستحسان . الأول : تعديل اللائحة بمعنى تقريبها من جانب الحرية بقدر تبعيدها من حد التقييد . والثانى : مراعاة الحقوق الخديوية وحالة القطر بمعنى احترام تلك الحقوق وحفظ المناسبة بين أحوال البلاد وأحكامها

ولما كان قد ورد فى التقرير المذكور أن الانتخاب الجديد سيكون بمقتضى اللائحة الاساسية الصادرة عام ١٢٨٣ هـ . وكان قد تقادم العهد على تلك اللائحة وعلى نظام مجلس النواب المسنون فى ذلك العام ، فقد تاق الناس أثر صدور الأمر الخديوى بتأليف المجلس النيابى الى الوقوف على ذلك النظام ليعلموا منه مجرى الانتخاب ، وماهية مجلس النواب

فى دوره الأول • فنشرته جريدة المحروسة حينذاك •وكان فى اليقين أن الحضرة الخديوية توافق عليه بعد أن يرفع اليها وتضعه موضع الاجراء • على انه بالنظر لما ورد فى تقرير الوزير بصراحة لا تحتمل التأويل ، أن المجلس الجديد وان جرى تأليفه بمقتضى اللائحة القديمة الا أنه سينظر فى أحكام تلك اللائحة ليعدلها من طريق توسيع الحقوق ومنح الحرية لنواب الأمة ، كان المجلس الجديد بهذا الاعتبار مجلس تنظيم وتشريع يضع لنفسه قانونا جلى الأحكام

انتخاب النواب

وفى ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ صدر منشور نظارة الداخلية الى جميع المديريات والمحافظات بانتخاب النواب وهذه صورته :

« انه اجابة لاستدعاء أهالى القطر وبناء على التماس مجلس النظار قد أصدرت الحضرة الخديوية أمرها السامى بتاريخ ١١ ذى القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٨١ بافتتاح مجلس شورى النواب فى ١٥ كيهك سنة ١٥٩٨ وبتكليف ناظر الداخلية باتخاذ كافة الوسائل اللازمة ليكون انتخاب حضرات النواب على حسب النصوص والشروط المدونة فى لائحة مجلس شورى النواب • فعملا بالأمر المشار اليه السابق نشره مع صورة التقرير المقدم منا للاعتاب السنية قد عينا يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ لاجتماع المنتخبين (بكسر الخاء) أى الذين ينتخبون النواب • واجتماعهم يكون بالمديريات والمحافظات

« وليكن معلوما لحضرتكم أن الواجب عليكم انما هو تسهيل انتخاب النواب المومأ اليهم • ومراعاة نصوص اللائحة بحيث يكون ذلك على حسب آراء أهالى القطر ورغبتهم • وبدون أن تتدخلوا فى الانتخاب لمساعدة أى

شخص كان ٠ اذ أن المشايخ هم نائبو الأهالى ولهم دون غيرهم أن ينتخبوا من يعتمدون عليه ويثقون به ليكون نائبا عنهم بالمجلس المذكور ٠ ا هـ

وبعد أن صدر هذا المنشور توجهت الأنظار الى ماسيكون من أمر الانتخاب لمجلس النواب ٠ وأخذت النصائح تبذل لأرباب الانتخاب بأن ينتخبوا نوابا يكونون وكلاء عنهم فى كل ما يقولون وما يفعلون ٠ وينتقوا حكاما مصلحين يضعون لبلادهم نظامات وقوانين تكون بعد التقرير مرعية الاجراء ٠ ويختاروا من يضرب عليهم الضرائب ويعدل لهم الرسوم وينظر فى أمر الودائع ٠ويعينوا من أنفسهم جماعة تدل آثارهم على مكانتهم من المدنية ومقامهم فى الوجود السياسى ٠ وأن ينظروا الى المنتخب من حيث ما يترتب على انتخابه من الأثر فى خير البلاد ، لا من حيث ما يرى منه أول النظر ٠ وغير ذلك من النصائح والارشادات ٠ ثم شرع عمد البلاد ومشايخها فى انتخاب النواب على مقتضى القانون وبذل الجهد فى انجاز الأعمال الانتخابية

ومرت أيام الانتخاب بما كانت فيه من الأعمال الانتخابية العظيمة، فكانت موضوعا للاهتمام والمذاكرة فى كل مجمع وطنى ٠ ولقد أشرنا بتعيين محمد سلطان باشا رئيسا لمجلس النواب لما نعهده فيه من صحة الوطنية ٠ وبتعيين عبد الله باشا فكرى رئيسا لمكتب المجلس مع بقائه وكيلا لنظارة المعارف ٠ وبتعيين أديب أفندى اسحق (اللبناني) كاتبا ثانيا له مع بقائه ناظرا لقلم الانشاء والترجمة ٠ وكان مكان انعقاد المجلس فى ديوان الاشغال

افتتاح مجلس النواب

لما تم انتخاب النواب فى الوجهين القبلى والبحرى عين يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٢٩٩ و ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١

لافتتاح هذا المجلس • ولم تطلع شمس ذلك اليـوم حتى ازدحم مكان الاجتماع بكثير من الناس ووقفت أورطة من الآلاى الأول على جانبى الطريق من سلم القاعة الى الباب تحت حكمدارية البطل المغوار محمد أفندى عبيد • وعنـد

حضور الجناب الخديوى صدحت الموسـيقى بالسلام ونادى الجند (أفندى مزجوقيشا) وبعد أن تبوأ مقعده تمثل بين يديه محمد باشا سلطان رئيس المجلس وأبلغه اسـتعداد النواب لسماع مقاله الافتتاحى فقام على قدميه وقال :

« أبدى لحضرات النواب مسروريتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهـم بالنفع • وفى علم الجميع انى من وقت ما اسـتلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة • فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشـكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ، ومن تخفيف أحمال الاهالى على قدر الامكان فلم يبق مانع من المبادرة الى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم • وأنتم تحيطون علما ان جل مقاصدى ومساعى حكومتى هو راحة الأهالى ورفاهيتهم وانتظام أمورهم بتعميم العـدالة بينهم وتأمين سكان القطر على اختلاف أجناسهم • وهـذا منهجى واضحا مستقيما وعليه سـيرى منذ توليت أمركم محبا للتربية ونشر العلوم والمعـارف • فعلى المجلس أن يكون مساعدا للحكومة فى هذه الأمور كلها خالصـا مخلصـا فى خدمة الوطن منحصرة أفكاره ومذاكراته فى المنافع العمومية مع مراعاة قرار لجنة التصفية وسائر تعهدات الحكومة مع الدول • سالكا المسلك المعتدل والمنهج القويم الذى هو أهم شىء فى هذا الوقت الذى هو عصر التـرقى والتمدن • فالواجب علينا الاعتدال والتأنى وحسن التبصر •

وأن نكون يدا واحدة فى اتمام الأعمال النافعة متوسلين بعناية الله تعالى وامداد رسوله الكريم ومتمسكين بقوة ارتباطنا بالحضرة الشاهانية والدولة العلية أدامها الله . ونسأل الله النجاح انه ولى التوفيق » ا هـ

شريف باشا فى المجلس

عكف مجلس الشورى بعد ذلك على الاهتمام بشؤونه الداخلية ورتب أقلامه وانتخب رؤساءها . ثم توجهت الأنظار الى اللائحة الأساسية الجديدة التى عزم مجلس النظار على ارسالها اليه ليضعها موضع النظر

وفى عصر يوم الاثنين الواقع فى ١١ صفر سنة ١٢٩٩ و ٢ يناير سنة ١٨٨٢ توجه محمد شريف باشا رئيس مجلس النظار الى مجلس النواب لتقديم اللائحة الاساسية التى أعدها له مع سائر النظار ، فقدمها وخطب فى ذلك خطابا أثر فى أذهان النواب . وقد جاءت هذه اللائحة مشتملة على أحكام حرة وحدود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر فى القوانين والمصروفات العمومية . وأن لا ينفذ قانون ولا يعتبر نظام ما لم يقرر فى مجلسهم مع تخويلهم الحرية التامة فى ابداء آرائهم وقراراتهم . وقد تألفت لجنة من أعضاء المجلس للنظر فى اللائحة وانصرفت آمال الناس الى أن هذه اللجنة تسارع الى النظر فيها ليتم للمجلس فى وقت قصير تقريرها . ويؤخذ بعد ذلك فى الاهتمام بالمصالح العمومية والمنافع الوطنية

وها نحن ننشر فقرات من الخطاب التاريخى الذى ألقاه شريف باشا فى مجلس النواب :

« أيها السادة النواب

« انى لا أقدر أن أعبر لحضراتكم عن سرورى بالحضور

بينكم فى هذا اليوم الذى أعده مبدأ لعصر جديد ان شاء الله يعود على القطر بالتقدم والنجاح

« حضراتكم تعلمون انه منذ ثلاث سنوات تراءى لى ان الطريقة الوحيدة لخلاص البـــلاد من الورطات التى كانت محيطة بها هي توسيع نطاق الشورى واشتراك رأى نواب الأهالى مع الحكومة فى نظر كل أمر مهم تعود منه المنفعــة وكنت قدمت مشروعا لمجلس النواب الذى كان موجـــودا وقتئذ ، وهو أجرى فيه تغييرات لم يتيسر للحكومة النظر فيها ، ثم طرأت حوادث سياسية ومالية ليست خافية عليكم ترتب عليها تعويق اتمام المشروع والحمد لله قد زالت العوائق وانى لأعد نفسى سعيدا حيث ان أفكارى فى هذا الخصوص ما كانت الا نتيجة مقاصد الحضرة الخديوية ، وهذه الأفكار قد طابق عليها عموم الأهالى ولهذا حصل انتخاب حضراتكم واجتمعتم فلنهنىء القطر على ذلك ونهنىء أنفســنا وندع للذات الشاهانية وللحضرة الخديوية ببقائهما مصدرا لكل خير

« ولما كانت لائحة النواب التى اجتمعتـم على مقتضاها لا تلائم أفكارنا جميعا كما أوضـــحت ذلك من منذ ثلاث سنوات وكررته بالمعروض الذى رفعته أخيرا للســـدة الخديوية عن طلب اجتماع مجلسكم هذا فقد اشتغلت مع رفقائى بتحضير لائحة موافقة لمقاصد العمــوم ، وقد تمت وها أنا الآن أقدمها لحضراتكم للنظر فيها

« ومع كون هذه أول مرة اجتمع فيها مجلس نواب حر كان يلزم ان السلطة التى تعطى له لا تكون مطلقة بالكلية حتى يحكم المستقبل باطلاقها بالتدريج شيئا فشيئا لكن حيث ان مقصدنا جميعا واحد وهو خير البـــلاد والحكومة معتقدة بكفاءة النواب وعلمهم بحقوقهم وواجباتهم ومحبتهم

للوطن فقد أعطت لكم الحرية التامة في ابداء آرائكم وحق المراقبة على أفعال مأمورى الحكومة من أى درجة وأى صنف كانوا وتصرح لكم بنظر الموازين العمومية وابداء رأيكم فيها ونظر كافة القوانين واللوائح ، وقد التزمت الحكومة بعدم وضع أى ضريبة ولا نشر أى قانون أو لائحة ما لم يكن بتصديق واقرار منكم وكذلك تعهدت بأن تجعل النظار مسئولين لديكم عن كل أمر يترتب عليه اخلال بحقوقهم والغاية ، فانه لم يحجز عليكم فى شىء ما ولم يخرج أمر مهم عن نظركم ومراقبتكم ... » (١)

وتوالى بعد ذلك انعقاد اللجنة المتشكلة للبحث فى اللائحة المذكورة وتعديل بعض أحكامها فقررت أكثر بنودها ثم وقع خلاف بين النواب والنظار فى شأن ما يتعلق بالميزانية من بنود هذه اللائحة ومضت على ذلك بضعة أيام تنوعت فى خلالها الآراء والأقوال حتى كان يوم الأربعاء الواقع فى ٢٧ صفر سنة ١٢٩٩ و ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ فقدمت اللجنة اللائحة الأساسية لرئيس مجلس النظار على يد رئيس مجلس النواب فأمر باستنساخها وتوزيعها على النظار لتكون موضوع مذاكراتهم فى الجلسة الآتية ، وكانت اللجنة قد حفظت العدد الكثير من بنودها وعدلت ما رأت لزوم تعديله

وبعد مذاكرة النظار فيها رأوا أن يعدلوا بنودها المتعلقة بالميزانية فأصر النواب على ألا يقبلوا البتة تعديلا فى لائحتهم الأساسية التى وضعتها لجنتهم المؤلفة لذلك ، واشتد الخلاف بين مجلس النظار ومجلس النواب ، حتى أدى ذلك الى استقالة وزارة محمد شريف باشا

---

(١) ملاحظة : جاء بالمذكرات بيان واف بعد هذا الخطاب عن اللائحة الاساسية لمجلس النواب في ذلك الحين ، وهى لا تختلف كثيرا عن لائحة مجلس النواب فى العهد الأخير

عبث انجلترا وفرنسا

في خلال هذه الأحداث ورد على لسان البرق أن الدولتين انجلترا وفرنسا متفقتان على أن تبعثا الى الحكومة الخديوية كتابا تعلنان فيه انهما تساعدانها بالفعل اذا استمر الاضطراب في القطر المصرى أو مس السلطة الخديوية شيء

وقد تحقق ذلك فان وكيلي الدولتين السياسيين توجها الى سراى عابدين في ١٩ صفر سنة ١٢٩٩ الموافق ١٠ يناير سنة ١٨٨٢ وقدما للخديو مذكرة مشتركة وردت اليهما بصفة خطاب من وزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر وهذه ترجمتها :

« حضرة القنصل الجنرال

« كلفناكم غير مرة أن تخبروا الجناب الخديوى وحكومته عن رغبة حكومتي فرنسا وانجلترا في مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق في القطر المصرى ، فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر ، لا سيما بعد حدوث الحوادث الأخيرة أخصها صدور الأمر الخديوى بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين واعادة النظر في شؤون اتفاقهما المذكور

« وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الخديوى ان حكومتي فرنسا وانجلترا تريان وجوب تأييد جنابه في الخديوية وفقا للاحكام المقررة للفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان قبولا رسميا ، باعتبار انها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون ، وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة في البلاد المصرية مما فيه مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك في

السعى الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث فى مصر ارتباكا أو يخل بنظاماتها وأحوالها ، سواء كان هذا الخلل وهـذا الارتباك ناشئين عن أسباب خارجية أم داخلية

« ولا ريب عندنا ان هذا التصريح العلنى المبين لمقاصد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه أن يطرأ على حكومة الجناب الخديوى من الاخطار ، وان حدث فالحكومتان لا تترددان فى دفعه ولا تحجمان عن صده

« وفى أمل الدولتين ان الجناب الخديوى يعرف كنه المعرفة ما فى هذا التصريح ، فتحقق له الثقة والقوة اللتين لا بد له منهما لادارة أمور القطر المصرى »

فأثرت هذه المذكرة فى النفوس تأثيرا عظيما واضطرب منها الجند وأعضاء مجلس النواب ومأمورو الحكومة، ورابهم منها أمور كثيرة وأيقنوا ان المراد منها مزيد التدخل وجعل البلاد تحت حماية انجلترا وفرنسا ثم توجه ناظر الجهادية محمود باشا سامى الى النظار وفاوضهم فى الأمر وأبلغهم انفعال الضباط والعساكر من هذه المذكرة • ثم سار واياهم الى الخديو ، فبسطوا لديه الأمر والرأى والتمسوا المداركة بما يذهب الآثار التى نشأت عنها فاستقر الرأى على اشعار الباب العالى به

وقد اعترض الباب العالى على هذه المذكرة بمذكرة مثلها بعثت بها وزارة الخارجية العثمانية الى الدولتين المتفقتين على يد سفيرى الدولة العلية لديهما وهذه صورتها :

« يا حضرة السفير

« تعلمون ان قنصلى دولتى انجلترا وفرنســا الجنرالين قدما للجناب الخديوى المذكرة المتفق عليها بين الدولتين بناء على الافادات الواردة لهما من جانب دولتيهما ، وقد أثبت لنا هذا العمل بالنظر الى الفرمان الذى أصدره الباب العالى

متعلقا بولاية مصر وبالنظر الى اجراءات الوفد العثمانى الملوكى الذى أرسل الى مصر من عهد قريب ان التأكيدات التى كررت حكومة الباب العالى اصدارها لم ينظر اليها بالعين التى تستحق أن ينظر اليها بها ، ومن أجل هذا لا نتمالك من اخفاء سوء الأثر الذى حصل لنا من جراء هذا العمل ونرى بعد ذلك من واجب الضرورة أن نصرح للحكومة التى تنوبون عنا لديها ببعض ملاحظاتنا فى معارضة هذه المذكرة لتنظر فيها بعين العدل والانصاف

« ان الحكومة السلطانية موجهة عنايتها أبدا الى المحافظة على الامتيازات الممنوحة لمصر حرصا على الراحة العمومية وجلبا للسعادة والرفاهية فى الولاية المذكورة ، وذلك جل ما نرغب فيه ونرى فيه مصلحة لها • وفى ظننا انه يستحيل ابداء أقل الأدلة على ما ينافى ذلك والاستشهاد بأى حادث داخلى متعلق بمصر يكون داعيا لاصدار مثل تلك المذكرة

« بناء على ذلك لا نرى شيئا مما يقضى باستصواب ما أجرته الدولتان من تقديم تلك المذكرة لسمو توفيق باشا ، وفضلا عن ذلك فان مصر جزء ملازم من ممالك الحضرة السلطانية والسلطة المعطاة للخديو لحفظ الراحة العمومية عند اللزوم والمحافظة على سعادة حال البلاد ولادارة القطر على محور حسن وتأييد هذه السلطة هى من حقوق الباب العالى وحده ومن اختصاصاته دون سواه فكان من اللازم طبعا عندما اتضح وجوب اجراء مثل هذه الاجراءات أن يؤخذ بادى بدء رأى الدولة المتبوعة وبواسطتها وحدها ترسل التصريحات اللازمة وبواسطتها أيضا دون سواها ينتظر الحصول على التأكيدات المأمولة

« ومما تقدم يعلم انه يحق لنا أن نرى مخابرة الدولتين مع الخديو غير حقة ولا عادلة وقد صار الباب العالى مضطرا

أن يحاول الوقوف على الأسباب التى لجأت حكومة فرنسا للاشتراك مع حكومة بريطانيا فى مسألة مجحفة بحقوق سلطته على مصر وقد أرسلت هذه الملاحظات الى سفارة الباب العالى بلندره وسفارته بباريس

« والآن أفوض سعادتكم يا حضرة السفير أن تخابروا فى هذا المعنى حضرة وزير الخارجية وتشرحوا له الشرح الذى ترونه موافقا فى هذا الشأن وذلك لكى تظهروا لحضرته شدة اضطرارنا الى الحصول على هذا التصريح الشافى الكافى لأن يخرج الحكومة السلطانية من ضنك المقام الذى وجدت فيه الآن أثر ما حدث بمصر

التوقيع : عاصم باشا »

تحسين حالة الموظفين

فى ٢٤ ذى القعدة التمسنا من رئيس النظار شريف باشا امعان النظر فى تحسين حالة موظفى المصالح الملكية ومستخدميها وترقيتهم ورفتهم أسوة برجال الجيش ، فرفع الرئيس المشار اليه الى الخديو تقريرا جاء فيه :

« مولاى ٠٠ أعرض لسدتكم العلية انه قد تشكل بمقتضى أمركم العالى الصادر بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ قومسيون كلف بتحضير القوانين المتعلقة بتسوية حالة الضباط الجهادية البرية والبحرية وترقيهم فنظمها وعرضها لمقامكم السامى فحفت بالقبول لديكم وفازت بالتصديق عليها من فخامتكم

« هذا وحالة المستخدمين الملكية تستحق أيضا التفات الحكومة اليها فانه ينبغى أن توضع قوانين بعد مطالعة أحكامها وامعان النظر فيها بغاية الدقة ومزيد الاعتناء تتبين فيها الشروط التى يلزم مراعاتها فى قبول المستخدمين من

أى رتبة كانوا بالمصالح الملكية وترقيهم ورفتهم ليكونوا آمنين مما عسى أن يحصل فى أى وقت من الاجراءات الاستبدادية التى يترتب عليها منع تقدمهم وتعويق ترقيهم فانها تلغى الحقوق المكتسبة بمزيد الشرف وتمام الفخار . وان الحكومة بواسطة تأييدها حالتهم يحق لها أن تعتمد تمام الاعتماد على ما يأتون به من المساعدة والمعاونة فى أمر ترتيب المصالح وتنظيمها الموجهة عنان اجتهادها نحوه الآن

« فلهذه الأوجه قد تراءى لمجلس نظار حكومتكم السنية لزوم احالة تحضير القوانين السابقة الذكر على عهدة قومسيون يتعين لهذا الشأن ... »

وقد أصدر الخديو أمرا بتأليف لجنة لهذا الغرض كان من أعضائها محمد زكى باشا ناظر المعارف ، ومحمد سلطان باشا ، وبطرس باشا غالى ، وأحمد بك نشأت ، ويعقوب بك أرتين

ولما وافق الخديو على سن قوانين عادلة تضمن حقوق الموظفين الملكية وتسوية حالتهم ارتاحت الخواطر الى هذا الترتيب وطابت به النفوس ولهجت الألسنة بذكر فوائد القانون ، وقالت انه ما دام وافيا وكافلا لأن يعين للرؤساء حدودهم ويبين للعمال حقوقهم ، ويكف يد المظالم عن جميع الداخلين فى خدمة الحكومة كبارا وصغارا ، فلا خوف من اختلال الاشغال وفساد الأعمال وانصراف النفوس الى الشهوات واتباع الأغراض فان القانون بمنزلة أصبع يفقأ عيون الرقباء ، ويد قوية تكره أهل العسف على عدم الخروج من الدائرة التى خطت ويمنع صنيعة الأمير ومحسوب الخطير من الدخول فى خدمة الحكومة ما لم تتوفر فيه اللياقة المطلوبة والعفة المرغوبة

وانصرفت الأفكار كذلك الى لزوم تنظيم المحاكم الاهلية فتوجهت عناية الوزراء الى ترتيب مشروعها لما له من العلاقة باستقامة سائر الأمـــور ، ولأنه هو الموجب لثقة الأمة بالحكومة

ففى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ الموافق ٢٥ ذى الحجـــة سنة ١٢٩٨ صدر الأمر الخديوى بلائحة ترتيب المحـــاكم المذكورة

الفرية الكبرى

الوفد المصرى فى الآستانة

وفى أواسط شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ أرســـل ثابت باشا الى الآستانة مندوبا من قبل الخديو . وكان ذلك على أثر عودة الوفد العثمانى الى الآستانة وكانت مهمـــة ثابت باشا تفهيم رجال الدولة العلية بأن القصد من الحركة المصرية الوطنية هو انشاء خلافة عربية تضم تحت لوائها كل ناطق بالضاد ، فتشمل بلاد الحجاز واليمن والعراق ومصر والشام وطرابلس الغرب وغيرها .. سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .!

صندوق ادخار لضباط الجيش

وتقرر فى ديوان الجهادية (وزارة الحربية) انشـــاء صندوق ادخار للضباط جميعا على اختلاف رتبهم يجعل فيه من ماهياتهم ٥ فى المائة يشترى بمجموعها سندات ماليـة مصرية ثم تضم الفائدة الى الأصل فى عام ويشترى بالكل سندات ، وهكذا فى كل سنة ويبلغ ما يجتمع من ذلك فى العام ٢٥٠٠٠ جنيه ما عدا الفائدة . وقصد بذلك الشروع فى استهلاك الدين المصرى ، وكذلك أنشىء صندوق للادخار

فى الدائرة السنية لمستخدميها • وعمل لذلك قانون تم تنظيمه فى ١٤ يناير سنة ١٨٨٢ وجميع مصالح الحكومة حذت حذو الجهادية فى الادخار لمشترى سـندات الدين المصرى

الورق الموحد

وتقرر فى مجلس النظار في أواخر شهر يناير بناء على ما رئى من هبوط أسـعار الورق الموحد أن تغتنم نظارة المالية هذه الفرصة وتشترى من أوراق الدين المذكور جانبا للاستهلاك بقيمة ٤٠٠ ألف جنيه وصدرت الأوامر اللازمة لذلك ، وعدل الربح الذى تناله المالية من هذا الأمر بنحو ١٢٠ ألف جنيه • وكانت النقود متوافرة فى خزائن المالية فرئى أن يصير استخدامها فى ما يعود على الحكومة بالفائدة

الحزب الوطنى

نشرت جريدة التيمس كتابا ادعت انه مرسل اليها من أحمدعرابى باشا وانهيتضمن برنامج الحزب الوطنىالمصرى ومطالبهوأمانيه ومساعيه الىغير ذلك، فتناقلت بعضالجرائد وشركات التلغراف خبر هذا الكتـاب ، فكذبته جريدة الوقائع المصرية ثم كذبه المستر « ولفرد بلنت » بقوله : « ان اللائحة المشتملة على أفكار الحزب الوطنى التىنشرتها جريدة التيمس لم ترسل اليها من أحمد عرابى باشا بصفة رسالة بقلمه وامضائه ، كما زعم تلغراف روتر والتيمس ، بل باجتماعى معه ومع زملائه من رجـال الجيش المصرى وبعض علماء الأمة المصرية • وقد رأيت أن أفكارهم لاتخرج عن هذه اللائحة ، وبعد أن كتبتها عرضتها عليهم فقـالوا هذه هى أفكار الحزب الوطنى بالجيش ، فلما وافقوا عليهـا

أرسلتها الى جريدة التيمس باسمى وامضـــائى لا باسم عرابى باشا »

وقد جاء فى هذه اللائحة : (١)

أولا : يرى الحزب الوطنى محافظته على العلاقات الودية الحاصلة بين الحكومة المصرية والباب العالى واتخاذ ذاك الباب ركنا يستند عليه في أعماله ويعتقد أن جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله فيأرضه وامام المسلمين،ولا يريد قطع هذه الصلات والعلاقات ما دامت الدولة العليـــة فى الوجود ، ثم يعترف باستحقاق الباب العالى لما يأخذه من الخراج وما يلزمه من المساعدة العسكرية اذا طرأت عليــه حرب أجنبية وهذا بمقتضى القوانين والفرمانات الشاهانية كما يعتقد هذا الحزب انه يحافظ على امتيـــازاته الوطنية بكل ما فى وسعه ويقاوم من يحاول اخضاع مصر وجعلها ولاية عثمانية

ثانيا : هذا الحزب يخضع للجناب الخديوى الحـالى وهو مصمم على تأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية على قانون العدل والشريعةحسب ما وعد به المصريين فى شهرسبتمبر سنة ١٨٨١ وقد قرن هذا الخضوع بالعزم الأكيد على عدم عودة الاستبداد والاحكام الظالمة التى أورثت مصر الذل ، وبالالحاح على الحضرة الخديوية بتنفيذ ما وعدت به من الحكم الشورى واطلاق عنان الحرية للمصريين ويطلبون منهـــا الاستقامة وحسن السلوك فى جميع الأمور وهم يساعدونه قلبا وقالبا كما انهميحذرونه من الاصغاء الى الذينيحسنون اليه الاستبداد والاجحاف بحقوق الأمة

ثالثا : رجال هذا الحزب يعلمون ان استمرار المراقبـة الأوربية هى الكفالة العظمى لنجاح أعمالهم مع قبولهم تلك الديون الأجنبية حرصا على شرف الأمة ، وان كانت تلك

---

(١) نشرنا مقتبسات مهمة من هذهاللائحة لطولها

الأموال لم تصرف في مصلحة مصر ، بل صرفت فيمصلحة حاكم ظالم كان لا يسأل عما يفعل

ثم انهم يرون ان النظام الحالى لم يكن الا وقتيا والا فانهم يؤملون أن يستخلصوا ماليتهـــم من أيدى أرباب الديون شيئا فشـــيئا حتى يأتى يوم تكون مصر فيه بيد المصريين وهم لا يخفى عليهم شيء من الخلل الحاصل فى المراقبـــة ومستعدون لاذاعته فانهم يعلمون ان كثيرا من المستخدمين فى قلم المراقبة لا يقدرون على القيام بوظائفهم ولا يراعون حق الشرف والاستقامة

رابعا : رجال الحزب الوطنى يبتعدون عن الاخلاط الذين شأنهم احداث القلاقل فى البلاد ، اما لمصلحة شـــخصية تحسن بها أحوالهم أو خدمة للاجانب الذين يســـوءهم استقلال مصروهؤلاء الاخلاط كثيرون فى البلاد، والمصريون يعلمون ان الصمت على حقوقهم لا يخولهم الحرية فى بلاد ألف حكامها الاستبداد ، وكره الحرية ، فان اسماعيل باشا لم يمكنه من الظلم والاستبداد الا سكوت المصريين ، وقد عرفوا الآن معنى الحرية الحقيقية فى هذه السنين الأخيرة فعقدوا خناصرهم على توسيع نطاق التهذيب ورجـــوا أن يكون ذلك بوساطة مجلس الشورى (الذى انعقد حينذاك) وبوساطة حرية المطبوعات بطريقة ملائمة وتعميم التعليـم ونمو المعارف بين أفراد الأمة

خامسا : الحزب الوطنى حزب ســـياسى لا دينى فانه مؤلف من رجال مختلفى الاعتقاد والمذاهب ، ومن يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم لهذا الحزب

سادسا : آمال هذا الحزب محصورة فى اصلاح البـلاد ماديا وأدبيا ولا يكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقـوانين وتوسيع نطاق المعارف واطلاق الحرية الســـياسية التى يعتبرونها حياة للأمة

وزارة محمود سامي البارودي

سقوط وزارة شريف باشا

مر بنا الكلام على ما كان من تفاقم الخلاف بين مجلس النواب ومجلسى النظار فيما يتعلق ببنـــود الميزانية من اللائحة الاساسية وقلنا ان اشتداد هذا الخلاف كان سببا فى استعفاء وزارة شريف ثم أرجأنا اتمام الكلام على سقوط هذه الوزارة الى أن نفرغ من ايراد أهم الأمور التي جرت فى عهدها مما جاء مثبتا فى الفصل السابق فهاك الآن بقية البيان

يوم الثلاثاء الواقع فى ١١ ربيع أول سنة ١٢٩٩ أعاد مجلس النظار اللائحة الأساسية بافادة مآلها ان وكيلى الدولتين فرنسا وانجلترا يريان أن لا حق لمجلس النواب فى تقرير الميزانية ، ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة فى هذا الشأن بشرط أن يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة

وبناء على ذلك طلبت الحكومة من النواب أن يصدقوا على اللائحة، كما عدلها مجلس النظار ، وأن يترك البند المتعلق بالميزانية ، وأن يبدى النواب رأيهم النهائى فى أمرالميزانية لتجعله الحكومة أساسا للمخابرة مع الدولتين

فلما وصلت هذه الافادة مع اللائحة الى النواب اجتمعوا فى منزل محمد سلطان باشا رئيس المجلس المذكور فقضوا عدة ساعات فى التداول والتشاور وقرروا فيها عدم قبول افادة الحكومة المذكورة

وفى ١٢ ربيع أول سنة ١٢٩٩ عقدوا مجلسا غير عادى تقرر فيه احالة اللائحة والافادة المذكورتين الى اللجنة التى

كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وأن يشترط على هذه اللجنة اعادة النظر فى اللائحة وتعديلها وتقديم الجواب على الافادة قبل ظهر يوم ١٣ منه فاستمرت اللجنة الى ما بعد الغروب تقرأ التغييرات وتطالع التعديلات التى أدخلها مجلس النظار على اللائحة فصدقت على بعضها وأبت الموافقة على البعض الآخر

وفى صباح يوم الخميس عين النواب لجنة منهم مؤلفة من خمسة عشر عضوا لتتوجه الى الخديوى طالبة انفاذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فمرت فى طريقها على منزل شريف باشا ، وطلبت منه جوابا نهائيا ، فأبى فذهبت الى الخديوى ، وسألته اما قبول اللائحة أو تغيير الوزارة ، فأمهلها الى صباح السبت وانصرفت

ثم ذهب شريف باشا وقنصلا الدولتين الى الخديو وكان شريف باشا مصرا على موافقة رأى القنصلين المذكورين ، ولم يوافق على لائحة النواب ، فاستعفى فى الحال

وزارة محمود سامى

فاستدعى الخديو لجنة النواب وكلفها أن تختار رئيسا للوزارة فامتنع أعضاؤها وقالوا ان هذا من حقوق الجناب الخديوى ، فألح عليهم كثيرا ، ولكنهم ثبتوا على الامتناع وانصرفوا

وفى صباح يوم الجمعة الموافق ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٩٩ طلبهم الخديوى اليه وكلمهم مكررا عليهم تعيين من يختارونه لرئاسة النظار ، فلم يعدلوا عن المسلك الذى سلكوه بالأمس ، وأخيرا قالوا اننا نريد وزارة تنفذ لائحة النواب ، فعين محمود سامى باشا وأظهروا الرضاء والاستحسان فاستدعاه الخديوى اليه وقلده الرئاسة وكلفه أن يؤلف الوزارة فجاء منزله وعقد مجلسا مؤلفا من لجنة

النواب وجرت المذاكرة بينه وبينهم فوقع الاختيـــار على الأشخاص الآتية أسماؤهم :

محمود سامى باشا : للرئاسة والداخلية ـ أحمد عرابى بك : للجهادية والبحرية ـ على صادق باشا : للماليــة : مصطفى فهمى باشا : للخارجية ـ عبد الله باشا فكرى : للمعارف ـ سليمان باشا أباظه : للحقانية ـ حسن باشا الشريعى : للاوقاف ـ محمود فهمى بك : للاشغال

وقد أعلن ذلك للقناصل رسميا (١)

وقد اجتمع عقب ذلك ضـــباط الجيش فى سراى قصر النيل، وأظهروا الفرح والسرور بالوزارة الجديدة، وشكروا الخديو على ذلك ، وهنأوا محمـــــود سامى باشا برئاسة النظار ، واطمأنت قلوبهم بتقليدنا وزارة الجهادية والبحرية

ثم قام السيد عبدالله نديم وخطب خطبة فى ثمرةالاتحاد ونتيجة التحالف والتعاون والحرية المعتـــدلة وحب الوطن وكان لذلك احتفالات عظيمة • ووفد على الخديو وفد منأهل الاسكندرية فرفعوا اليه شكرهم وأعربوا عن سرورهم بما حدث من تأليف وزارة وطنية حرة ثم ورد من وجوه دمياط وأعيانها جميعا عريضة للخديو ومحضر لرئاســـة النظار وآخر لرئيس النواب يظهرون فيها انهم ونوابهم يد واحدة وفكر واحد ويشكرون للخديو انفـــاذه لرأى النواب وقد استنابوا عنهم فى تقديم تلك المحـــــاضر الشيخ أمين أبو يوسف ، وبعد أن استقر محمود باشا سامى فىمنصب رئاسة النظار أرسل منشورا الى جميع المديرين والمحافظين فى الديار المصرية للسهر على الأمن والنظام وسياسةالبلاد بالعدالة والمصلحة

وفى يوم الاثنين الواقع فى ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ عقـد

---

(١) يلى ذلك الخطابات الرسمية لتـأليف الوزارة بين الخديو ورئيس الوزراء ، وهى موجودة فى مصادرها فلا حاجة لذكرها هنا

مجلس النظار جلسة دارت المذاكرة فيها على لائحة النواب وفى يوم الثلاثاء ٧ منه وفد على مجلس النواب ناظر المعارف وناظر الاوقاف وقدما اللائحة كما استقر عليها رأى مجلس النظار فقبلها النواب قبولا اجماعيا وصدر قرارهم بذلك

وفى يوم الأربعاء ٨ فبراير حضر رئيس النظار محمود سامى باشا الى مجلس النواب ومعه اللائحة مقررة فقوبل فيه بالتعظيم ، وسر النواب بنفوذ رأيهم فشكروا الوزارة الجديدة على ذلك ثم وقف محمود سامى باشا وألقى خطابا جامعا قوبل بالموافقة والتأييد

فقام سلطان باشا رئيس المجلس وأجاب على خطاب رئيس الوزراء سامى باشا فبين فوائد الاتحاد والألفة والغيرة والهمة وشكر للوزارة تلبيتها لمجلس الأمة فى تقرير لائحته الاساسية

وبعد ذلك انطلق النواب الى الخديو فشكروه على تشكيل الوزارة التى لبت الأمة الى ما طلبت ثم آبوا الى رئاسة النظار فشكروا أيضا للوزارة اهتمامها بأمر مجلسهم ثم زاروا كل ناظر فى نظارته وبعد ذلك انصرفوا مستبشرين

وبعد التصديق على لائحة مجلس النواب أقيمت الاحتفالات العديدة سرورا بالتصديق عليها فاحتفلت جمعية المقاصد الخيرية احتفالا اجتمع فيه النظار والأمراء والعلماء وضباط الجهادية وأعيان مصر وشبانها حتى ضاقت قاعة الحفلة بالحضور فقام السيد عبد الله أفندى نديم وافتتح الخطابة فاقتدى به كل من أديب أفندى اسحاق اللبنانى وابراهيم أفندى اللقانى ومصطفى أفندى ماهر (مصطفى ماهر باشا) والشيخ محمد عبده والسيد حسن أفندى الشمسى وفتح الله أفندى صبرى واستمرت الخطب تتلى فى تلك الحفلة الى الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وأقيمت عدة حفلات أخرى فى مدن القطر

انصاف ضحايا الحرب

بعد أن أسند الى مسند نظارتى الجهادية والبحرية شرعت فى تنفيذ القوانين والاصلاحات العسكرية الجديدة التى صدر الأمر الخديوى باعتمادها واعتبارها قانونا فابتدىء بصرف استحقاق ورثة المتوفين فى الحروب وغيرها الذين لم يلتفت الى شكواهم من أمد بعيد تنفيذا لقانون المعاشات الجديد ، وبذلك فتحت بيوتا كثيرة بعد أن أخنى على أهلها الدهر ، ووقعوا فى الفقر المدقع والاحتياج الشديد

ولما كانت القوانين واللوائح المصرية حبرا على ورق لا حياة لها ، بل هى تموت بمجرد جفاف مدادها شأن الحكومات المستبدة فقد أصدرنا أمرنا بتأليف لجنة عسكرية من أعضائها قاسم بك فتحى حكيمباشى الجهادية وغيره من الأطباء لفرز الضباط العاملين والمستودعين لمعاملتهم بحسب ما نص بقانون المعاشات فأتمت اللجنة عملها وقدمت كشفا لديوان الجهادية بشأن نحو ثلثمائة ضابط تجاوزوا السن المحدد لكل رتبة فى القانون المذكور ، وفيهم كثير من شيوخ الترك والجركس فأحيلوا جميعا على المعاش

مؤامرة الضباط الجراكسة

فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٢٩٩ أخبرنى طلبه باشا عصمت حكمدار اللواء الأول بأن راشد أفندى أنور أخبره بأن بعض ضباط الجراكسة تحالفوا على اغتيال حياة ناظر الجهادية ورؤساء الضباط الوطنيين وجميع النظار ، ثم ذكر أسماء بعض المتآمرين ، وحيث ان راشد أفندى هذا ثقة فيما يرويه، وانه مشهور بالصلاح والتقوى، عرضت الأمر على هيئة النظار ، ثم على الخديو ، فتقرر لزوم تحقيق هذه المؤامرة فى مجلس حربى

وبناء على ذلك تألف مجلس حربى من عشرين عضوا

منهم : مرعشلى باشا ومحمد رضا باشا وخورشيد طاهر باشا تحت رئاسة الفريق راشد باشا حسنى الجركسى وقد اخترته رئيسا لهذا المجلس لاعتداله ونزاهتـــه وصلاحه وتقواه ، حتى يكون التحقيق خاليا من الأغراض وتكون الأحكام عادلة لا يشوبها شىء من الظلم

ثم شرع المجلس فى التحقيق بسؤال من علمت أسماؤهم فدلوا على ١٨ ضابطا مشتركين معهم فى المؤامرة ، فأمر المجلس بالقبض عليهم ، لاستنطاقهم ، وفى خلال القبض عليهم وجد مع بعضهم آلات نارية غير الاسلحة الأميرية ، وهؤلاء اعترفوا باشتراك غيرهم معهـــم فى تلك المكيدة ، وعرفوا عنهم وفى جملة الذين عرفوا عنهم عثمان باشارفقى الذى كان سببا فى كل هذا الشقاء ، ويوسف بك نجاتى، ومحمود بك فؤاد

وفى ٢٠ من الشهر المذكور بلغ عدد الذين قبض عليهم بارشاد بعضهم أربعين رجلا ونيفا وبسؤال يوســـف بك نجاتى وغيره اعترفوا بأن راتب باشـــا هو المؤسس لتلك المؤامرة فى بيت أحمد أفندى راشد الملازم أول بحـــارة الروزنامجه القديمة بحضور كل من محمود أفندى طلعت الملازم ، ويوسف بك نجاتى أميرالاى سوارى ، ومحمـــد أفندى نيازى وأمين أفندى شكرى ، وسليم أفندى شوقى اليوزباشى ، وعمر أفندى رحمى المعاون بضبطيـــة مصر ، ومحمد أفندى شفيق الملازم ، ومحمد أفندى فؤاد الملازم بالمخالفات ، وأحمد أفندى فهيم الملازم ، وخليـــل أفندى حسنى الملازم ، ورشوان أفندى نجيب الملازم أول ، وأحمد أفندى وصفى الملازم بالمخالفات • وانهم تحالفوا على المصحف الشريف وجعلوا مقصد الجمعية سرا لا يطلعون عليه الأصاغر فى أول الأمر

ثم اجتمع محمود أفندى طلعت البكباشى (شقيق راتب

باشا) وأفهموا الاصاغر من الضباط الجركس انهم سيقدمون تقريرا الى الخديو يطلبون به بعض حقوق ليس الا وأخفوا عنهم المقصد الاعدامى ، وعلى هذا تناقلوا الكلام فيما بينهم حتى بلغت الجمعية مائة وخمسين رجلا جمعت أسـماؤهم بقائمة سلمت لاحمد أفندى راشد صاحب المنـزل الذى تجتمع فيه الجمعية وهو الذى كان يختم عليها ، غير ان السر الحقيقى كان خفيا ، حتى توجه خليل أفندى حسـنى من الاسكندرية الى العاصمة فجمع جملة من الضباط وقال لهم انى كنت عند على باشا شريف ، وقال لى اهتموا ونحـن نساعدكم (كذا) ثم صاروا يجتمعون بمنزل عبد اللهأفندى الكردى البكباشى ورجب أفندى ناشد البكباشى وقد انضم اليهم حسن أفندى حلمى الكردى البكباشى وعلى أفنـدى ناصف الصاغ المصرى وسليم أفنـدى صائب اليوزباشى المصرى الذى كان من ضمن التسعة عشر ضابطا المتآمرين من ضباط الآلاى السودانى • وتكلموا فى تأسيس الجمعية وانتشارها ثم اتفقوا على اجتماعهم ليلة جمعة يعينون فيها رجب أفندى ناشد البكباشى الجركسى وحسن أفندى حلمى البكباشى الكردى وعبد الله الكردى البكباشى رؤساء منوطين يرأس كل واحد منهم خمسين رجلا يحلفهم على انهم يكونون روحا واحدة وجسدا واحدا ، اذا قتل أحدهم قاتل الجميع على دمه ، حتى يموتوا ، فاذا اتسع نطاق الجمعية ونجحت أعمالها،عينت الرؤساء من ذوى الرتب الساميةمثل محمود بك طاهر ومحمد بك نجيب ومحمد بك شوقى ، وهكذا كلما عظمت ، فوضت الرئاسة الى عظيم من الذوات ، ثم قالوا ان على باشا شريف معضد لهذا الحزب ومؤيد له ، وتكلموا مع كثير من الضباط بهذا السر ثم اتفقوا جميعـا على الاجتماع فى مقام السيدة زينب رضى الله عنها ليتحالفوا هناك على اجراء أعمالهم واظهار السر الخفى ، وهو اعدام

من يعارضهم أو يوقف حركتهم ، خصوصا ناظر الجهادية (أحمد عرابى) اذا عارضهم فى مقصدهم . ثم قالوا ان عبد الله أفندى الكردى عرضت عليه رئاسة الجمعية ، فقال ان قلبه يرتجف من هذا الاجتمـــاع ، ويخشى أن يكون كاجتماع التسعة عشر ضابطا اذ كان واحدا منهم ، فأبى لذلك قبول الرئاسة الا اذا تمكنت الجمعية من انفاذ أغراضها وعظم شأنها ، فانه يمكن اذ ذاك أن يســتحضر لهم قدر أربعمائة أو خمسمائة من الباشبوزق بواسطة حسين بك القرهشوللى ، وبعد ذلك تداولوا فى أخبار بعض الذوات بمقصدهم ، ليكونوا معهم ، فتوجه عبد الله أفندى الكردى، وبعد أن زار كثيرين فى بيوتهم حضر وقال ان الذوات لم يستحسنوا هذا العمل ، ثم انفصـــل عن الجمعية وكادت تنحل عروتها لولا حضور رجب أفندى ناشد ، وحســن أفندى حلمى المذكورين ، وجمعهما أعضاء الجمعية ، الذين عقدوا الجلسة فى منزل أحمد أفندى فهيم حيث اتفق الجميع على انهم يأخذون من تكلموا معهم الى مقـام السيدة زينب ليطلعوهم على السر الاعدامى ويتحالفوا على ابرازه

هذا ملخص ما ذكر عن اعتراف الجميع بالجلسة العلنية التى عقدت بحضورهم جميعا بعد أن سئل كل منهم عـلى انفراده

ثم صدر حكم المجلس الحربى فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٢ على الضباط وعددهم ٤٠ ضابطا فى جملتهم عثمان باشا رفقى بالنفى المؤبد الى أقاصى السودان مع التجـــريد من الرتب العسكرية والامتيازات ونياشين الافتخار على شرط أن يكونوا متفرقين فى الجهات التى ينفون اليها ولا يجوز أن يكونوا فى مركز الحكمدارية وصدر الحكم كذلك على اثنين من الملكية بالنفى على الصورة التى تقدم بيانها مع التجريد من الحقوق المدنية

وحكم على راتب باشا الذى عد محركا لهذه القضية بالتجريد من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين وعدم العود الى مصر واذا عاد فينفى على مقتضى الصورة السالفة

وقد اعتبر ان الخديو السابق (اسماعيل) هو الباعث على هذه الحركة مستعينا فى بثها بالمرتبات التى تصرف له من خزينة الحكومة ، فلذلك تقرر أن يكون للخديو ولمجلس النظار النظر فى أمر قطع مرتباته أو تقليلها ثم رفع هذا الحكم لمجلس النظار ثم للخديو للتصديق عليه

وحيث أنى أرى تأليف القلوب خيرا من التفريق بين أعضاء الأمة والانتفاع بأولئك الضباط اذا ثابوا لعقولهم خيرا من فقدهم فى فيافى السودان المحرقة ، فقد توسلت لدى الخديو أن يبدل هذه الأحكام بأن يرسلوا الى الآستانة العلية ثم بعد مدة وجيزة يصدر عفو الخديو عنهم ، ويعودوا الى أولادهم ووطنهم الذى اتخذوه وطنا لهم ، فعجب الخديو والنظار لتلك الشفقة المتناهية ، وصدر الأمر الخديوى بنفى المحكوم عليهم من القطر المصرى مع الترخيص لهم بالتوجه انى يشاءون برتبهم ونياشينهم ، فشكرت الخديو على قبول التماسى فى تلطيف الحكم عليهم ، ولم يذكر فى هذا الأمر شىء عن راتب الخديو السابق

وبناء على الأمر الخديوى صار ارسالهم جميعا الى الآستانة العلية برتبهم وامتيازاتهم ونياشينهم . وهناك شملتهم العناية السلطانية وأسكنتهم فى سراية ملوكية وأغدقت عليهم بالنعم الشاهانية والمرتبات الواسعة على نفقة الجيب السلطانى من وقت وصولهم الى أن صدر أمر الخديو بعودتهم الى مصر بعد تغلب الانجليز على المصريين

وبسبب هذه الحادثة حملت علينا الجرائد الانجليزية وخصوصا جريدة التيمس حملة منكرة ونسبت الينا اننا

كنا نعذب اخواننا بلا رحمة ولا شـــفقة فأرسلت الى بلاد الانجليز رسالة عن يد صديقنا المســتر بلانت لنشرها فى بلادهم اظهارا للحقيقة وازهاقا للباطل وســـميتها اماطة الباطل عن وجه الحق المبين وهاك صورة الرسالة المذكورة محررة فى جزيرة سيلان بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٨٨٤ :ـ

« قد بلغني ممن أثق بقوله ان أحد مخبرى الجرائد الانجليزية بمصر قد أعماه الذهب المصرى ، وأضله عن طـريق الحق ، ولا ريب فى أن الذهب المصرى يعمى ويصم ، فبعد أن أفعم جيوبه من الذهب الوهاج ، وأفاض منه على أخيه وعائلته (بلوندرا) أوعز الى أخيه بأن يؤلف من الأباطيل كتابا يكون موضوعه تحسين أعمال الخديوى وتقبيح أعمالنا الوطنية الحقة، وبنشر ذلك الكتاب المفترى ، ليستر بأباطيله وجه الحق عن بصائر نصراء الانسانية ، فألف أخوه كتابا وعنونه بعنوان (الخديو والباشوات) ، ولم يجد من المفتريات شيئا يذكره أكبر من كونه ينسب لنا أننا كنا نعـذب الجراكسة فى مدة تحقيق قضية المؤامرة الجركسية بأنواع العذاب

« وبناء على ذلك رأيت من الواجب الضرورى أن أمزق ذاك الحجاب المظلم الذى كاد أن يكون مانعا بين نور الحق ونور البصائر ، فحررت رســالتى هذه رجاء عدم الاغترار بخزعبلات من لا حظ لهم فى الانسانيـــة وسميتها « اماطة الباطل عن وجه الحق المبين »

الجراكسة

« الجراكس طائفة من الناس يعيشون بجبال القوقاز بآسيا بين بحر الخزر والبحر الاسود ، وهم موصوفون بالتوحش والخشـــونة ، وديانتهم الاسلام ، فهم بحكم الشرع اخواننا فى الدين ، وبحكم الانسانية اخواننا فى الانسانية .. والشرع الشريف الاسلامى يحرم بيعهم واسترقاقهم ، ويدخل فى ذلك التحريم وطء نسائهم بطريق الاستعباد،لكن أمراء المسلمين الذين تغلبوا على البلاد كانوا جهلاء بأحكام الشرع فاســتهانوا بأحكامه ، ولزيادة ثروتهم ونفوذ كلمتهم اتبعوا الشهوات وتجرأو على اباحة ما حرم الله تعالى ، وأدتهم شراهتهم الحيوانية الى مشترى أولاد الجراكس ، وبناتهم ممن يسرقونهم من بلادهم . ولما كانت بنات الجراكس موصوفات بالجمال الفائق ورقة الطبع فقد وجدوا حظوة فى أعين أولئك الامراء، الذين استحلوا عفتهن المحرمة عليهم شرعا بدعوى أنهن ملك ايمانهم . ثم بعـد ذلك دعوهن سيدات أسلموا اليهن قيادة أنفسهم . وأما الذكور فقـــد اتخذوهم غلمانا أرقاء وعلموهم قليلا من القراءة والكتابة التركية والعربية فلما كبروا وشاخوا فى خدمة المتلكين لهم أدخلوهم فى خدمة الحكومة بدون استعداد ولا معرفة ثم رقوهم الى الدرجات العالية والمناصب الرفيعـــة

بطريق الاحسان لا بطريق الاستحقاق ثم زوجوهم بنساء من فتيـانهم (المملوكات) وأحسنوا عليهم بالسرايات الرحبة العالية والاراضى الواسعة الخصبة ولا زالوا كذلك حتى تولوا أكبر وظائف الحكومة وصاروا ذوى ثروة عظيمة واشتروا الجوارى الحسان والغلمان من بنى جنسهم الجركس وفعلوا بهم كفعل ساداتهم الاول بهم ، فما سمع باسم وزير الا وتجده مملوك الاصل وما ترى باشا أو بك أو رئيسا أو مديرا الا وهو مملوك جركسي أو رومي ، وما ترى قصورا مرتفعة الا وهى للمماليك ، ولا أرضا خصبة واسعة الا وهى للمماليك . كل ذلك ليستعين أولئك الامراء المتغلبين بهم على قهر أهل البلاد الخاضعة لهم واذلالهم ، حتى يتمكنوا من سلب أموالهم ونزف ثروتهم . فلما علمت الجراكسة الذين بجبال قافقاسيا أن أبناءهم صاروا رؤساء تلك الممالك ، فرحوا بذلك وأتوا بأولادهم وبناتهم يلتمسون بيعهم رجاء الانتفاع بهم اذا بلغوا الى ماتقدم من الثروة والنفوذ. وهذا أمر مشاهد لا ينكره الا مكابر

« وعلى مقتضى ماذكر يكون المماليك هم الاحرار المالكين ، بل المستعمرين لاهل البلاد ، وأهل البلاد الذين يقال عنهم أنهم أحرار هم العبيد الارقاء لأولئك المماليك ، فانعكست المرئيات حتى صار يتخيل أن الخير شر وأن الشر خير ، ولا حول ولا قوة الا بالله . ومن الغريب أن عقلاء الناس ونصراء الانسانية ينكرون بيع الفريق المتوحش من الانسان واسترقاقه ، ولا ينكرون استرقاق الاحرار للمتغلبين عليهم من الامراء والمماليك

أمراء الحكومة المصرية

« أمراء الحكومة المصرية هم عنـوان تلك المنكرات ، وبجهلهم بأحكام الشرع الشريف وميلهم للشهوات النفسـانية وشدة طمعهم تأنقوا فى سلب ما فى أيدى الناس ، واقتنوا المماليك وملكوهم زمام المصالح المصرية والسودانية ، وبهم استعبدوا أهل البلاد وسلبوا أموالهم ونزفوا مادة ثروتهم وقتلوا كثيرا من اعيانهم وخربوا كثيرا من بيـوتهم حتى تحملت الخزينة المصرية من سوء ادارة أولئك الجهلاء الظالمين مائة مليـون من الجنيهات الاسترلينية دينا للاوربيين واثنين وعشرين مليونا دينا للاهالى الوطنيين (المقابلة ١٧ والاسهم ٥ ملايين) . فما كان منها للاوربيين فهى مأخوذة به ومحاسبة عليه ، وما كان للوطنيين فقد ذهب هباء منثورا . يعلم ذلك كل من اطلع على قانون التصفية المصرى . فلما اشتد الخطب على الناس أخذوا يلتمسون لهم طريقة توصلهم الى الخلاص من أيدى أولئك الظالمين

وما زالت أفكار نبهاء الامة تنبعث فى صدور العامة ، حتى تآلفت القلوب وتوحدت كلمتهم الوطنية على خلاص انفسهم وبلادهم بتعديل القوانين لحفظ الارواح والاعراض والحقوق المدنية . وكنت أنا القائد لتلك الامة

العظيمة فى الافكار والاعمال فسرت بهم سيرة مرضية قصدت بها رفع الامة المصرية من هاوية الذل والهوان الى أوج السعادة والرفاهية بدون سفك قطرة دم مع المحافظة على مسند الخديو وسن بعض القوانين الجديدة التى من احكامها وجوب المساواة بين العموم بدون مراعاة الجنسية ولا الفرق بين المصرى والتركى والجركسى بصرف النظر من اختلاف المذاهب والنحل الدينية . يشهد بذلك ما حصل من الترقى لبعض المستحقين من الاقباط المصريين ، ومنهم من ترقى الى رتبة الباشا فى تلك المدة واسمه بطرس باشا غالى ، على أن الاقباط فى مصر كانوا مهانين مثل المسلمين ولم يبلغ أحد منهم رتبة الباشا الى ذلك التاريخ أصلا . وكذلك ما حصل من الترقى للمستحقين من الترك والجركس وغيرهم بدون فرق ولا تفاوت . واجتهدت فى رد المظالم الى أهلها ونشر راية الحرية على أطلال الاقطار المصرية والسودانية مع المحافظة على المعاهدات الدولية . وأقمت نفسى حافظا عموميا لجميع الاجانب الاوربيين حتى يكونوا آمنين على أرواحهم وأموالهم يشهد بذلك ما حررته لوكلاء الدول الاوربية وما تعهدت لهم به بحضور الخديو ودرويش باشا المندوب العثمانى (١) »

٢٦ مايو ١٨٨٢ — احمد عرابى المصرى

مؤامرة انجلترا وفرنسا

لما رأت دولة انجلترا نجاح الحزب الوطنى فى أعماله وعلمت بتأليف وزارة وطنية حرة وان تلك الوزارة صادقت على قانون مجلس النواب الأساسى ولائحة انتخاب أعضائه وصدر الأمر الخديوى بالتصديق عليهما ، كبر عليها هذا الأمر واستمالت اليها دولة فرنسا للاستعانة بها على اطفاء نور الحرية وطمس آيات العدالة التى ظهرت فى وادى النيل الذى هو مطمح أنظار الدولتين المذكورتين منذ القدم

وبما ان الخديوى رمى بنفسه فى أحضان الانجليز سرا قبيل عزل اسماعيل باشا لأنه كان متخوفا من والده واخوته ، وذلك بمقتضى عهد أخذ عليه مقتضاه أن يكون

---

(١) ذكر عرابى باشا فى هذه الرسالة تفصيل المؤامرة الجركسية . وقد سبق ذكرها . ولهذا آثرنا حذفها

لانجلترا النفوذ الأول فى الحكومة المصرية ، وان الخديوى لا يخالف لها أمرا • وعلى الحكومة الانجليزية أن تحفظ حياته وبلاده من الداخل والخارج • أوعز اليه السير «مالت» قتصل جنرال انجلترا أن يستنجد بالانجليز ليعيدوا له سلطته الاستبدادية ففعل

وحينذاك اتفق اللورد «جرانفيل» ناظر خارجية الانجليز مع المسيو « جمبتا » ناظر خارجية فرنسا على أن فرنسا تطلب من الانجليز التداخل فى المسألة المصرية بارسال أسطول مؤلف من سفن انجليزية وأفرنسية فطلبت ذلك ووافقت انجلترا على طلب فرنسا المخدوعة بسياسة «جمبتا» الذى باع مركز فرنسا فى مصر بثمن زهيد جدا مهما عظم

وبناء على ذلك ورد من باريس ان المسيو «دى فريسينيه» رئيس وزراء فرنسا اذ ذاك صرح فى جواب ألقاه على سؤال ان فرنسا تود حفظ استقلال القطر المصرى على الصورة المؤيدة بالفرمانات العديدة بحيث لا يطرأ عليه أقل تغيير وان اتحاد فرنسا وانجلترا يؤيد هذا الاستقلال • ثم قال ان الحوادث ربما تستلزم اتفاق جميع الدول الأوربية لتسوية المسائل المصرية ، ولكن بما أن الدول تعترف لفرنسا وانجلترا بأفضلية المصالح فى ذلك القطر فسيكون من الواجب عليهما أن يديرا سياستهما بحزم وثبات

وعلى أثر ذلك شاع ان سيأتى الى الاسكندرية أسطول فرنساوى وآخر انجليزى وان الباب العالى سيرسل الى مصر وفدا مؤلفا من بعض رجال الدولة وان الدول وفى مقدمتها الدولة العلية ستتداخل بالفعل فى أحوال مصر فأوجس الناس من هذه الأخبار خيفة ، وأيقنوا بقرب تعاظم المشاكل ودخول مصر فى طور جديد

ثم ورد تلغراف من باريس ينبىء ان الأسطول الفرنسوى الذى سافر من بيره على مقربة من جزيرة كريد سيجتمع

بالاسطول الانجليزى الآتى من كورفو ثم يسير الاثنـــان الى القطر المصرى ، فكان ذلك مثبتا للأنباء السابقة

ثم ورد تلغراف من الآستانة يعلن ان الباب العالى أرسل الى الدول منشورا يعترض فيه على ارسال الدوارع الأجنبية الى القطر المصرى استنادا الى أن الأحوال الجارية اذ ذاك فيه لا تدعو الى مثل هذا التدخل ، فضلا عن انه يجب أن يعهد فى ذلك الى الدولة العثمانية

وفى ١٥ مايو سنة ١٨٨٢ وفد الســـير ادوارد مالت والمسيو سنكوفيش قنصـــلا فرنسا وانجلترا على الخديو وأخبراه بصفة رسمية عن قدوم الاسطول وانه يصـــل الاسكندرية فى صباح ١٧ منه · ثم نشر السير مالت منشورا بعث به الى قناصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بما كان ويبين لهم السياسة التى يجب أن يتبعوها ويعلمهم ان وصول السفن ليس فيه ما يوجب تكدير العلائق ، فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية

وفى ١٩ مايو وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انجليزية · وفى ٢٠ منه دخلها دارعتان انجليزيتان وفى ٢١ منه دخلها سفينتان حربيتان ، وعلم فى ذلك اليوم ان كلا من الدول الأوربية (ما عدا انجلترا وفرنسا) سترسل سفينة أو اثنتين الى الميـــــاه المصرية على غير اشتراك مع الاسطولين الفرنسوى والانجليزى ·

سقوط وزارة محمود سامى

وبعد قدوم الاسطولين جاء قنصل فرنسا الجنرال منزل رئيس النظار وأعلن له طلب الدولتين فاستدعى الرئيس زملاءه النظار وتشاوروا فى الأمر وبعد المداولة اتفق رأيهم على أخذ رأى الخديوى فى هـــــذا الحادث الجلل فتوجه اليه رئيس النظار محمود باشا سامى وناظر الخارجية مصطفى

باشا فهمي وأخبراه بما حدث ، فأجاب انه ينتظر فى هذا الشأن تعليمات ترد اليه بعد يوم أو يومين ، وأخـــذت المخابرات بعد ذلك تجرى بين القنصلين والوزارة

وورد فى جريدة التيمس حينذاك ان ارســال الدوارع الى مياه مصر لم يقصد به الا تعزيز الخديوى وتأييدسلطته، فأول شيء يجب اجراؤه هو حمل عرابى باشا على التنحى عن الادارة والسياسة وقلب الوزارة ، واذا لم يكف ارسال الدوارع لبلوغ الغاية ترتب على ذلك استخدام القوة لاكراه عرابى باشا وأعوانه على تنفيذ مطالب الدولتين • ويتمذلك بارسال بعض الجنود الىالقطر المصرى ومجانبة لمس استقلال مصر يجب أن تكون تلك الجنود جنودا عثمانية ، واذا تمرد المصريون عليها عدت مصر عاصية على الدولة ، فيتــرتب اذ ذاك على الدول أن تنظر فى هذا الأمر وهو :

« الى أى حد يقضى بقاء استقلال السلطنة العثمانية على الدول الأوربية بعدم التدخل فى المسألة المصرية بالنفوذ والقوة ؟ »

وقد تناقلت الجرائد هـذا المقال وعلقت عليه بالشروح والملاحظات فكان له ولها وقع شديد التأثير فى النفوس • وفى خلال ذلك طلب الباب العالى من فرنسا وانجلترا أن تستردا أسطوليهما فأجابتاه انهما لا تسترجعانهما الا بعد أن تعود الى مصر راحتها ويستقر فيها النظام

وفى ٢٥ مايو تقدمت الدولتان الانجليـزية والفرنسية بالانذار الأخير للوزارة المصرية بطريقة رسـمية ومضمون هذا الانذار طلب سقوط الوزارة وخروج عرابى باشا من القطر المصرى ، فتضـمن له الدولتان حفظ رتبه ومرتباته ونياشينه واقامة عبد العال باشا حلمى وعلى باشا فهمىفى الأرياف بجهات لا يخرجان منها فتضمن الدولتان رتبهما ونياشينهما ورواتبهما • وطلبت الدولتان تسريح صفوف

العساكر ، فلا يبقى منها الا القدر اللازم لحفـــظ الحدود القبلية

فلما تلقى النظار هذا الانذار اجتمعوا فى منزل رئيس النظار محمود باشا سامي وقرروا بالاتحاد ان هذا الانذار يعتبر تدخلا مغايرا للمحالفات الدولية والحقوق الوطنية ، بل يعد اعتداء محضا ، اذ لا علاقة للدول الأجنبية معنا . ومن الواجب رفضـــها . ثم رأوا عرض الأمر على الخديو لأخذ رأيه فتوجه اليه رئيس النظار وناظر الخارجية وعرضا عليه قرار النظار برفض الانذار المذكور رفضـــا باتا ، فأجابهما الخديو بأنه تقدم له نســـخة من هذا الانذار وقبله ، فعرضا عليه بأن هـــذا خلاف عظيم بين الوزارة والخديو يستلزم استدعاء مجلس النواب للنظر فى مصلحة بلادهم ، وطلبا من الخديو صدور أمره بجمع مجلس النواب فأبى عليهما ذلك . ثم رجعا وأخبرا زملاءهما بما صـــمم عليه الخديو ، فقرروا بالاجمـــاع استدعاء مجلس النواب أولا وعرض الخلاف عليه

وقد عقد مجلس النواب وعرض عليه هذا الخلاف ، ثم قدم النظار اســـتعفاءهم فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٨٢ محتجين على انذار الدولتين فرنسا وانجلترا فقبـــل الخديو استعفاءهم بفرح وسرور .!!

لا نرضى بغير عرابى

وبعد استعفاء الوزارة أصدر الخديو منشورا الى جميع الجهات وهذه صورته :

« بما ان هيئة النظار الحاضرة استعفت وصار قبـــول استعفائها ، فليكن معلوما ذلك لديكم لتصرفوا جهـــدكم واقتداركم فى المحافظة التامة منكم ومن مأمـــورى المديرية الموكلة لادارتهم وتلزموا الدقة والانتباه لحسن سير الاشغال

والمصالح المتعلقة بكم ، كما انه من حيث ان المراكب الحربية الأجنبية التى حضرت الى الاسكندرية لم يكن حضورها الا بوجه سلمي فقط • ولم يكن هناك شيء آخر خلاف ذلك فليس هناك لزوم لارسال أحد من عساكر الامدادية الذين صار طلبهم أخيرا بمعرفة الجهادية • بل ان الموجود منهم تحت الحضور من البلاد يتنبه بصرف النظر عن حضوره واعلان المراكز والأقسام بالتنبيه على مشايخ وعمد البلاد بهذا المضمون للعلم بعدم الاقتضاء لجمع عساكر ، وانتباه كل لاشغاله وزراعته بدون اشتغال فى غير ذلك • هذا وان الأمور المهمة التى كان قد جرى العرض عنها لنظارة الداخلية يجب أن يعرض عنها من الآن لمعيتنا الى أن تتشكل هيئة نظارة جديدة كما هو مطلوبنا

محمد توفيق »

وفى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ عقد عند الخديو احتفال عظيم حضره النواب والأعيان والعلماء

وقد خاطب الخديو هذا الجمع العظيم بقوله :

« ان السياسة اقتضت استعفاء الوزارة وقبول انذار الدولتين فرنسا وانجلترا • وانى حفظت لنفسى رئاسة الجهادية وادارة المصالح الادارية لحين تشكيل وزارة جديدة»

وبعد خروجهم جاء للمعية تلغراف من ضباط الايات اسكندرية بأنهم لا يرضون البتة غير عرابى باشا ناظرا للجهادية ، وان مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه كانوا غير مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه

حوادث الثورة

خضوع الخديو لانجلترا وفرنسا

انتهى بنا الكلام فى الصفحات السابقة الى قبول الخديو توفيق انذار فرنسا وانجلترا العدائى ، واستعفاء الوزارة محتجة على قبول ذلك الانذار بعد رفضها له ، وبعد استدعائها لأعضاء مجلس النواب ، واستقلال الخديو بادارة البلاد ورئاسة الجهادية ، ومعارضة طلبة باشا عصمت وكبار العلماء ومن حضر من مجلس النواب للخديو ، فلنأت الآن على سرد الحوادث التى أعقبت ذلك الخلاف :

ما طير البرق خبر استعفاء الوزارة واحتجاجها على قبول الخديو لانذار انجلترا وفرنسا حتى بلغ الاضطراب فى جميع بلاد القطر مبلغا عظيما وأخذ القلق من النفوس مأخذا جسيما فكثر اللغط وزادت بواعث الخوف ثم حضر الى العاصمة جميع أعيان البلاد ومستخدمي الحكومة وقدموا لنا مئات من العرائض بواسطة مديريهم محتجين فيها على عمل الخديوى هذا ومتطلبين أحد أمرين : اما رفض اللائحة المذكورة ، واما عزل الخديوى الذى قبل تداخل الاجانب فى أحوال البلاد الداخلية

فلما أحس الخديو بذلك بعث الى الحضرة السلطانية بالتلغراف يخبرها أن الوزراء استعفوا محتجين على قبول لائحة الدولتين وأن الجند غير راض بما حصل . فورد تلغراف من الباب العالي حاصله أن الحضرة السلطانية أمرت بتأليف لجنة عثمانية تأتي الى مصر بعد ثلاثة أيام النظر فى الحالة

ولما تعاظم الخوف حضر لمنزلى جميع قناصل الدول ما عدا قنصلى انجلترا وفرنسا يطلبون مني التأمين على رعاياهم ، فأجبتهم بأنى قد استعفيت ولا صفة لى تخولنى تحمل هذه المسئولية العظيمة فقالوا ان الجيش لا يخالف ارادتك وأنت رئيس الحركة الوطنية ، فلا نأمن على رعايانا وانفسنا الا باعطائك لنا كلمة شرف بحفظ رعايانا ، فلأجل طمأنينتهم وتسكين روعهم ، كتبت تلغرافا الى جميع مراكز العسكرية بصفة أنى رئيس الحزب الوطنى ، أرغب اليهم فيه أن يلازموا الهدوء والسكينة وان يحافظوا على راحة الجميع ، وخصوصا رعايا الدول الاجنبية ، وأن يعاملوهم بحسن المعاملة وكمال المجاملة

المطالبة بعزل الخديو

وفى ليلة السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ دعيت الى منزل محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب فذهبت اليه ومعى اخواني على باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي ومحمد عبيد بك وغيرهم من الضباط . فلما وصلنا الى المنزل المذكور وجدناه غاصا بأعضاء مجلس النواب ، ومعهم قاضي قضاة مصر الشيخ عبد الرحمن افندى نافذ والشيخ عبد الهادى الأبيارى امام المعية ، وتم الاتفاق على ملازمة الراحة والسكون ، وأن يطلب من الخديو أن يرفض الانذار الثنائى ويأمر برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ، أو يعزل عزلا. وفى اثناء ذلك حضر بحديقة المنزل جماعة من الضباط والنبهاء من الملكية وغيرهم ، وصاحوا بقولهم : « اعزلوا الخديو الذى دعا الأجانب للتدخل فى أمرنا وتهديدنا بأساطيلهم » !

ثم خرجت بمن معى من الضباط وتوجهنا الى منزل محمود باشا سامى فوجدنا كثيرا من الذوات هناك ينتظرون

ما عسى أن يحدث من مخبآت الدهر ، فقابلنا عبد الله باشا فكرى الذى كان أستاذا ومربيا للخديو فى صغره ، وقال لنا :

ــ هل قتلتموه ؟ !

فقلت له : « من تعنى ؟ » . فقال : « أعنى الخديو .. ألم يقتل ؟ » . فقلت له : « اننا لا نقتل أحدا بغير حكم شرعى ، فلا يليق بك أن تتكلم بهذا الكلام » . ثم توجه كل منا الى منزله

وفى صباح يوم السبت ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ حضر لى رئيس مجلس النواب سلطان باشا وحسن باشا الشريعى وسليمان باشا أباظة وسلمونى أمر الخديو القاضى برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ، واخبرونى بأنهم لما وفدوا على الخديو وجدوا جميع القناصل فى حضرته ما عدا قنصلى فرنسا وانجلترا ، وانهم طلبوا من الخديو صدور أمره برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية لأجل اطمئنان الجميع ، فكان القناصل مع النواب على رأى واحد ، وحينذاك فرح الضباط والجنود وجميع الوطنيين

وبعد ذلك توالى اجتماع قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين بالخديو ليلا ونهارا . ثم انى أصدرت منشورا الى قناصل الدول تكفلت لهم فيه بتأييد الأمن والراحة لجميع سكان القطر المصرى وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين ، وطلبت من الخديو لزوم جمع العساكر لاستكمال الآلايات على مقتضى القدر المقرر فى الفرمانات السلطانية ، فأجابنى بالموافقة على ذلك وصدر أمر الجهادية بجمع عساكر الامدادية نمرة ٢ ونمرة ٣ استعدادا لما عسى أن يطرأ من الحوادث

وقد جاء فى الأمر الخديوى الذى صدر برجوعى الى نظارة الجهادية والبحرية ما يأتى :

« ولو أنكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التى استعفت لكن مراعاة لحفظ الأمن والراحة استصوبنا بقاءكم فى نظارة الجهادية والبحرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لكم لتعلموه وتبادروا باجراء ما فيه انتظام أحوال العسكرية الكافلة لحفظ الأمن العمومى على الوجه المرغوب كما هو مقتضى ارادتنا »

تدخل انجلترا وفرنسا

وردت الى سفيرى فرنسا وانجلترا فى الاستانة أوامر من حكومتيهما بأن يعرضا على الباب العالى أن يتداخل باسم أوربا فى القطر المصرى تداخلا غير مطلق بل معين الحدود وأن يكون ابتداء هذا التداخل بارسال مأمور على سفينة واحدة حربية يحض الضباط المصريين على امتثال أمر الخديو والخضوع لارادته ويصدق على تصرفه فى أعماله

فاجتمع الوزراء فى الاستانة ، وتذاكروا فى تدخل الباب العالى فى القطر المصرى وقرروا أنه اذا دعت الحاجة الى ذلك فلا يكون التداخل الا بمقتضى سيادة الحضرة السلطانية على القطر المصرى التى تعترف بها أوربا وليس على الوجه المقيد كما عرض السفيران

وثبت أن فرنسا وانجلترا أرسلتا الى الباب العالى مذكرة مشتركة تطلبان بها أن يؤمر عرابى باشا وسائر زعماء الحزب العسكرى أمرا قطعيا بالذهاب الى الاستانة وعرضت فرنسا أن يعقد مؤتمر فى الاستانة يكون أساس أعماله تأييد الحالة المقررة للقطر المصرى فوافقتها انجلترا على ذلك . وطلبت المانيا واوستريا والروسيا وايتاليا من الباب العالى أن يوافق على لائحة فرنسا وانجلترا . وبلغت حكومة انجلترا الباب العالى أن ما تريده هو نشر العلم العثمانى فى القطر المصرى وارسال المعتمد السلطانى على مدرعة حربية

عثمانية . وأثبت المسيو فريسينيه رئيس وزارة فرنسا فى مجلس النواب الفرنسى أن لا شيء يدعو الى تدخل الجنود الفرنسية فى القطر المصرى لأن اتفاق الدول الأوربية وحده يتكفل بحل المشاكل المصرية على وجه سلمى بدون أن تنشأ المصاعب فى مصر وأوضح المستر جلادستون رئيس وزراء انجلترا فى مجلس العموم أن انجلترا ترى من الواجب عليها أن تؤيد الخديوى توفيق باشا فى منصبه على حسب تعهدها له وتعهده لها ، لما أظهره من أدلة الصداقة والاخلاص الجامعة اليها مظاهر الأمانة ..!

الوفد العثمانى الثانى

فى ٢ يونيو سنة ١٨٨٢ عين درويش باشا معتمدا عثمانيا ليأتي الى القطر المصرى ويحقق تلك التهويلات الانجليزية الفرنسية فسافر من الاستانة ووصل ثغر الاسكندرية فى سابع الشهر المذكور على السفينة الشاهانية (عز الدين) ومنها حضر الى العاصمة للنظر فى الخلاف الواقع بين الخديو والأمة المصرية

وكان قد اكتمل فى مياه الاسكندرية الى ذلك التاريخ عدد من السفن الحربية التى أرسلتها انجلترا وفرنسا وقدمت لها أيضا سفن أخرى مختلطة من سفن الدول لحماية رعاياهم

وكانت مدينة الاسكندرية مكتظة بالناس من الواردين اليها من الأجانب والوطنيين ، فتعاظمت المخاوف وازداد ارتعاد الفرائص بحيث كان الناظر لا يرى الا وجوها علتها صفرة الخوف وقلوبا واجفة تملكها الرعب

طمع الانجليز فى وادى النيل

ولما رأينا كثرة تردد السير مالت قنصل انجلترا الجنرال

على الخديو ليلا ونهارا واستسلام الخديو بما يوحى به اليه علمنا أن انجلترا طامحة للاستيلاء على وادى النيل الخصيب عملا بقاعدة التوازن الدولى لتضارع بعملها هذا عمل فرنسا فى استيلائها على ولاية تونس الخضراء ، كتبنا بذلك للحضرة السلطانية وحيث لم يكن لنا واسطة فى الاستانة تبلغ عنا مقاصدنا للسدة الشاهانية اتخذنا الشهم المقدام على راغب قبودان احد شبان البحرية المصرية رسولا وكلفناه بابلاغ عريضتنا الى الحضرة السلطانية بواسطة الشيخ محمد ظافر شيخ السادة الشاذلية وشيخ الحضرة السلطانية فصدع بالأمر وأوصل الرسالة الى الشيخ المذكور . وكذلك بلغ احمد راتب باشا ما أوصيناه به بعد عودته من مأموريته الحجازية الى دار السعادة

فكتب لنا الشيخ ظافر بما صدر به النطق الشريف وكذلك فعل احمد راتب باشا وكان الحامل لهذين الخطابين السيد احمد أسعد افندى وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانية الذى حضر أخيرا بمعية درويش باشا

الانجليز يوقدون الفتنة

لما كبر على الانجليز نجاح المصريين فى أعمالهم الوطنية ارادوا أن يشوهوا أعمالنا فى نظر أوربا فأخذوا يفكرون فى احداث أمر يوجب التدخل الاجنبى بالقوة الحربية فدعا المستر كوكسن قنصل انجلترا فى الاسكندرية جميع قناصل الدول وأظهر لهم أن المصريين فى هياج شديد من وجود الأساطيل الحربية فى الثغر ويخشى من هجوم الرعاع على الأوربيين وأخذهم على غرة ، وأن الحزم يقضى عليهم بالمداولة فيما يجب اتخاذه من التدابير والوسائل الآيلة الى حفظ أرواحهم ووقاية أموالهم فعقدوا لذلك عدة اجتماعات وأخيرا قرروا باجماع الرأى أن يحشدوا عددا عظيما من

الافرنج وأن يهيئوا له الأسلحة اللازمة ويجعلوه قائما على قدم الاستعداد لدفع الشر عند حدوثه واستشاروا فى ذلك أميرى الأسطولين الفرنسى والانجليزى ، فوافقاهم على ذلك ثم ورد الى دار القنصليـــة الانجليزية كميـــة وافرة من الأسلحة والجبه خان ، وعلمت الضابطة بذلك فهاجت الأفكار وتوجس الناس شرا

ثم كتب قناصل الاسكندرية الى القناصل الجنرالية بمصر بما عزم الأوربيون عليه وانفذوا اليهم (بودنكى) قنصـــل أسوج ونروج الجنرال معتمدا من قبلهم ليعقدوا معهم مخابرة فى هذا الشأن . فلم يفز عملهم هذا بالرضى والاستصواب ولم يحز قبولا بل انكره عليهم أكثر القناصل الجنرالية كما استدل على ذلك من تلغراف بعث به المستر مالت وكيل انجلترا السياسى فى القاهرة الى المستر كوكسن قنصلها بالاسكندرية

وما زال الاجانب يتأهبون ويستعدون لايقاد نار الفتنة والناس فى هرج ومرج وخوف شديد من حادث يطرأ حتى كان اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٢

مذبحة الاسكندرية

كانت النكبة مهيأة على نحو ما ذكرنا . وحدث أن رجلا مالطيا من رعية الحكومة الانجليزية ركب حمارا ونزل بجهة قسم اللبان وترك صاحب الحمار من غير أن يوفيه أجره فتعلق به الحمار وطلب حقه فطعنه المالطى بسكين والقـــاه صريعا يتخبط فى دمه ، ثم دخل الى منزل هناك ، فاجتمع كثير من الحمارة يريدون ضبط القاتل ، فأطلق عليهم الرصاص من منافذ البيت الذى لجأ اليه ، ثم جاء مالطى آخر وأراد تفريق الحاضرين بضربهـــم بالعصى فضربوه ، وألقوه على الارض صريعا . ثم تكاثر رعاع الأوربيين ، وضربوا الوطنيين

بمسدساتهم ولما كان الوطنيون عزلا من السلاح دافعوا عن أنفسهم بالعصى ، وكان فيهم الحمارة والحمالون واجتمع عليهم العرب والسودانيون والصعايدة فكثرت الغوغاء واشتد اللجب وعلت الضوضاء وسلت الخناجر واطلق الرصاص واختلط الوطنيون بالأوربيين ، ولما كثر القتل فى الوطنيين انهالوا على الاوربيين من كل جهة وصوب يضربونهم بالعصى والنبابيت حتى قتلوا منهم نحو مائة نفس وكذلك قتل من الوطنيين بالسلاح نحو هذا العدد . وامتدت الفتنة الى الشارع المعروف بشارع السبع بنات وشارع المحمودية وغيرهما من شوارع المدينة

وكان أكثر الأوربيين متفرقين فى جهات الرمل قصد التنزه واستنشاق النسيم اللطيف هربا من حر المدينة ولم يكن فى المدينة منهم الا رعاع القوم من المالطيين وغيرهم المهيأون لايقاد نار الفتنة بمعرفة السير مالت والمستر كوكسن من جهة ، والخديوى وعمر باشا لطفى محافظ الثغر من جهة أخرى بدليل تلغرافات الجفرة المتبادلة بين الخديوى وعمر لطفى فى ذلك اليوم كما ثبت ذلك لدى اللورد شرشهيل حين طلب من مجلس البرلمان الانجليزى محاكمة الخديوى ومعاقبته على ذلك — وبدليل تأخر المحافظ عمر لطفى ومأمور الضبطية السيد بك قنديل عن تدارك اطفاء تلك الفتنة حتى تأججت نيرانها

وقد تمارض مأمور الضبطية المذكور ، وادعى انه حدث له شلل فى ذراعه الأيسر ولزم فراشه ليتخلص من المسئولية وليرضى عمر لطفى والخديوى بعدم اجراء ما يلزم اتخاذه من التحوطات لمنع حدوث تلك الفتنة قبل انتشارها

وفى الساعة الخامسة بلغ خبر تلك الحادثة اسماعيل باشا كامل قومندان الايات الاسكندرية ، فأسرع بارسال الآلاى الخامس والآلاى السادس الى ساحة المنشية وهو فى مقدمتهم ،

ثم وزع البلوكات فى جميع شوارع الثغر وأمرهم بتفريق الجموع وعند ذلك حضر المحافظ عمر لطفى ووكيل الضبطية حسن صادق وساعدا قومنـدان الألايات فى تعيين النقط والمراكز التى يلزم حفظها بالعساكر

وعنـد غروب الشمس هدأت الفتنة وسكن الاضطراب وتوجه كل من الثائرين الى محله . وانقضى الليل ولم يحدث فيه شيء يذكر غير أن الخوف كان ملء القلوب

ولما بلغت مصر أخبار تلك الحادثة اضـطرب لهـا أهل العاصمة ونزلت على أسماعهم نزول الصاعقـة ، فبادرنا بارسال وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى ومعـه الألاى البيادة الثانى بأمرة خليل بك كامل والألاى الرابع بأمرة عيد بك محمد وبطاريتين طوبجية وألاى سوارى حكمدارية احمد بك عبد الغفار ليلا الى الاسكندرية تحت قيادة طلبة باشا عصمت وأمرنا وكيل الجهـادية باعادة الأمن الى نصـابه باشتراكه مع المحافظ فى ذلك

وعلى أثر ذلك تألفت لجنة لتحقيق هذه الحادثة من وكيل نظارة الجهادية يعقوب باشا سامى وبطرس باشا غالى وياور الجناب الخديوى وياور درويش باشا ومندوب قناصل الدول الاجنبية تحت رئاسة محافظ الاسكندرية عمر باشا لطفى فالتأمت بالاسكندرية وشرعت فى أعمالها وقررت فى الحال التدابير التى تعود بها الطمأنينة وتعم السكينة . ولكن القلق كان قد استولى على قلوب الجميع وصار سكان المدينة فى اضطراب مستمر حتى بات الناس لا يعلمون اى الاخبـار صحيح وأيها مكذوب . وفى جملة ما تناقلته الرواة يومئذ أن الأوربيين يتأهبون للهجوم على المسلمين وانهم يعدون العدد والسلاح فاجتمع رؤساء الجند بالاسكندرية ، وقرروا أن يخبروا قناصل الدول بما رأوه ملطفا للهياج فكتبوا اليهم بما يأتى :

« اذا لم يعن القناصل جميعا بتسكين الهياج وابعاد أسباب الاضطراب والتنبيه على رعاياهم بعـدم اجراء ما يوجب حصول المكاره فلا يكون من السهل تأييد الراحة العمومية والمحافظة على النظام والأمن فى البلاد »

ولما وصل هـذا القرار الى قناصل الدول تشاوروا فى الأمر ثم اتفقوا على نشر الاعلان الآتى تعريبه :

« يا أبناء جلدتنا الاعزاء

«وقع امس بالاسكندرية وقائع مهمة ولكن الجهادية المصرية أعادت الراحة وتعهد رؤساؤها بالمحافظة عليها ، ونحن بهم واثقون فضلا عن كوننا متوافقين مع المأمورين الملكيين والجهاديين على ما يجب اجراؤه من التدابير اللازمة المؤدية الى وقاية الراحة العمومية وصيانتها — فنتقدم اليكم أن تساعدونا بحكمتكم على القيام بهذا الواجب العمومى فلا تتقلدوا أسلحة نارية ، والزموا منازلكم ما استطعتم واجتنبوا أسباب المشاجرات والمنازعات

وحرصا على المصلحة العمومية قد حصل التوافق بين جميع القناصل الموقعين على ذيل هذا الاعلان — على أن يكون لقواصة القنصليات جميعا من أية تابعية كانوا الاختصاصات المعروفة للبـوليس ، وسائر رجال الشرطة فنكلفكم أن تمتثلوا لهم

« كتب بالاسكندرية فى ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ » التوقيعات

سفر الخديو للاصطياف

وفى يوم الثلاثاء ١٣ يونيو سـنة ١٨٨٢ بارح الخـديو مصر متوجها الى الاسكندرية للاصطياف فيها على حسب العادة وقد ركبت على يساره من سراى الاسماعيلية الى محطة مصر . وفى الساعة الثانية بعد الظهر وصل الخديوى الى الاسكندرية

وفى حال وصول الخديو الى الاسكنـدرية زاره قناصل الدول ما عدا قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرالين فانهما بقيا فى مصر خلافا لسائر القنـاصـل ، فأبدى الخديو أسفه

الشديد على ما حدث بالاسكندرية ووعدهم أن يصرف عنايته بألا تحدث فى المستقبل حادثة مثلها وخاطبهم ايضا درويش باشا بمثل هذا الكلام وزاد عليه قوله انه يثق وثوقا تاما بحسن نية الجهادية ورجالها ونبالة مقاصدهم وانه على يقين من انهم يحافظون على الراحة العمومية ما استطاعوا الى المحافظة والوقاية سبيلا

دسائس الخديو توفيق

وكانت الأفكار قد هدأت والقلوب اطمأنت بفضل سهر العسكرية على اعادة الأمن والراحة فى أرجاء الاسكندرية غير أن الخديوى أسر الى السير أوكلان كولفن المراقب العمومى الانجليزى انه غير واثق باستمرار الأمن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد انتهت ولم تفلح ، وانه لا يرى بدا من وجوب مجيء جنود « انجليزية » لاعادة الراحة والطمأنينة لا جنود عثمانية كما ذكر فى تاريخ مصر «للنقاش» لأنه لا يصح أن يطلب جنودا عثمانية من عامل انجليزى مثل كولفن . وما شاع هذا التصريح الصادر من الخديوى حتى اشتد قلق الناس وعظم خوفهم وعلموا من بعض قناصل الدول الكبيرة ان الخطر قريب قائم عند الأبواب وانه لا بد من حدوث وقائع تنخلع لها القلوب الثابتة فزاد الخوف وكثر عدد المهاجرين النازحين . ثم كتب بعض القناصل كتابات رسمية يحضون بها رعاياهم على المهاجرة

ولما شاعت هذه الأخبار وعرف الناس انها صادرة من وكلاء الدول السياسيين أيقنوا أنه لا بد من وقوع أمر هائل وحدوث شيء مهم فركن الأجانب الى الفرار مسارعين ينزحون من كل جهة وصوب ، ثم تجدد القال والقيل واستؤنف اشتداد الخوف فى مصر واسكندرية وسائر مدن

القطر المصرى وضاقت قطرات السكك الحديدية عن المسافرين والمهاجرين

ولما رأينا ذلك نشرنا منشورا فى يوم الخميس الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٨٢ الصق فى شوارع العاصمة والاسكندرية والمحافظات والمديريات قصد استمالة الخواطر الى الهدوء والسكينة والاعتقاد باستتباب الراحة وهذا نص المنشور المذكور حرفيا :ـ

« ناظر الجهادية احمد باشا عرابى يعلن كل سكان القطر المصرى من المصريين والاوربيين رسميا أن الحضرة الخديوية الفخيمة كفلت الامن والراحة فى جميع جهات القطر أمام حضرات قناصل الدول المتحابة وتكفل ناظر الجهادية أيضا بصيانة الارواح والاموال وحفظ سكان البلاد على اختلاف طبقاتهم ومعتقداتهم وتابعيتهم وقد انتقل الجناب الخديوى الى اسكندرية بعائلته لدفع الاوهام من الافكار واطمئنان القلوب . وبقى ناظر الجهادية بمصر لمراقبة الاحوال وصيانة البلد وكتب لامراء العسكرية فى سائر الجهات ببث الراحة والسهر على حفظ الامن وصيانة النفوس. وعلى هذا فديوان الجهادية يعلن الجميع بهذا حفظا للافكار من الاراجيف والاشاعات الكاذبة »

ووفد من مصر الى الاسكندرية أكثر قناصل الدول كما سبق بيانه وبقى السير مالت وكيل انجلترا والمسيو سنكوفتش وكيل فرنسا فى العاصمة حتى ورد الى الاول منهما تلغراف من لندرة يأمره بالمجىء الى الثغر وان يرافق الخديو اينما ذهب وحيثما توجه ، فأتى الى الاسكندرية صادعا بأمر حكومته وتبعه أيضا المسيو سنكوفتش قنصل فرنسا الجنرال

وزارة راغب باشا

وفى ذلك الوقت بدت علائم الشقاق بين الدول الأوربية ، فانحازت دولة ألمانيا وأوستريا وايتاليا وروسيا الى الباب العالى وانفردت الدولتان الغربيتان (فرنسا وانجلترا) فى سياستهما ثم حصل بعض الفتور فى صلات هاتين الدولتين

حتى توهم الناس أن انجلترا ستنفرد وحدها فى المسألة المصرية وتكون سائر الدول الباقيات معارضات لها . وأيد هذا الوهم ما كان فى تلك الأنباء من تدخل قنصلى ألمانيا واوستريا بمساعدة درويش باشا وسعيهما لدى الخديوى فى تأليف وزارة جديدة يكون عرابى باشا من أعضائها ويبقى فيها ناظرا للجهادية والبحرية ونصحهما له بأن حال البلاد لا تصلح والقلاقل لا تحسم والطمأنينة لا تحصل الا بتأليف وزارة على الصفة التى تقدم ذكرها وألحا عليه بذلك

وأذعن الخديو واستدعى شريف باشا ثم مصطفى باشا ثم غيرهما وكلف كلا منهم بتأليف الوزارة فأبوا جميعا لما علموه من مقاصد الحكومة الانجليزية ، ثم استدعى اسماعيل راغب باشا ، وكلفه تأليف وزارة تحت رئاسته وأن يكون ناظرا للخارجية أيضا

وفى ١٦ يونيو سنة ١٨٨٢ صدر أمر الخديو بذلك وتم تأليفها فى ٢٠ يونيه على هذه الصورة :

اسماعيل راغب باشا	ناظر الخارجية ورئيس النظار
احمد رشيد باشا	« الداخلية
عبد الرحمن بك رشيد	« المالية
احمد عرابى باشا	« الجهادية والبحرية
على ابراهيم باشا	« الحقانية
سليمان أباظة باشا	« المعارف
محمود الفلكى باشا	« الأشغال
حسن الشريعى باشا	« الأوقاف

وفى ٢١ من الشهر السالف المذكور شرعت الوزارة الجديدة فى الأشغال ثم عقدت جلستها ونظمت لائحتها وفيها بيان المنهج الذى يجب أن تسير على مقتضاه وقد عنيت

باعادة الأمن الى نصابه بين المصريين والأجانب

وفى ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٢ كتب راغب باشا رئيس الوزارة الى قناصل الدول ينبئهم ببرنامج الوزارة الذى رفعه الى الخديوى بتاريخ ٢ شعبان سنة ١٢٩٩ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٨٢ فأجابوا كلهم (ما عدا وكيلى فرنسا وانجلترا) على كتابه بما اوضحوا فيه أنهم راضون عما كان مسرورون بانحسام المشاكل وانهم قائمون على قدم الاستعداد لمساعدة الوزارة الجديدة على تذليل المصاعب وحسم الفتن وازالة العراقيل السياسية والادارية الى غير ذلك مما دل على رضائهم ورضاء دولهم عن تشكيل الوزارة على تلك الهيئة .. وأما وكيلا فرنسا وانجلترا فقد أجابا بما توجبه عليهما الاصطلاحات الرسمية فى مثل هذه الحال كأنهما قالا فى جوابهما للوزارة وصلنا كتابكم وأحطنا علما بما فيه

مؤتمر الدول بالاستانة

عقدت الدول مؤتمرها فى الاستانة فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٨٢ من غير أن يكون للدولة العلية معتمد فيه . وفى جلسته الاولى وقع المعتمدون على البروتكول الآتى تعريبه :

« ان الحكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتكول ، تتعهد أنها لا تعضد البتة اغتنام أرض ما ، ولا الحصول على امتياز ما ، ولا أن يكون لرعاياها من الامتيازات المتجرية ما لا يستطيع ان يناله غيرهم من رعايا اى الدول فى مصر . وذلك فى اية مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك البلاد »

التوقيع

الروسيا	فرنسا	أوستريا	ألمانيا	انجلترا
أونو	دى نوايل	كايس	هرشفلا	دوفرين

وبعد التوقيع على هذا البروتكول أخذ المؤتمرون يتداولون فى المسألة وقد ذكر فى الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير انجلترا بالاستانة الى اللورد غرنفيل وزيرخارجيتها يشتمل على بيان ماجرى فى المؤتمر حتى يوم ٢٦ يونيو وقد حشى هذا البيان بالأكاذيب (١)

مراوغة ساسة الانجليز

وفى أثناء المخابرات التى كانت جارية بين الدول لعقد المؤتمر على النحو الذى تقدم بيانه كانت انجلترا تتأهب للحرب بحشد الجنود واعداد المهمات وكان اكثر الناس يتوهمون أن ذلك انما صدر منها على سبيل التهديد والارهاب للمصريين ولتنال أغراضها بدهائها فأحست الدول الاوربية بما وراء الأكمة ولكنها لم تجسرعلى مقاومة الانجليز ومعارضتهم علنا ، لا سيما بعد أن صرح اللورد سالسبرى فى مجلس نواب الانجليز أن الانجليز وحدهم قادرون على نوال مآربهم وتحصيل ما يطلبون رضيت الدول أم لم ترض ، وكانت الدول تحاول اقناع الانجليز بأن لا يستبدوا فى الأمر وحدهم وأن يستشيروا غيرهم ويشركوهم معهم فى العمل فكانوا ينفرون من ذلك ولا يعترفون لغير الفرنسيس بحجة التدخل فى المسألة المصرية اذا اشتعلت نار الحرب واشتد أوارها وهم وان كانوا قد عرضوا على الدول أن تشترك معهم فى المؤتمر الا أن سياستهم كانت فى الباطن على غير ذلك المنهاج

وقد عرضوا على الباب العالى أن يرسل جنوده الى مصر ولكنهم اشترطوا عليه شروطا لا يمكن الرضى بها ، منها ان

---

(١) نصت المذكرات على هذا البيان المملوء بالاكاذيب وتحريض الدول على الثورة العرابية . وقد نشر فى صحف ذلك الحين

تكون رئاسة الجيش العثماني لقمنـدان الجيش الانجليزى وتحت تصرفه

وكانت انجلترا على وفاق تام مع الفرنسيس فيمـا اذا وقعت الحرب فانها كانت موقنة ان فرنسا تنسحب من الاشتراك فيخلو لها الجو

وكانت فى كل يوم تعرض على الدول الأوربية ان تشترك معها فى ارسال جنودها الى مصر ، وما كان ذلك الا تظاهرا بما كان مخالفا لمساعيها الخفية ، وشاهدنا على ذلك قول المستر باجت سفير انجلترا بايطاليا فى الكتاب الذى بعث به الى اللورد غرنفيل وزير الخارجية الانجليزية بتاريخ ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٢

ويتضح من هذا الكتاب أن الدول الأوربية كانت شديدة الحذر من انفراد انجلترا فى المسألة المصرية تحاول اقناعها بلزوم اشتراك الدول معها ولا تستطيع معارضتها بالعنف ، ويتبين ايضا أن اهم مسائل ذلك الوقت كانت مسألة برزخ السويس وصيانتـه واستبقاء الخـديوى توفيق باشا او استبداله

وكانت هذه المخابرات جارية بين وزارات اوربا والناس فى مصر لا يعلمون بما سيتم عليـه الرأى ولا يعرفون أى الأخبار يصدقون . وكان اختلاف الروايات موجبا لزيادة تشويش الأذهان وعلى الأخص ما شاع فى ذلك الحين من وقوع الخلاف الشديد بين الدولتين الغربيتين فرنسا وانجلترا ، فذهب الناس حينئذ الى ان فرنسا لا توافق انجلترا على نيتها الا على شريطة أن يخلع الخديو توفيق باشا ويستبدل به عمه حليم باشا ، وايدوا هذا القول بما شاع حينئذ من أن الحضرة السلطانية راغبة فى ذلك الاستبدال ، وانها تظهر كل يوم ميلها الى حليم باشا وتقربه منها وهو يعدها بالخضوع والانقياد لأوامرها ونواهيها . بخلاف توفيق باشا الذي

وافق انجلترا على سياستهـا وتخلف عن تنفيـذ الأوامر السلطانية ، والعمل بها ، وخالفها بعدم ذهابه الى الاستانة غب ورود الفرمان العالى المؤذن بتعيينه خديويا لمصر ، فقد كان عليه أن يتوجه الى دار السعادة تبعا للرسوم المألوفة ليتقلد من يد الحضرة الشاهانية وظيفته السامية الى غير ذلك مما رجح فى عقول كثيرين من المصريين صحة وقوع الخلاف بين انجلترا من جهة وفرنسا والباب العالى من جهة أخرى حتى صار فى معتقدهم أن انجلترا لا تستطيع مقاومة الدولتين المشار اليهما متحالفتين فلا بد لها اذاً من الرجوع بخفى حنين ، فتخسر مقامها فى مصر وتعود من حيث أتت

وكان الجميع فى ذلك الحين يترقبون ورود الاخبـار من الاستانة ليقفوا على ما كان من أعمال المؤتمرين وما سيقر عليه رأى الدولة العثمانية . وكانت انجلترا أثنـاء هـذه الأحوال تسعى بدسائسها ودهائها فى الانفراد بمصر وبحشد الجند وتعد ما يلزم للقتال والناس فى غفلة يتوهمون أنها انما تفعل ذلك من قبيل التهديد ليس الا

▭

وفى يوم ٢٥ يونيـو سـنة ١٨٨٢ وفد على راغب باشا رئيس مجلس النظار المستر كارتريت وخابره فى أمر مياه الاسكندرية وطلب اليه أن يعتنى بوقاية المستر كورتس وجماعته عمال شركة المياه وصيانتهم وأن يتخذ الوسائل الفعالة الآيلة لحمايتهم ودفع كل مضرة عنهم ، والا فانهم يهاجرون فيمن هاجر تاركين المدينة من غير ماء ، فأجابه راغب باشا بأنه لا يستطيع اتخاذ مثل هذه الوسائل الخصوصية لوقاية شخص واحد فى حالة كون الحكومة المصرية متعهدة بوقاية جميع الاوربيين وصيانتهم

وكان المستر كارترايت لا يرسل من الاسكندرية كتابا ولا يبعث برسالة برقية الى الاستانة أو الى لوندرة ، من غير أن يملأها بأخبار كاذبة ، مجسما حالتي الخوف والاضطراب في البلاد المصرية وغيرها من الترهات التي يعلم الله مبلغ نصيبها من الصدق. وفي ٢٦ يونيو أرسل الى اللورد غرنفيل كتابا من نوع ما نوهنا عنه وهذا تعريبه :

« سيدى اللورد

« أرسلت اليوم تلغرافا ثانيا الى اللورد دوفرين بالاستانة ، بينت له فيه أحوال هذه البلاد في وزارة راغب باشا الجديدة وأكدت له أن ما يذيعه البعض من تداعي نفوذ عرابى وأحزابه الى السقوط ان هو الا محض هذيان لا يلتفت اليـــه ، فان نفوذهم في ازدياد مستمر لا يماثله في سرعة التقـدم غير تعاظم الخوف عند ذوى البصيرة والنقد من انتهاء الأمر الى حد يعسر معه اصلاح الخراب المـالي والمتجـري الذى ألم بالبلاد . فقد نقص دخل الحـكومة كثيرا ونقصت أيضــا واردات الجمارك والسكك الحديدية نقصــا فاحشا واشتد الخوف من أن الكوبون الذى سيستحق في شهرى اكتوبر ونوفمبر لن يمكن صرفه في وقته المعين . وقد أوجبت نفقات الجهادية منذ الآن استقراض مبالغ تعتبر دينـــا سائرا جديدا على الحكومة . كل هذا مع نقص الدخل ووقوف حركة الاعمال وتعطل التجارة ، ويضاف الى ذلك أيضا ما استولى على قلوب الموظفين الاجانب من الخوف والقلق حتى ان ادارة السكة الحديدية ومكاتب البريد الأميرية والتلغراف أمست لا تستطيع الاستمرار في أعمالها الا بشق الأنفس ، وفوق هذا وذاك نرى الفعلة وسفلة القوم من الأهالي في فقر مدقع بسبب وقوف حركة الاعمال ، ولم يبق فيما اظن الا واسطة واحدة لمنع حدوث ما يخشى وقوعه في داخلية البلاد . . ويجب الا يكتفى بانقاذ الخديو من عرابى وجماعته أحزاب

الجهادية بل يجب المبادرة فى انقاذ مالية مصر وتجارتها من خراب يتعذر أصلاحه اذا استمرت الاحوال سائرة على هذا المنوال» اه . وكل هذا كذب وبهتان لانصيب له من الحقيقة

وقد كتب المستر كارترايت الي اللورد غرنفيل عن النبأ البرقى الذى ورد الى الاسكندرية فى ٢٦ يونيو من بنها العسل المفيد بأن أحد اليونانيين قتل فيها وانه يقال أن قاتله أحد الفلاحين



ضرب الاسكندرية

الانجليز يتأهبون للقتال

وفى تلك الأثناء كانت دولة الانجليز باذلة مجهوداتهـا فى استمالة الدول الى موافقتها على طلبهـا المتعلق بمسألة مصر والانفراد فيها صارفة عنايتها الى حملهن على تركها وشأنها فى مصر وكانت تتأهب للقتال بحشد الرجال واعداد المدافع والميرة والذخائر وكان عمالهـا فى القطـر المصرى يرصدون حركات الجهادية وأعمالهم ويتجسسون اخبارهم ويستطلعون أسرارهم . وكان المستر جورج فيس قنصل انجلترا بمصر شديد الرغبة فى الوقوف على مقدار العساكر المصريين ومبلغ قوتهم وما عندهم من المهمات الحربية ، وقد كتب الى السير ادوارد مالت القنصل الجنرال بتاريخ ٢٥ يونيو بهذا الصدد ما تعريبه :

« سيدى

« لقد علمت من مصدر أركن اليه واعول عليه أن الجهادية قررت أنه اذا نشبت الحرب وولج الانجليز أبواب القاهرة تنقل اذ ذاك عائلات الضباط منهم الى القلعة ويتحصنون فيها فيدافعون عن أنفسـهم ، وقد شرعوا الآن فى اجراء التدابير اللازمة لذلك وصرفوا فى الأيام الثلاثة الأخيرة معظم عنايتهم الى هذا الأمر فملأوا الشون والمخازن ميرة وذخيرة ، واحضروا كميات وافرة من الدقيق ، وعددا عظيمـا من الثيران والبقر والغنم والخيل ، وهم فى كـل يوم يبتاعون ما يجدون من ماشية وعلف ، ولا يزال الماء المنصرف للقلعة من مستودعات شركة المياه بمصر جاريا اليها . وما عدا ذلك ، فقد اعتنوا باصـلاح آلات بئر يوسف ، ليجعـلوا ماءها

احتياطيا اذا حدث ما يبعث على انقطاع ماء الشركة عنهم ، وهم من اليوم يستقون منها ، وقد خزنوا كذلك فى شونة التعيينات ونحبز بولاق ٣٥٠٫٠٠٠ أقة من البقسماط ولا تزال افران البقسماط تشتغل الليل والنهار . والمسموع انه يخرج منهـا فى كل يوم خمسة آلاف اقة . واذا قدرنا نصيب الشخص الواحد فى اليوم بنصف أقة من الخبز ، يكون مجموع ما عندهم من البقسماط كافيا لثلاثة عشر ألف جنـدى فى ستين يوما . (وهذا المستر يهرف بما لا يعرف)

« أما محصنات القلعة فهى عبارة عن ٤٢ مدفعا قديما من المدافع التى كانت تستعمل فى السفن المصرية فى عهد محمد علي باشا ولهذه نحو ٢١٫٠٠٠ حشوة ومع ذلك فان هدم القلعة سهل من جهة جبل المقطم حيث أنشئت فى أعاليه (من جهة القلعة) استحكامات متينة وضع فيها ستة مدافع من مثل المدافع التى تقدم ذكرها ولهـذه المدافع الستة ٣٠٠٠ حشوة

« ولديهم أيضا من المدافع المعروفة بمدافع الجبال عدد ٤٩٧ مدفع ٨/٧ سنتيمترات و ٧/٥ سنتيمترات من صنع كروب ومن هذه المدافع ١٢٠ مدفعا وضعت فى مراكزها ، ولكن ليس لديهم مما يلزم لها من الخيل والرجال الا مايكفى لخمسة وستين أو سبعين مدفعا فقط ، ومع ذلك لا أظنهم أهلا لادارة أعمالها اذا دهمهم خصومهم مفاجأة اذ ليس عندهم من جنود المدافع المدربين الذين يمكن الاتكال عليهم اكثر من العدد اللازم لخمسة بطاريات او ستة فقط

« وعلمت أن لديهم ٥٠٠ حشوة لـكل مدفع من مدافع الجبال وأن لهم فى العباسية مدفعا واحدا من طراز كروب مصنوعا من الفولاذ يبلغ محيط دائرته ١٤ ابهاما (بوصة) ومدفعا آخر من مدافع ارمسترنج زنته فيما أظن ٢٥ طنا

« أما الاسلحة الصغيرة فلديهم مما يصلح للعمل منهـا

٣٠٠,٠٠٠ بندقية من بنادق ريمنكتون ونحو عشرين ألفا من بنادق انفلد ، وعنـدهم من الفشنك نحو ٢٠ مليـونا لبنادق ريمنكتون و ٧ ملايين لبنادق انفلد ومن الفشنك المعد لبنادق ريمنكتون ونحو ١٣ مليونا من صنع معامل هوخام ولودلوف وهى صالحة للاستخدام . أما البـاقى وقدره ٧ ملايين فمن صنع المصريين ومعاملهم الوطنية وقد علاه الصدأ حتى أكله أو كاد فهى لذلك غير صالحة للاستعمال ولا فائدة منها »

التوقيع : بورج

الدول تقرر تدخل تركيا وهى ترفض !

تقرر فى المؤتمر الدولى المنعقد بالاستانة ما يأتى : ـ

« بعد أن اعترفت الدول الأوربية بوجوب المسارعة الى معالجة حالة مصر الحاضرة بالدواء الناجع قررت فى المؤتمر الذى عقده وكلاؤها أن يلجأ الى سيادة الجناب السلطانى ويطلب منه أن يتـدخل فى أمر مصر وأن يساعد الخـديو بارسال قوة بالبر كافية من الجند لاعادة الأمن والنظام الى البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت منها ونشأ عنها أهدار الدماء وخراب ألوف من بيوت الاجانب والمسلمين (كذب واختـلاق) وتضرر كثـير من مصـالح الاجانب والوطنيين

« وسيكون من شأن الجنود العثمانيـة بمصر أن تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديو سلطته ويكون من شأنها أيضا الشروع فى اصـلاح حال العسكرية بمصر وفقا لأصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا ، على شريطة أن لا يكون هذا التدخل موجبا لمس الترقيات النافعة التى نفذت فى نظام مصر المدنى والادارى والقضائى على غير مخالفة ما تقضى به الفرمانات السلطانية

« والدول الأوربية واثقة كل الوثوق بالتجائها الى الجناب السلطانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله فى مدة وجود الجنود العثمانية ومعتقدة ان حقوق مصر والامتيازات الممنوحة لها بمقتضى الفرمانات السابقة لا تمس البتة ولا يمس ايضا شىء من الأصول المقررة لادارة الأحكام فيها ولا من العهود والمواثيق الدولية » ولا من أعمال التسوية التى نجمت عنها وتقررت فى شأنها

« أما مدة استقرار الجيش العثمانى فتكون ثلاثة أشهر فى مصر ما عدا اذا طلب الخديو تمديدها الى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الأوربية وحكومة مصر وتعين قيادة هذا الجيش بالاتفاق فى الراى مع الجناب الخديو أما مصاريف هذه التجريدة فتكون على نفقة مصر وستعين مقاديرها باتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الأوربية وحكومة مصر

« واذا اجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كما هو المأمول فكيفية تنفيذ الأحكام السابقة الذكر تتم بتوافق يحصل عليه بعد الآن بين الدولة العثمانيةوالدول الست الأوربية »

وقد كتب كل من السفراء الى حكومته يسألها ابداء رأيها فى هذا القرار تلغرافيا فى ٦ يوليو وزادوا على ذلك بأن قالوا :

« ومن رأينا (أى السفراء المؤتمرين) أن يكون تقديم هذا القرار للحكومة العثمانية بصفة رسمية اذا وافقت عليه حكوماتنا وأن يقدمها كل منا باسم دولته » ، ثم زادوا بقولهم : « هذه نتيجة مخابراتنا نعرضها على حكوماتنا ، ولا نجتمع بعد الآن حتى يرد الى كل منا افادات شافية من حكومته مبينة رأيها فى هذه المسألة »

انجلترا تختلق أسبابا للتدخل

وقد وافقت الدول على تقديم هذا القرار ، ولكن الباب العالى رفضها لمخالفتها للحقوق الدولية ، فاتخذت انجلترا ذلك حجة وذريعـــة لأن تتدخل بالقوة فأوعزت سرا الى وكلائها ورجالها فى القطر المصرى أن ينزعوا الى وجود أسباب ولو طفيفة لمباشرة القتال ، وكان ذلك من أيسر الأمور لديهم ، فان الأميرال سيمور زعيم يومئذ أن الجهادية تحصن القلاع فى الثغر ، وقال ان ذلك التحصين مناف لحقوقه

وجاء تلغراف من الصدر الأعظم الى الخديو توفيق باشا يذكر به أن « باشكاتب السفارة الانجليزية حضر الى الباب العالى ، وأخبر أن الجهادية المصرية تهدد الأساطيل الانجليزية فى ثغر الاسكندرية بتحصين القلاع واقامة الحصون وفى ذلك تهديد للدونمة الانجليزية ، فان لم تكف الجهادية عن تقوية الاستحكامات وتمسك عن تعزيز حصونها من غير ابطـاء ، اضطر الأميرال سيمور الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية فيدكها دكا ويهدمها عن آخرها »

وقد أرسل الخديو توفيق باشا هذا التلغراف الى لأجيب عليه ، فكتبت اليه « بأن مصر لم تعتـد على الانجليز ولم تهدد أساطيلها الحربية بل هى التى تهددنا بمراكبها الحربية وكل ما فى الأمر أن الجارى فى الاستحكامات انما هو ترميم المختل منها على حسب العادة السنوية، واذا كانت الدونمة الانجليزية متخوفة من استحكاماتنا ولم ترد شرا بنا فلتقلع من ميناثنا وتعود الى بلادها بسلام، وانى ليدهشنى احجام الباب العالى عن اجابة السفارة الانجليزية بذلك »

ثم ان الأميرال سيمور كتب الى قومندان الاسكنـدرية يهدده باطلاق مدافعه على المدينة فيهدمها عن آخرها ان لم تكف الحكومة عن تقوية الاستحكامات وغيرها من التحفزات ، فأجابه القومندان المذكور طلبة باشا عصمت بقـوله « أن

لا صحة لما تقول وان الجهادية لم تهتم بتحصين الاستحكامات لأنها محصنة ، وانما جارى فيها بعض ترميمات عادية »

اتفاق الانجليز مع الخديو

ولما شاع هذا الخبر فى المدينة أيقن الناس بقرب وقوع القتال ، وأوعز كل من قنصلى فرنسا وانجلترا الجنرال الى رعاياه أن اخرجوا من مصر ، وهاجروا منها سريعا فتسابق الأوربيون الى الرحيل ، ولم يبق منهم فى المدينة الا القليل ، حتى أن الخديو استدعى اليه المستر كولفن مراقب المالية الانجليزى ، واتفق معه على أن يبارح سراى رأس التين ويتوجه بعائلته الى سراى الرمل فى يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ لأن ضرب الاسكندرية سيكون فى صباح يوم ١١ منه

هذا ما حصل الاتفاق عليه ، وطلب الخديو من المستر كولفن أن يبلغ ذلك الى اللورد غرنفيل ليخابر خارجية انجلترا . وقد تمارض المستر مالت قنصل انجلترا الجنرال وانتقل الى البحر فى٢٢ يونيو ، وأقام فى الباخرة (مونجوليا) من بواخر الشركة الشرقية ثم سافر الى برنديزى . وحذا حذوه وكيله المستر كالفر بالحجة عينها ، واقتفى أثرهما المستر يورج قنصل مصر

وقد أوعز المستر كولفن الى المستر كارترايت بأن يخبر اللورد غرنفيل بما جرى بينه وبين الخديو ففعل وأرسل فى اليوم نفسه رسالة برقية الى وزارة انجلترا الخارجية ضمنها ما دار بينه وبين الخديو ، وأردفه بقوله « واظن أنه لا خوف على حياة الخديو ، ولاسيما اذا لم تطل مدة القتال ، ومن رأيى أن أنذر درويش باشا بأن الحكومة الانجليزية تعده مسئولا عن حياة الخديو ، وأن التبعة تعود عليه اذا أصيب الخديو بسوء يوم اطلاق المدافع ، وقبل نزوله الى البحر » اه

وقد بلغ الاضطراب منتهاه وأيقن النـاس بدنو الساعة آسفين على ما سيحل بالاسكندرية من هول الخطب متكدرين لما ستسفر عنه من الخراب والتدمير ، ورأى كل من قناصل الدول الاجنبية أن سيحيق برعاياهم خطب كبير ، فحاولوا ابعاد الخطر المحدق بالمدينة ، واجتمعوا فى ٧ يوليو للتداول فى الأمر ، وكلفوا المستر كارترايت بالحضور معهم فأبى ، فعقدوا عندئذ مجلسهم ، ولم يحضر فيـه أحد من قبـل انجلترا وبالتداول والتشاور قرروا أن يرسلوا الى الأميرال الرسالة الآتية :

من قناصل الدول الأوربية بالاسكندرية
الى الأميرال سيمور

« ان لرعايانا مصالح مهمة فى الاسكندرية ، ولهم فيهـا املاك واسعة ، وعقارات كبيرة ، والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون وهو ما دعانا الى أن نتقدم اليكم ونسألكم أن هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالـكم المتعلق بتحصين القلاع أم لا ؟ فان كان الثانى فاننا نستطيع تعديل الجواب المذكور بما يرضيكم ويقنعكم ، واذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون أن تقتنعوا لأمر ما ، فنرجوكم أن تنبئونا عن المهلة التى تتركونها لرعايانا قبـل الشروع فى القتـال ليتمكنوا من الرحيل

« واننا نخطركم بأن اطلاق المدافع سينشأ عنـه كيف كانت الحال ضرر عظيم ، يحيق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ، ولا بد أن تنهدم به أبنية عديدة للأوربيين ، وبودنا لو انكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل أن تنفذوا أوامرها » التوقيعات

فرد عليهم الأميرال سيمور بهذه الرسالة :

« تلقيت اليوم الـكتاب الذى اتفقتم على ارساله الى ،

وتفضلتم فيه بالاستعلام مني وتكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا فى الأمر بحيث أحصل بواسطتكم على جواب يرضينى فأشكر لكم كثيرا هذه العناية ، واجيب على خطابكم بقولى انى انفذ ارادتكم اذا كان لدى الموما اليـــه من النفوذ والسلطـــة ما تستطيعون به أن تجعلوه صادقا فى اجراءاته ، وأن يبطل عاجلا أشغال التحصين وتعزيز الاستحكامات التى شرع فيها ، ولا ارى جواب الموما اليه (بالكتابة) كافيا لحملى على الاقتناع بما يقول وعلى الوقوف بما أكد لى فى جوابه من أنه يجيب طلبى ، ومهما كانت عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفينى بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى

« وأخبركم انى ما أعلنت قط بعزمى على رمى الاسكندرية بنار المدافع ، واذا اقتضت الحاجة ، فانى أوجه قوتى على القلاع والاستحكامات فقط ، وبذلك لا أرى موجبا لخوفكم من انهدام منازل الأوربيين وغيرهم ، وسأرفع الى حكومتى أمر الملاحظة التى أبديتموها فى العبارة الأخيرة من خطابكم ونبهتمونى اليها

« واذا استمرت الجهـادية فى أشغال تحصـين القـلاع والاستحكامات ، فانى أنفذ فى الحال ما كتبت اليهم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة ، وكيف كانت الحال فانى قبل الشروع فى العمل أعلن عنه ولا اباشر اطلاق المدافع الا بعد ٢٤ ساعة من تاريخ الاعلان

« كتب فى السفينة (انفسيبل) بمياه الاسكندرية فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع : بوشان سيمور » .

ولما وصل هذا الجواب الى قناصل الدول اجتمعوا ثانية وأخذوا يحاولون ارضاء الأميرال سيمور ، ولكن ذهبت أتعابهم أدراج الرياح

عدوان الانجليز

لما تمكنت انجلترا من اقناع فرنسا وباقي الدول الأوربية بأنها تنفرد بالعمل فى قتال المصريين اختلقت لذلك أسبابا لا ظل لها من الحقيقة وذلك أن المستر كارترايت كتب الى ناظر خارجية انجلترا اللورد غرنفيل ما يأتى :

« سيدى اللورد

« أرفع الى حضرتكم أن الأميرال سيمور علم اليوم بأن قد وضع مدفعان فىالقلعةالمعروفة بقلعة (السلسلة) الكائنةتجاه الميناء الجديدة علاوة على المدافع الموجودة فيها (والله يشهد انهم لكاذبون فان قلعة السلسلة لم يجر بها شيء من الترميمات فضلا عن وضع مدافع أخرى فيها) فلم يعد فى امكانه تحمل هذه الأمور والصبر عليها ، ولذلك عزم على اطلاق المدافع فى فجر الثلاثاء الآتى (١١ يوليه) . وسأخبر القناصل الجنرالية والخديو ودرويش باشا بهذا العزم فى هذا اليوم ، ثم أجرى من التدابير ما يلزم لكى يتمكن الباقون فى الاسكندرية من النزول الى السفن والالتجاء اليها

« كتب فى السفينة (هليكون) بميناء الاسكندرية فى ٩ يوليو سنة ١٨٨٢

التوقيع كارترايت »

وفىمساء اليوم المذكور أعلنالمستر كارترايت القناصل جميعا عن عزم الأميرال فأوعزوا الى رعاياهم بالمهاجرة فى الحال ، وشاع الخبر بين السكان وطنيين وأجانب وصاروا يتسابقون الى محطة السكة الحديد زرافات ووحدانا الى داخل البلاد منتشرين فى المدن والأرياف وهرول بعض الاجانب الى البحر لاجئين الى السفن الراسية فى المرافىء . ولم ينقض اليوم العاشر من شهر يوليو حتى خلت المدينة

من السكان واقفرت من أهلها أو أوشكت ولم يبق فيها الا الجند والحامية ونفر قليل من الأجانب وبعض الأهالى

وفى مساء اليوم نفسه توجه المستر كارترايت الى سراى رأس التين ، وأعلن للخديو بصفة رسمية عن عزم الأميرال على مباشرة القتال صباح الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ثم أشار عليه بأن يترك سراى رأس التين ويلجأ الى سراى الرمل ، وبعد ذلك قصد درويش باشا فلم يجده فكتب اليه بصفة رسمية أيضا يطلب اليه بأن يحافظ على حياة الخديو وانه مسئول ما عساه يصيب الخديو

وفى صباح اليوم العاشر أرسل الأميرال كتابة الى طلبة باشا قومندان موقع الاسكندرية مؤقتا ورئيس حاميتها ، طلب فيها انزال جميع المدافع المتسلحة بها طوابى استحكامات الاسكندرية من طابية المكس الى طابية برج السلسلة ، ويدعى زورا بأنه شاهد مراكب شراعية مشحونة بالاحجار تفرغ مشحوناتها فى بوغاز الميناء بقصد سد البوغاز وحبس المراكب الانجليزية . وانه ان مانع فى انزال المدافع أمر باطلاق مدافع الأسطول على المدينة والاستحكامات صباح باكر فيدمرها تدميرا ، ويقول فيه أيضا : « أرسلنا كتابات رسمية الى كل من درويش باشا المندوب السلطانى العالى ، وراغب باشا رئيس الوزارة المصرية أعلن لهما فيها عن خروج رجال الوكالة الانجليزية من القطر المصرى اشارة الى قطع العلائق والصلات الودية »

فسرعان ما عم الخوف كل من بقى فى المدينة وأيقن الناس بحلول الدمار وصاروا فى انتظار النار والرعب ملء افئدتهم ، فأخذت السفن والمراكب الراسية فى الميناء فى الخروج منها وذهب الأسطول الفرنسى قاصدا بورت سعيد تاركا الأسطول الانجليزى وشأنه يتصرف فى الادعاء على المصريين

بما يوحيه اليه الأميرال سيمور ، وبما يروق فى أعين رجال الحكومة الانجليزية من الظلم والعدوان .

وفى صباح يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ انعقد مجلس فوق العادة من النظار وغيرهم من الذوات الاختيارية تحت رئاسة توفيق باشا الخديو بحضرة المندوب السلطانى درويش باشا وقدرى بك سكرتيره والسيد احمد أسعد وكيل الفراشة النبوية عن الحضرة السلطانيـــة المرسل مع درويش باشا للنظر فى المسألة المصرية التى ابتدعتها المطامع الانجليزية

ولما تلى كتاب الأميرال سيمور المرسل الى طلبـــة باشا قومندان المدينة تقرر بالمجلس المذكور بانه لا يمكن اجابة طلب الأميرال سيمور ، لما فى ذلك من الخزى والعار الذى يلحق بالمصريين الى الأبد حيث ان الاستحكامات والطوابى المذكورة ما أنشئت الا لحفظ الثغور ، والعساكر ما وجدت الا للدفاع عن الوطن العزيز والذود عن حياضه ، فلا يجوز لهم أن يخربوا معاقلهم بأيديهم لمجرد طلب العدو الطامع فى بلادهم ، بل الواجب عليهم أن يدافعوا عن بلادهم ويقوموا بما تحتمه عليهم واجباتهم الحربية الى آخر رمق من حياتهم دفاعا عن شرف الوطن . ولـــكن قفلا لبـــاب الشر وقطعا لاحتجاجات الاميرال سيمور رئيس الدونمة الانجليزية ، رؤى أن يرسل له وفد مؤلف من عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وقاسم باشا وكيل البحرية السابق ومحمد كامل باشا وكيـــل البحرية حينذاك وتكران بك باشكاتب مجلس النظار ويتلطفوا معه فى المقال ، ويوضحوا له بأن المصريين ليسوا أعداء للانجليز ، وانه لا يمكن سد البوغاز بالاحجار كما قيل ، وانه يمكن ضبط المراكب المشحونة بالاحجار عند شروعها فى العمل ان وجدت

وأما انزال المدافع فهذا أمر لا يمكن قبوله لمـــا فيـــه من مخالفة قوانين البحرية ولما يتبع ذلك من الاهانة والذلة .

وانما يمكن اجابة لطلبه وفضا للاشكال تنزيل ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى احداها طابية المكس والثانية طابية صالح والثالثة طابية برج السلسلة وأن يكتفى بذلك رداً لشرف الدونتمة كما يزعم

فذهب الوفد وبلغ الرسالة ثم رجع وأخبر بأن الأميرال المذكور لم يقبل بما عرض عليه ، وصمم على وجوب انزال جميع المدافع كما طلب ، وانما تكرم بأن عافى عساكره البحرية من معاناة مشقة انزال المدافع وتخريب الطوابى وسمح للعساكر المصرية بأن يعانوا هذه الأعمال ، ويخربوا معاقلهم بأيديهم . وزاد على ذلك بأنه يطلب من الحكومة المصرية أمرا صريحا باعطائه طابية المكس وما وراءها من الأراضى ، وطابية العجمى وطابية باب العرب لاتخاذها معسكرا للعساكر الانجليزية ، وانه اذا لم يجب الى طلباته المذكورة باشر القتال عند طلوع الشمس فى يوم غد . وحيث ان طلباته غير قانونية ولا يمكن قبولها بوجه من الوجوه خصوصا وان الفرمان السلطانى يحجر على الخديو التصرف فى اعطاء قيد شبر من الأراضى المصرية وملحقاتها الى دولة أجنبية . فلذا تقرر رفض طلبات الأميرال واعلان حكومة الباب العالى بذلك ، حيث أنها صاحبة البلاد المصرية . ويكون أخطارها تلغرافيا مع الاستعداد للحرب بشرط ان لا يبتدأ بها من جهتنا الا بعد اطلاق ثلاثة (جلل) من جهة العدو المعتدى . وفى حالة وقوع الحرب حقيقة تعلن الاحكام العرفية فى جميع البلاد المصرية . وبعد ذلك ارفض المجلس ثم انتقل الخديو ودرويش باشا ومن معهما من راس التين الى سراى الرمل فى أصيل اليوم المذكور عملا برأى المستر كالوترايت كما سبق الذكر

وهاك أسماء أعضاء المجلس المنعقد تحت رئاسة الخديو :

محمد توفيق باشا (خديو مصر) ــ المشير درويش باشا (رئيس الوفد السلطانى) ــ قدرى بك (سكرتير الوفد المذكور) ــ السيد أحمد أسعد (عضو بالوفد المذكور) ــ اسماعيل راغب باشا (رئيس النظار وناظر

الخارجية) ـ أحمد رشيد باشا (ناظر الداخليـــة) ـ عبد الرحمن بك رشدى (وزير المالية) ـ أحمد عرابي باشا (وزير الجهادية والبحرية) ـ علي ابراهيم باشا (وزير الحقانيـــة) ـ سليمان أباظة باشا (وزير المعارف) ـ محمود الفلكى باشا (وزير الاشـــغال) ـ حسين الشريعى باشا (وزير الاوقاف) ـ اسماعيل حقى أبو جبل باشا (من الشيوخ) ـ محمد سعيد باشا (من الشيوخ) ـ قاسم باشا وكيل الحقانية سابقا (من الشيوخ) ـ محمد كامل باشا (وكيل البحرية) ـ محمد سلطان باشا (رئيس مجلس النواب) ـ محمد المرعشلى باشا ـ محمود فهمي باشا

أكاذيب الانجليز

بعد امضاء القرار المذكور بوجوب الحرب صدرت أوامر الجهادية الى رؤساء الاستحكامات وأمراء الألايات وفروع الجهادية بالاستعداد للحرب والمدافعة عن البلاد ، وسهرنا طول الليل فى ترتيب ما يلزم اجراؤه للقتال

وفى اليوم التالي انتشر الخبر فى عواصـــم أوربا ونقلتـــه الأسلاك التلغرافية بأسرع من لمح البصر ، فارتجت له أفكار العالم واهتزت له جوانب الارض ، فرأت وزارة خارجية انجلترا ، أن تلطف الخبر للدول الأوربية مخافة معارضتها لها فيما تريد اجراءه ، فكتبت الى وكلائها الخطاب الآتى :

« من اللورد غرنفيل وزير خارجية جلالة ملكة انجلتـــرا

« الي وكلاء حكومة انجلترا لدى حكومات باريس وبرلين وفينا ورومة وبطرسبرج والاستانة

« تحرر فى النصف الثانى ، من اليوم العاشر لشهر يوليو سنة ١٨٨٢

« بناء على رسالتى التلغرافية المرسلة اليكم مساء أمس أخبروا الحكومات التى انتم نائبون عن حكومتنا لديها بأن ما سيجريه الأميرال سيمور بالاسكندرية لا يكون الا من قبيل الدفاع والمحاماة عن الأسطول ، ولسوء الحظ لم نر بدا من ذلك غير أننا مع ذلك نصرح أن ليس لنا أرب خفي أو نية غير بينة

« وقد اتضـــح لنـــا من تقـــرير الأميرال أن حكام الاسكندرية قد استمروا على تحصين القلاع والاستحكامات مظهرين العدوان والبغضاء نحونا بالرغم من نواهي الحضرة الشاهانية وأوامرها الصـــادرة لهم بالكف عن التظاهر بالأمور العدائية وخلافا لارادة الخديو ، بل ونقيضـــا لما أبدوه لنا مرارا من مسالمتهم ومصافاتهم لنا »

وفي الرسالة التلغرافية المرسلة بهذا الصدد الى اللورد دوفرين بالآستانة زيادة هذا تعريبها :

« وهذا حرص منا على مصلحة الجناب السلطاني ، الذى خالف الثائرون أوامره ، ونبذوا مشوراته ووصاياه نبـذ النواة »

وقد قدم وكلاء انجلترا هذا الكتاب الى حكومات أوربا ، وفي جملتهم اللورد دوفرين وكيلها بالآستانة الذى بعد أن قدم للباب العالى الصورة التى أرســلت اليه كتب الى اللورد غرنفيل ناظر خارجية دولته ما يأتى :

« من الآستانة فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢

« سيدى اللورد

« أرفع الى حضرتكم صورة الكتاب الذى عرضـــته على الباب العالى مبينا فيه عزم الأميرال ســـيمور على ضرب قلاع الاسكندرية اذا لم تستسلم له وهو :

« الى حكومة الباب العالى

« ان سفارة انجلترا تخبر الباب العالى انه بنـــاء على استمرار حكام الاسكندرية فى تحصين قلاعها وتقـــوية استحكاماتها يعلن الأميرال ســـيمور فى صباح هذا اليوم بعزمه على رميها بنار المدافع بعد أربع وعشرين ساعة ، اذا لم تستسلم الحصون له وتكف عن التظاهر بالعدوان »

« كتب فى ترابيا (مقر سفارة الانجليز بالآستانة) فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ »

قال : « وبعد أن قدمت هذا الكتاب بصفة رسمية ذهبت الى المابين الهمايوني لأقف على أفكار الحضرة السلطانية ، وأرى اذا كان من الممكن العدول عن مباشرة القتال ، فأجابني الجناب الشاهاني « ان حكومته تلقى الى في بكرة الغد (أى عند الخامسة أفرنكية من الصباح) جوابا رسميا باتا على كتابي الذى تقدم ذكره » ثم طلب الى تأجيل اطلاق المدافع على الاسكندرية ، فأجبته : « انى أرفع هذا النبأ الى حضرتكم ، ولكنى لا أظن أن الأميرال سيمور يستطيع العدول عما صمم عليه اذا لم يمتثل رجال الحصون لاشارته وينفذوا طلبه »

التوقيع : **دوفرين**

وبعد ذلك أرسل اللورد دوفرين الى الأميرال سيمور تلغرافيا ما يأتى :

« لست أدرى ما هى الأوامر التى ألقيت اليك من حكومتنا ، وهل أنت مفوض بالتماهل عند اللزوم أم لا ؟ فاذا كان الأول فلا بأس من تأجيل العمل ثلاث ساعات أو أربعا ليتمكن اللورد غرنفيل فى خلالها من النظر فى جواب الحكومة العثمانية ، فربما كان كافيا لتعديل ما تقيد اجراؤه ، وذلك لأن هذا الجواب المنتظر لا يمكن وصوله الى قبل الساعة التى عينتموها لمباشرة القتال »

التوقيع : **دوفرين**

ضرب الاسكندرية

لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات فان نار المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين ، وبالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء الواقع فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم تجاوبها مدافع القلاع الا بعد أن أطلق الأسطول نحو ٢٠ طلقة من مدافعه ، ثم استمر القتال بين الأساطيل الانجليزية وقلاع الاسكندرية

بعد ذلك الى منتصف النهـــــار ، ومن ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص والاضمحلال حتى تم تدميرها قبيل الغروب

وحيث كانت استحكامات الاسكندرية قديمة كما هـو معلوم وجميعها مبنية بالأحجـــار من مدة ٦٧ سنة أو ٧٠ سنة وقد باغتنا الانجليز بالعدوان على غير استعداد منــا ولا تأهب ، فقد كان تأثير شظايا الأحجار المتناثرة وضررها أكثر من تأثير مقذوفات العدو نفسها

أعمال الدفاع فى الاسكندرية

من المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ولكن أكثرهامسلحة بالأسلحة القديمة التى لا تصلح لمقاومة الدوارع الانجليـــزية ، غير أن فى بعضها مدافع أرمسترونج وهى وحدها الأسلحة النــارية التى تصلح لخرق دروع السفن الانجليزية

بيان الحصون

كان فى الجبهة الغربية ازاء ممر مريوط حصن من أمنع الحصون بالاسكندرية وأهمها ، يسمى حصن مريوط وهو واقع فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم ، فقد كان هذا الحصن مسلحا بأربعة مدافع ضخمة منها مدفعان من زنة (١٨ طنا وقطره ٨ أباهم) واثنان من زنة (١٢ طنا وقطره ٩ أباهم) وثلاثون مدفعا من المدافع الصغيرة وخمسة مدافع من مدافع الهاون

ووراء حصن مريوط ، أى فى الرأس الغربى من الفرضة حصن آخر يعرف بحصن (العجمى) وكان هذا الحصن مسلحا كحصن مريوط

وبعد هذا الحصن حصن المكس وهو على مرتفـــع من

الأرض ، وظيفته الدفاع عن مدخل الميناء ، وبين حصن مريوط وحصن المكس استحكامات معززة بالمدافع

وكان حصن المكس معززا باحدى وثلاثين قطعة من المدافع منها أربعة مدافع من ذوات العيار الأعظم (أرمسترونج)

وتمتد على طول خط المرفأ القديم الى الميناء عدة متاريس واستحكامات وهي : طابية (القمرية) ، وفيها خمسة مدافع ، وطابية (أم كبيبه) وفيها ١٨ مدفعا ، ثم برج مستدير وفيه مدفعان وحصن (صالح) المسمى بطابية صالح وفيه ٢٤ مدفعا

أما الجهة الأخرى من المرفأ القديم ففيها قلعة الفنار ، وهي قلعة مشرفة على الميناء الداخلية معززة بأربعة وعشرين مدفعا ، منها ٥ من طراز أرمسترونج قطر أحدها عشرة أصابع وزنته ١٨ طنا ، وقطر كل من الأربعة الأخر تسعة أصابع وزنته ١٢ طنا

وفي رأس التين عدة بطاريات مسماة باسمها مسلحة بسبعة عشر مدفعا أرمسترونج ، منها بعض قطع من ذوات العيار الكبير ، ومدفعان عظيمان من نوع المونكريف يتحركان صعودا وهبوطا

وفي الجهة الشرقية يوجد الحصن المعروف بطابية (اطه) وفيه ١٢ مدفعا منها ٣ أرمسترونج زنة كل منها ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع

وعند منتهى خط شبه الجزيرة يقوم الحصن المعروف بحصن (قايدباى) وهو مبني بالحجر ، وفيه ١٢ مدفعا وهذا الحصن يشرف على سطح البحر الواسع ووظيفته أن يكون متوليا حماية مدخل الميناء الشرقية ، ويشترك معه فى هذه الحماية الحصن المعروف بحصن (نابليون) القائم على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الأخرى من الميناء

المذكورة ، ممتدا الى داخل البحر يحميه حصن مهم يعرف بطابية السلسلة

ويكتنف الاسكندرية من جهة اليابسة سورها الغربى القديم الباقى منه فى جهة باب رشيد بعض آثار تدل على شهرته ومنفعته في الدفاع ، وتحتاط بها عدة متاريس واستحكامات قائمة على مرتفعات متوجة بها وهى مطلة على بحيرة مريوط ومياه ترعة المحمودية الجارية بين هذه المرتفعات والبحيرة المذكورة • وكل هذه الأبنية من بقايا الحصون التى أنشأها الفرنسيون حوالى المدينة أيام الحملة الفرنساوية ، حيث كانت معززة من الخارج بكل من حصون كافاريللى المعروف بحصن نابليون (أو كوم الناضورة) وحصن كريتين أو (كوم الدكه) ومتراس كيلوباترا ، والحصنان الأولان وهما حصن كوم الناضورة وحصن كوم الدكه مرتكزان فى قلب المدينة اليوم لقيام الأبنية من حولهما ، ولكن أهميتهما الحربية مفقودة ، لعدم وجود أسلحة من أسلحة الحصون العظيمة فيهما • والحصن الأول منهما مطل على داخلية المرفأ القديم ، وهو عظيم شاهق الارتفاع ، فقد كان لا يوجد فيه من مدافع أرمسترونج الا مدفعواحد زنته ١٢ طنا وقطره ١٠ أصابع•وعند بابالعرب استحكامات تعادل حصن المكس علوا وارتفاعا تقفل لسان الأرض الواقع بين البحر وبحيرة مريوط • وهى واقعة الى ما وراء المقطع القديم الذى خرقه الانجليز عام ١٨٠١ قبل خروجهم منمصر ليدخلوا به مياه البحر الىالبحيرة فأغرقت يومئذ قرى كثيرة وتحولت به صحراء واسعة يابسة ناقعة الى مستنقع ردىء مضر

هذه كانت حالة الاسكندرية من الحصون والاستحكامات قبل أن ترميها الانجليز بنيران أساطيلها فى ١١ يوليوسنة ١٨٨٢

ايضاح وبيان

من المعلوم ان أساطيل الانجليز داهمتنا بالحرب ولم نأخذ لها أهبتها ، ولم يكن يوجد بالاسكندرية من حاميات الحصون المصرية غير ٧٠٠ رجل فقط من رجال المدافع ، فلذلك وزعت عساكر الطوبجية البرية مع ما يلزم من عساكر البيادة (المشاة) على الحصون والقلاع الموجودة على خط النار ، وكذلك وزعت عساكر الأربع آلايات البيادة على خط الاستحكامات من حصن السلسلة الى طابية المكس . فكان الآلاى الثانى حكمدارية خليل بك كامل شاغلا خط النار الموجود بين طابية المكس وباب العرب وطابية العجمى والآلاى الخامس حكمدارية مصطفى بك عبد الرحيم مشتغلا بمساعدة استحكامات الفنار ورأس التين والآلاى السادس حكمدارية سليمان بك سامى منوطا بمساعدة طابية صالح الى الترسانة ، والآلاى الرابع حكمدارية عيد بك محمد بجهة (أم كبيبة) الى باب العرب وأمامه قومندان برنجى آلاى سواحل محمد بك أمين كان قائما بتنظيم القتال فى طابية الفنار ، ومعهم الشهم الغيور سيف النصر بك وكذلك البطل المغوار الزبير باشا رحمت ، وقومندان ٢جى أورطة سواحل اسماعيل بك صبرى كان يدير مركز القتال فى طابية (اطه)

وكان كل آلاى من الآلايات البيادة (المشاة) مؤلفا من ثلاثة آلاف رجل فيكون مجموع العساكر البيادة الذين وجدوا فى ثغر الاسكندرية يوم قتال الانجليز اثنى عشر ألفا وسبعمائة من رجال طوبجية السواحل

ومن المعلوم أن الجيش المصرى كان مؤلفا من ثمانية آلايات من البيادة وثلاثة من الخيالة (الفرسان) وآلايين من

الطوبجية البحرية المخصصين بســـاحات القتال وثلاثة آلايات من الطوبجية السواحل المخصصين لحماية الثغر ، وفرقة من رجال الهندسة ومجموع ذلك فى حالة استكمال الفرق والآلايات يبلغ « ستة وثلاثين ألفا » وفى مدة الحرب يبلغ « اثنين وسبعين ألفا » وذلك عدا العربان والمتطوعين فكان جملة الجراية التى تصرف لجميع العساكر والمتطوعين والخدم المشتغلين بالتجهيزات الحربية والذخائر والمـــؤونة ١٢٠ ألف جراية أو ٩٠ ألف أقة

أما نوع الأسلحة فللمشاة منها بنادق بحراب من نوع (رمينكتون) وللفرســـان سيوف وغدارات مسدسة وللطوبجية مدافع من الفولاذ مضلعة من طراز (كروب)

وفى القاهرة مسلحة كبيرة ومعمل للبنادق وآخرببولاق لصب المدافع وفوريقة عظيمة لعمل البنادق والمدافعأنشئت فى طره ولكنها لم تكن قد كملت قبل نشوب الحرب وبناؤها باق للآن

نشوب القتال

أطلقت البارجة الكسندره مدفعها الأول فى الســـاعة السابعة والدقيقة أربعة من صباح ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ وتلتها باقى المدرعات الانجليزية بطلقات عديدة ، وبعد ٥ دقائق أجابتها القلاع بنار شديدة حامية ، واستمر القتال على هذا الحال الى قبيل الغروب حتى تهدمت الاستحكامات وتعطلت المدافع من جراء مقذوفات المراكب الهائلة . ومن الأسف أن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصـــل الى المراكب الانجليزية ومدافع الارمسترونج لم تكن لهامساطر تعرف بها المسافات ، وتحكم الاصابة بواسطتها ، اللهـم الا مسطرة واحدة ، كانت فى محـــل التعليم بالعباسية (بالبلجون) استحضرت ليلا ، وسلمت الى الشهم المقدام

سيف النصر بك قومندان طابية الفنار فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من محل الى آخر ويحكم الاصابة بواسطة المسطرة المذكورة ، فكان معظم الدوارع التى تعطلت من جراء المقذوفات التى أحكم هو اطلاقها ، ولو كانت مدافع الارمسترونج كلها ذات مساطر لأمكنها تعطيل جميع الدوارع الانجليزية بما تقذفه من المقذوفات الصائبة

وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر واعطائهم الماء وحمل الجرحى منهم وتضميد جراحهم ونقلهم الى المستشفيات

وكنا مع جميع النظار فى طابية كوم الدماس للاشراف على مواقع القتال فكتب راغب باشا رئيس النظار الى جميع مصالح الحكومة والمديريات والمحافظات يعلنها بانتشاب الحرب بين الانجليز والمصريين ظلما وعدوانا بلا سبب معقول وان البلاد جميعها صارت تحت الادارة العرفية والأحكام العسكرية

وحدث أن اشتعلت النار فى سراى رأس التين وكثير من بيوت الاسكندرية من تأثير مقذوفات العمارة الانجليزية نعرف منها بيت (اجيون) الكائن بجوار النبى دانيال وبيت الخواجه ابراهيم بيما وبيت الخواجه يوسف نصر ومعمل الخواجه دهان وكثيرين غيرهم • فخصصت العساكر الطلمبات « آلات المطافىء » لاطفاء حريق سراى رأس التين وغيرها من المحلات التى شبت النار فيها

وقبيل غروب شمس ذلك اليوم حضر طه باشا لطفى وسليمان باشا أباظه وحسين بك الترك من قبل الخديو ومحيى الدين بك ياور من قبل درويش باشا وهو ياور المندوب السلطانى المذكور ليبلغونا سلام الخديو ودرويش

باشا وثناءهما على صبر العساكر وثباتهم العجيب تجاه قوة الدوارع الهائلة

وقد استشهد فى ذلك اليوم من جميع الطوابى مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتى كن يضمدن جراح الجرحى ، وفى اليوم نفسه حضر محمود باشا سامى البارودى من القاهرة للاشتراك معنا فى الدفاع عن البلاد وبعد الغروب توجهنا مع النظار الى سراى الرمل وعرضنا على مسامع الخديو ودرويش باشا ما حصل فى ذلك اليوم وان الاستحكامات تخربت والمدافع تعطلت فحصلت المداولة فى هذا الشأن بالمجلس تحت رئاسة الخديو بحضور درويش باشا ورئيس مجلس النواب وتقرر فيه بأنه اذا عاودت المراكب الانجليزية الضرب فى صباح ١٢ يوليو فلا تجاوبها القلاع بل ترفع الراية البيضاء علامة للمخابرة مع الأميرال فى توقيف الحرب واعادة الصلات الودية حيث قد تحصل الأميرال سيمور على غرضه بتخريب القلاع وتعطيل المدافع ثم توجهت بعد ذلك مع راغب باشا رئيس النظار الى بيته الكائن على ترعة المحمودية وأرسلنا الأوامر اللازمة الى رؤساء القلاع والمعاقل وقضينا تلك الليلة فى المحل المذكور

وفى صباح يوم ١٢ يوليو جاءنا رسول من قبل الخديو يدعونا اليه فتوجهنا مع راغب باشا تلبية لدعوته • وكان فى الرمل فأخبرنا بأنه قد حضر قسم من العسكر الى السراى وسألنى عن سبب حضورهم فأجبته بأن لا علم لى بذلك ولعلهم حضروا لتقوية الحرس ، فقال لا لزوم لذلك ، فان فرقة الفرسان الموجودة هنا كافية ، فمرهم بالرجوع الى مكانهم ، فتوجهت الى القشلاق ووجدت أربعة بلوكات من آلاى سليمان بك سامى ومعهم الصاغ على أفندى أبو غنيمة (أوهشيمة) فسألته عن سبب حضوره بالعساكر الى سراى الخديو ، فقال ان حكمدار الآلاى سليمان بك أمره بذلك ،

فحضر لتقوية الحرس الخديوى ، فأمرته بالعودة الى آلايه مع عساكره لعدم الحاجة لتلك التقوية

سيمور يرفض الهدنة

وفى صباح اليوم المذكور أطلقت البوارج الانجليـزية مدافعها على القلاع فرفعت هذه الراية البيضاء علامة للمخابرة وتقرر ارسال طلبه باشا عصمت الى الأميرال سيمور لابلاغه ما تقرر من ايقاف الحرب واكتفاء بما حصل من التخـريب والدمار فذهب وقابل مندوب الأميرال فى الترسانة وأخبره بما ذكر ثم توجه المندوب المذكور برفاص صغير الى الأميرال المذكور وأخبره بما تلقاه من طلبه باشا فلم يقبل ولم يرجع بالجواب الا بعد العشاء فذهب طلبه باشا الى الخديو وأخبره بما كان من عدم قبول الأميرال واصراره على الرفض ․ثم عاد الينا وأخبرنا بما حصل ․ وفى الساعة العاشرة من اليوم المذكور رجعت من سراى الرمل الى الاسكندرية مع راغب باشا ․ فلما وصلنا الى قرب الباب الشرقى وجدنا المهاجرين من الأهالى رجالا ونساء وأطفالا مزدحمين ازدحاما شديدا ومختلطين بالعساكر الفارين الذين آل أمرهم الى الخذلان المعيب ، فتركوا ضباطهم ومواقعهم الحربية عندما رأوا رفع الراية البيضاء

ومن شدة الازدحام لم نتمكن من الوصول بواسـطة العربة فتركت راغب باشا فيها وسرت ماشيا على قدمى أتخلل الناس حتى وصلت الى ساحة الباب الشرقى فوجدت بعض الضباط هناك من آلاى عيد بك محمد ومعهم نصف أورطة من العسـاكر وباقى الآلاى ذهب الى حيث ذهب الفارون وأخبرت ان عساكر الطوبجية تركوا الاستحكامات وتوجهوا الى بلادهم مع أهالى الاسكندرية وقد اقتدى بهم عساكر البياده

وكذلك بلغنى ان سليمان بك سامى هائج هياجا شديدا

وانه قد حضر ومن معه من العساكر الى المنشية وانه يريد حرق الاسكندرية قبل تركها للعـدو وان عساكره كسرت بعض الدكاكين وأخذت منها بعض الأقمشة فأرسلت اليه ابراهيم بك فوزى وعمر بك رحمى وغيرهما من الضباط لمنعه عما عزم عليه واخطاره بسرعة الحضور الينا بمن معه من العســـاكر • فحضر ولما سألته عما نسب اليه ، أنكره كل الانكار • ثم توجه الى عساكره وجمع ما وجده معهم من الأقمشة وأشعل فيها النار • ولما رأيت ذلك وبخته كثيرا وبرأت من عمله هذا الى الله وأشهدت عليه الأرض والسماء وجميع الحاضرين بأنه هو المسؤول عن عمله الفظيع دون غيره

وقع الرعب والفزع فى قلوب العساكر ودب فيهم دبيب الفشل واستولى عليهم الخذلان فتشتت أكثرهم لهـــول ما رأوا من تخريب الطوابى ولما رأيت ذلك ، وعلمـت انه لا يقدر على جمع الجيش بعد تفرقه وخذلانه الا القليل من القواد الموفقين حاولت أن أوفق الى جمـع شتاتهم فخرجت بمن أمكن جمعهم فى الغروب الى جهة حجر النواتية وهناك ضرب النفير نوبة جمع فتوارد بعض المنتشرين فى الفضاء

الخديو يلجأ للانجليز

وفى صباح ١٣ يوليو سنة ١٨٨٢ توجهت بمن اجتمع عندى من العساكر الى عزبة خورشـيد ثم الى كفر الدوار واتخذناها مركزا حربيا ثم كتبت الى محطات السكة الحديد والمديريات والمحافظات بسرعة ارجاع العساكر الى كفـر الدوار للمدافعة عن الوطن ومن ثم أخذنا فى انشـــــاء استحكامات خفيفة وتحصين التلال القديمة وجعلنا الخط الأول من الاستحكامات عند عزبة خورشيد خلف الملاحة

وفى يوم ١٥ يوليو أمرنا بارسال قطار الخديو بالسـكة الحديد لركوب الخديو وعائلته من سراى الرمل وحضوره

الى عاصمة بلاده ، وقطار آخر لركوب الذوات والعساكر الذين بمعية الخديو ، فلما رأى الخديو ذلك أسرع فى التوجه الى سراى رأس التين ومعه عائلته والذوات والنظار والعساكر تحت رحمة الانجليز ورعايتهم ، وقد وضح انحيازه الى العدو المحارب لبلاده ، وتم له ما أراد ، مما غاب عنا علمه !

وقد رفض الخديو الرجوع الى عاصمة بلاده، ولما وصل ومن معه الى سراى رأس التين استقبلهم الأميرال والضباط الانجليز فى ردهة السراى الكائنة على رأس السلالم ثم أمر باحاطة السراى بالبوليس الانجليزى وقرر الأميرال سيمور وقنصل انجلترا الجنرال والمستر كولفن تعيين المستر أورستستين ترجمانا بينهم وبين الخديو • وكان من واجباته أن لا يفارق السراى وأن يراقب كل ما يجرى فيها ويقدم به بيانا ضافيا فكان يتناول الطعام مع الخديو فى الصباح والمساء على مائدة واحدة • وهكذا صار الخديو تحت رحمة الانجليز بمحض ارادته يأتمر بأمرهم ، وينفذ ارادتهم والأمر لله من قبل ومن بعد

تحصينات كفر الدوار

لما جمعنا العساكر في كفر الدوار أنشأنا الاستحكامات وعززناها بالمدافع الحربية الممتدة من عزبة خورشيد الى كفر الدوار ، ومن ترعة المحمودية الى أرض الملاحة وحفرنا خندقا عرضه أربعة أمتار

وقد جعلنا خط الدفاع فى المقدمة عن عزبة خورشيد على طول الخط من المحمودية الى الملاحة أيضا وجعلنا ما وراء هذا الخط من التلال والمرتفعات مواقع محصنة بمدافع (كروب) وكذلك التلال الموجودة بين المحمودية وسد أبى قير ، وقد تم اجراء هذه الأعمال الدفاعية بمعرفة المهندس الحربى العظيم محمود باشا فهمى ورجال الهندسة

الحربيين ، ومساعدة خمسة آلاف رجل من أهالى مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة

وقد استحضرت الأخشاب اللازمة لسد ترعة المحمودية، وذلك لمضايقة الانجليز في الاسكندرية وحولت مياه النيل الى الأراضى المالحة الكائنة بين المحمودية وسد أبى قير ، الى الرمال أيضا لمنع العدو من الانتفاع بها أولا ، ثم لاحياء تلك الأراضى واصلاحها بماء النيل العذب

وقد سار اللواء خورشيد باشا طاهر من رشيد بالآلاى الرابع حكمدارية محمد بك أمين ، وتبوأ نقطة أبى قير لمنع هجوم الانجليز من تلك الجهة

هزيمة الانجليز فى أبى قير

وفى ٢٦ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من خورشيد باشا طاهر قال فيه ما يأتى :ـ

« ظهر العدو من جهة الرمل بأورطتين مشاة وأورطتين سوارى ومعه مدفعان يحاول وضعهما على ربوة على بعد ١٥٠ متر من المستحكم الطبيعي الموجود أمام عساكرنا » ، فقابله كل من احمد افندى البيار البكباشي ومصطفى أفندى حسان البكباشي بأورطتين بيادة وأورطتين سوارى ، وارسلا خبرا الى خورشيد باشا المشار اليه ، فأسرع بثلاثة بلوكات من السوارى الى ميدان القتال فوجده كثير الرمال فأبطل ضرب نار البيادة وفتح السوارى فى هيئة (جرخاجية) وهجم على العدو وأصلاه ضربا مبرحا حتى ألجأه الى التقهقر خلف الربوة التى كان يحاول وضع المدفعين عليها ، وهناك اختفى العدو فى النخيل وولى منهزما

« وقد أصيب حصان من خيلنا ، ولم يستشهد أحد من عساكرنا الأبطال ، وكان ابتداء القتال فى الساعة الاولى من النهار وانتهاؤه فى آخر الساعة الرابعة ، فمدة القتال ثلاث

ساعات ونصف ابلت فى خلالها رجالنا بلاء حسنا ولم تعرف خسائر العدو لرفعها من الميدان أولا فأولا »

هزيمة الانجليز
فى معركة عزبة خورشيد

وفى ٢٧ يوليو ظهر قطار مقل لعساكر انجليزية آتيا من سكة القبارى ، فلما قرب من المقدمة بمسافة (١٥٠٠ متر) أطلق عليه البكباشى محمد افندى حشمت مدفعا عظيما من نوع كروب ، فأصاب القطار وأوقف سيره ، فنزلت العساكر وتقدمت الى الأمام بقيادة الجنرال (اليزون) الذى رتب جيشه على أربع فرق تحت حكمدارية الميرالاى (طوسون) والماجور (سترنج) والقبودان (ادج) فى صورة قلب وجناحين ، فلما قربوا على مسافة ٨٠٠ متر اشتبكوا فى القتال مع أورطة محروت افندى البكباشى وأورطة المستحفظين حكمدارية محمد افندى فودة الذى أظهر من الشجاعة ما يقصر اليراع عن وصفه . ولما اشتد القتال بين الطرفين تقدم الرجل الشجاع احمد بك عفت حكمدار المقدمة ومعه أورطة سليمان افندى تعيلب ، وأورطة رزق افندى حجازى البكباشى ، وأصلوا العدو نارا حامية ، ثم قام فى الحال طلبة باشا عصمت قومندان فرقة كفر الدوار ، ومعه الآلاى برنجى سوارى حكمدارية احمد بك عبد الغفار ، وحرك الأورط جهة المقدمة ، فتقارب الجيشان واختلط الفريقان وتقاتلوا بالسلاح الابيض وجها لوجه ، ولما أظلم الليل وضعفت قوة العدو قفل راجعا متقهقرا وعساكرنا فى أثره تأخذ عليه الطرق ، وتضيق عليه السبيل وتضربه حتى حال الظلام بين الفريقين . وكان ابتداء القتال فى الساعة التاسعة نهارا (على الحساب العربى) وانتهاؤه فى منتصف الساعة الثامنة . فمدة القتال ست ساعات

وعند تفقد عساكرنا وجد أن المستشهدين ٢٩ جنديا وصف ضباط واستشهد الملازم الشجاع احمد افندى على . وأما الجرحى فهم البكباشي محروت أفندى الذى توفى بسبب جراحه ، واثنان من الملازمين و ٦٥ جنديا وصف ضباط

ولقد ابدى كل من الضباط والعساكر من الشهامة والثبات فى هذه الموقعة ما يستحقون من أجله الثناء الجميل فى الدنيا وعظيم الأجر فى الآخرة

أما خسائر العدو فكانت عظيمة وقد ترك عساكر الانجليز بميدان القتال ١٧ جثة منها الملازم (ديز) وصار دفنه فى جسر المحمودية وقد شوهد الكثير من عساكر الانجليز يحملون قتلاهم وجرحاهم ، وفى اليوم الثاني كانت ساحة القتال مشوهة بالدماء وآثار جر الموتى ظاهرة فيها

تلغراف الخديو بعد انحيازه الى الانجليز

فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد تلغراف من رأس التين الينا بكفر الدوار يقول فيه : « اعلموا ان ما حصل من ضرب المدافع من الدونتمه الانجليزية على طوابى الاسكندرية وتخريبها ، انما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى ، وتركيب المدافع التى كلما كان يصير الاستفهام عنها ، كنتم تخفونها وتنكرونها . والآن قد حصلت المكالمة مع الأميرال فأفاد بأنه ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوية خصومة ولا عداء ، وان ما حصل إنما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدونتمة ، وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممتثل ومؤتمن ، فهو مستعد لتسليم مدينة الاسكندرية اليها ، وكذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم المدينة اليهم ، فقد تحقق

من هذا أن الحكومة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية ، وانه تقرر من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر بأنه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلية ، بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت وأن يصير ارسال عساكر شاهانية لأجل استتباب الراحة فى مصر . فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر وكافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لأجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفهية على حسب أمرنا هذا ، وما استقر عليه رأى مجلس النظار »

جوابنا على ذلك

تلغرافيا فى ١٧ يوليو ١٨٨٢

« مولاى

« فى شريف علم مولاى المعظم ان المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانجليز انما تسببت عن طلبات الأميرال الانجليزى وبلغت مسامع عظمتكم ، وعرضت على مجلس نظاركم « المنعقد تحت رياسة سموكم » بحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودرويش باشا نائب الحضرة السلطانية . ولما تحقق عند جميعهم أن هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديويةومخلة بشأن البلاد ، قر رأيهم علىمعارضة طلب الأميرال ولو أدى ذلك الى الحرب

« وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة ٢٥ ألف عسكرى وصدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم ، وقرر المجلس أيضا أن لا تطلق المدافع الا بعد اطلاق ٥ طلقات من السفن الانجليزية . ولما ابتدأت السفن باطلاق النار على مدينة الاسكندرية لم نقابله الا بعد ٢٠ طلقة ، ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب أدنى استعداد لاستمرار الأوامر بعدم الاستعداد . ثم أعلن حضرة رئيس مجلس

النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهـــات الادارة بأنه قد اشتبكت البلاد في حرب مع الانجليز وانها صارت تحت الاحكام العسكرية كما هو حكم القـــانون فى زمن الحرب

« فلهذه الأسباب يا مـــولاى تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة لدولة الانجليز بوجه الحق والشرع ، ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدراء بالدونتمة كما هو معلوم لدى عظمتكم • وانما كان الحرب عدوانا من الانجليز على الحكومة التى لم يبد منها أدنى شيء يستوجب الحرب ، فان كان الأميرال أظهر فى مخابرته مع سموكم انه عدل عن المحاربة الى المسالمة ، فذلك بعد وقوع الحرب يعد طلبا للصلح وسعيا وراء تجديد العلاقات ، ولا يجوز أن يكون انكارا للحرب وتبرؤا من العـــدوان بعـــد وقوعهما ، ولا شك انى أوافق على أفكار سموكم فى الميل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة، وان كان الأميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد أن تخربت بمدافع السفن الانجليـــزية هدما وحرقا ، فها هو جيشها المنظم الذى لم يقع منه أدنى أمر يخل بالنظام ، مســـتعد لأن يتسلمها بعد أن تبرح المراكب مياه الاسكندرية •ولو انها ضربت المدينة بمدافع سفنها • وللمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاســــتمرار على الاستعدادات العسكرية كما يوافق ذلك رأى سموكم أولا حتى تفـــارق المراكب السواحل المصرية خوفا مما عساه أن يحدث من قبيل ما سبق ، فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على أن المسالمة بالوعد من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به ، وانما هو لأجل اشتغالنا عن الاستعدادات ، واقتـــــراح مطالب تضر بصالح البـــلاد . وانني كنت أتمنى أن أمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملاحظات لو كنتم فى عاصمة

بلادكم ، ولكن من الأسف أن تحقق عندنا تحيز سموكم الى العدو المحارب لبلادكم ، بدليل رفضكم العـــودة الى العاصمة وقت ارسال القطار الخديوى لسموكم، واختياركم الذهاب الى رأس التين ومعكم النظـــار وغيرهم من الذوات بعد علمكم بأن المدينة مشغولة بعساكر الانجليـــز اجابة لرأى المستر (كلفن)

« فان كنت يا مولاى حرا ، فيجب حضوركم الى عاصمة البلاد ، وان كنت أسيرا لدى الانجليز أو متحيزا اليهم ، فلا يمكن التسليم بقبول ما يكتبه العدو عن سموكم ، أو عن لسان رئيس النظار وزملائه والأمر لمن له الأمر

(الامضاء) ناظر الجهادية

أحمد عرابى

وأرسلت كتابا الى وكيل الجهادية يعقوب سامى باشا فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ ، هذا نصه :

« لا يخفى على سعادتكم ما حل بالديار المصرية الشاهانية من البلاء الذى كان نتيجة الدسائس ، التى كانت عاقبتها جلب المراكب الانجليزية بقصد العدوان على بلادنا الاسلامية وعند حضورهم واقامتهم بثغـــر الاسكندرية ، أخذوا فى اقتراح التكليفات الباهظة علينا ، مثل أمرهم لنا بتنزيل المدافع من الاستحكامات واعطائهم ما وراء طابية المكس من الأراضى ليتخذوها معسكرا لهم ، وغير ذلك ، ولذا اجتمع مجلس فوق العادة بأمر الخديو مؤلف من حضرات النظـــار وعدد غفير من الذوات المدربين تحت رئاسة الخديو . وبعد التذاكر فى اقتراحات الانجليز ، قرر المجلس المشار اليه حفظ شرف الأمة وكرامتها بالمدافعة عن العرض والوطن ، وكان ذلك بحضور حضرة درويش باشا منـــدوب الحضرة السلطانية

« وبعد أن تمت هذه المذاكرة فاجأتنا مراكب الانجليز

واخذتنا على غرة منا وضربت المدافع على مدينة الاسكندرية ، ولما تم عدد الطلقات ٢٠ طلقة وكانت المدافعة واجبة شرعيا، قابلناهم أيضا بالضرب واستمر الحرب بين الفريقين نحـو ١٠ ساعات دمروا فى غضونها أغلب طوابى الثغر المذكور واحرقوا مساكنه ففر جميع الأهالى من المدينة

« ولما حصلت المخابرة مع الأميرال فى الصلح والاكتفاء بما حصل ، أبى وتجبر وتوعدنا بحرق المدينـة وتدميرها بعد ساعة ونصف ان لم تسلم اليه جميع الطوابى

« هذا وقد حصل الخذلان ودب الفشل بين قلوب العساكر ، فتركوا مراكزهم وفروا الى مداخل البلاد ، ولذلك توجهنا بمن أمكن حجزهم من العساكر الى كفر الدوار واتخـذناه مركزا للدفاع عن البلاد ، وأمرنا بسرعة جمع العســاكر الفارين فحضروا عاجلا بواسطة السكة الحديد • ثم أرسلنا القطارات الخديوية لتقل الخديو ومن معه الى عاصمة البلاد فما كان منـــه الا أن التجأ بمن معـــه من الخـدم والذوات وعساكر الحرس الى الاسكندرية وعند وصولهـم الى رأس التين استقبلتهم الانجليز بالترحاب ، وفى الحـــال جردوا عساكرنا الذين كانوا حرسا على الخديو من السلاح وأخذوا خيولهم واستخدموهم خدما لهم مرشدين فى انحاء المدينة التى خربوها وكانوا يقتلون كل ، قابلوه من الوطنيين ثم صدر أمر الخديو الى رئيس مخبز اسكندرية بارســـال الخبز الى عساكر الانجليز ومنعه عن العساكر المصريين

« وقد تلقينـــا الآن التلغراف المرسل من الخديو وهو مرسل مع هذا لسعادتكم ومعه أيضا صـــورة الرد الذى أرسل منا اليه لكى تعقدوا مجلسا من الذوات والعلمـــاء ومجلس النواب والأعيان وتطرحوا هذه الأحوال أمامهـم للمذاكرة فيها ، والبت فى السير على خطـة تقررونهـا ثم تحررون قرارا بما ترونه فى صالح البـــلاد وعما اذا كان

يجوز شرعا **وقوع ما حصل من الخديو من التحيز الى العدو المحارب لبلاده أم لا ؟**

« وبعد امضائه فيدونا للعمل بموجبـــه ، وداوموا على اهتمامكم بالتجهيزات العسكرية أفندم »



المؤتمر الوطني

اجتماع الداخلية

بناء على الكتاب الذى أرسلناه الى وكيل الجهادية يعقوب باشا سامى ــ وهو المنشور فى الفصل السابق ــ دعا كثيرا من الذوات والأعيان وكان عدد الذين لبوا الدعوة نحو ٧٠ شخصا والاجتماع فى ديوان الداخلية ، وبعد المداولة والمذاكرة قرر الحاضرون وجوب الاستمرار فى اعداد التجهيزات الحربية واستدعاء النظار من الاسكندرية وهذا نص القرار :

« فى بداية الحرب بيننا وبين الانجليز كتب عطوفة رئيس النظار وناظر الخارجية الى جهات الادارة بأن الحرب انتشبت بيننا وبين الانجليز وصارت الاحكام عرفية ، وانه من اللازم الاستعداد للمقاومة، ثم وردت منه افادة تلغرافية بعد ذلك بأيام مقتضاها حصول الصلح والتنبيه على المصالح أن تسير سيرا مدنيا وانها خرجت من الأحكام العرفية · وبعد ذلك صدرت افادة من ناظر الجهادية الى جهات الحكومة يصرح ببقاء البلاد تحت الأحكام العرفية وان الحرب لم تزل قائمة بيننا وبين الانجليز وبوجوب الاستمرار على التجهيزات والاستعدادات الحربية ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

« وصدرت ارادة سنية من الجناب الخديو لناظر الجهادية مقتضاها أن لا حرب بيننا وبين الانجليز ، وان السبب فى الحرب هو مداومة الاستعداد فى الطوابى الذى يعد تحقيرا لمراكب الانجليز · فضرب المراكب لاستحكاماتنا ولمدينة الاسكندرية ليس حربا ضد الحكومة ، وانما هو من قبيل

رد الشرف وليس هنالك حرب حقيقيــــة الى آخر ما جاء بالارادة .. فأجاب ناظر الجهادية بأن الحرب كانت بقرار من مجلس عام انعقد تحت رئاسة الحضرة الخديوية ، وأيد ذلك اعلان مجلس النظار الى آخر ما ذكر فى ذلك الجواب ثم وصل عرضحـــال من مخبز حى القبــارى بالاسكندرية لسعادة ناظر الجهادية يشكو من صرف الخبز للعســـــاكر الانجليز ومنعه عن عساكرنا بأمر الخديو . وورد للنــاظر الموما اليه معلومات عن أعمال العساكر الانجليـــــز فى الاسكندرية فدل على معاداتهم للمصريين وانهم محـــاربون لهـم كمـا يؤخـذ من رسالاته . ثم ان ناظر الجهـــادية المشار اليه طلب فى احدى رسالاته لوكيل الجهـــادية بأن يشكل مجلسا عاما من علماء البلاد وأمرائها وأعيانهـــــا ونوابها للنظر فى هذه الأمور المهمة . وبناء على ذلك انعقد مجلس ليلة غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ فى نظارة الداخلية مؤلف من سعادة وكيل الجهادية وسعادة وكيل الداخليـة حسين باشا الدرەملى ووكيل الحقانية بطرس باشــا غالى وسعادة على باشا فهمى وناظر الدائرة السنية سعادة أحمد باشا نشأت . وكل من سعادة دانش باشا ومحمود سامى باشا ومحمد باشا رضا وحضرات باشكاتب المالية وأحمد بك رفعت رئيس المطبوعات ومأمور ضبطية مصر ابراهيم بك فوزى وعلى بك يوسف وأحمد بك فرج وحسين بك جاد

« وبعد المداولة قرر المجلس المذكور انعقــاد مجلس فى هيئة مؤتمر عام يشكل من أكابر العلمـــــاء والرؤســـاء الروحانيين من الطوائف المختلفة ومأمورى الحكومة الحائزين على الرتبة الثانية فما فوقها وأمراء العائلة الخديوية وأكابر الذوات المتقاعدين وأعيان التجار وأن يكون انعقـــاده فى نظارة الداخلية يوم الاثنين غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ

« وفى الميعاد المذكور انعقد المجلس تحت رئاسة سعادة

وكيل الداخلية من عدد كثير من كل طبقة من الطبقات المذكورة ، وتليت عليهم الأوراق المتعلقة بالمسألة المتقدمة، وطلب منهم النظر فيها لكونهم أعيان البلاد وأصحاب الصالح المهم فيها ، فقر رأى الجميع بعد المداولة على ما يأتى :

أولا — يلزم طلب حضور الخديو والنظار الى العاصمة ، ان كانوا أحرارا ولزوم الاستمرار على التجهيزات الحربية، ما دامت عساكر الانجليز فى مدينة الاسكندرية ومراكبهم فى مياهها

ثانيا — تعيين لجنة مؤلفة من مندوبين من طرف المجلس العام ليتوجهوا الى الاسكندرية ويبلغوا سمو الخديو وحضرات النظار قرار المجلس ثم يدعوهم الى العاصمة ، ان كانوا أحرارا ! • »

وقد انتخب المجلس على باشا مبارك وزير الاشغال سابقا فى زمن الاستبداد رئيسا لهذه اللجنة وأعضاؤها رؤوف باشا حاكم السودان سابقا ، وأحمد بك السيوفى من الأعيان ، والشيخ سعيد الشماخى وكيل دولة مراكش فى مصر والشيخ على نايل والشيخ أحمد كبوه من العلماء

وقد انتهت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة بالتوقيت العربى من اليوم المذكور

الفصل الخامس

وفد المؤتمر الى الخديو

بناء على قرار المؤتمر السابق خرج الوفد المعين من الذوات الى معسكر كفر الدوار أولا ومنه توجهوا الى الاسكندرية على ظهور الخيل ومعهم الحرس اللازم ؛ وفى صباح ٢٣ يوليو اجتمعوا بالخديو والنظار وأخبروهم بمهمتهم • وعلى ذلك صار حجز على باشا مبارك وأحمدبك السيوفى بالاسكندرية ورجع محمد باشا رؤوف والشيخ

سعيد الشماخى والشيخ نايل والشيخ أحمد كبوه وكذلك اسماعيل باشا حقى أبو جبل لضعفه • وكان رجوعهم بمقتضى تصريح خصوصى من قائد الانجليز • وعند رجوعهم أخبرونا وبالتالى أخبروا المجلس بأن الخديو أسير عند الانجليز ولا يمكن رجوعه الى مصر

وبعد ذلك ورد الى أمر من الخديو توفيق بعزلى من نظارة الجهادية هذا نصه :

« الى أحمد عرابى باشا فى ٤رمضان سنة ١٢٩٩هـ و٢٠ يوليو سنة ١٨٨٢

« ان سفرك الى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الاسكندرية بعد القتال ، وتعطيلك الخطوط الحديدية والبريد ، ومنعك لمهاجرى الاسكندرية من العودة الى أوطانهم واستمرارك على اعداد التجهيزات الحربية وعدم امتثالك لأوامرنا ، والقدوم الى الاسكندرية ، كل ذلك ألجأنا الى عزلك من وظيفتك فأنت بمقتضى هذا الأمر المرسل اليك معزول منذ الآن من نظارتى الجهادية والبحرية »

ثم أشفع هذا الاعلان بمنشور علق فى شوارع المدينة بين فيه الأسباب التى دعت الى عزلى وأوضح أن نزول العساكر الانجليزية الى المدينة ، لم يكن بقصد التبوؤ والاستيلاء ، فان المؤتمر القسطنطينى لا يوافق على ذلك ، بل سيعود الانجليز الى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة فى أنحاء البلاد المصرية واعادة سلطة الخديو المسلوبة

وقد أرسل هذا المنشور مع منشور آخر من الأميرال سيمور بالمضمون عينه يعترف فيه بأن العمارة الانجليزية تعود الى انجلترا بعد تأييد سلطة الخديو واعادته الى مركزه ، وان لا مطمع للانجليز فى الاستيلاء على البلاد المصرية ،

وأرسلت تلك المنشورات الى رؤساء المراكز العسكرية وعمد البلاد ومشايخ العربان

وفي اليوم المذكور حضرت سفينة الى أبي قير وسلمت أمر الخديو المؤذن لى بعزلى ومنشـــور الخديو والأميرال الانجليزى الىخورشيد باشا طاهرحكمدار النقطة المذكورة، فأرسلها الينا بافادة من طرفه ، وعندما وصلتنا بعثناها برمتها الى رئيس المجلس بالقاهرة لفحصها واعطاء القرار من المجلس بما يراه

المؤتمر يعزل الخديو

انعقد المؤتمر العام في ديوان الداخلية فى ٢٢ يوليـــو سنة ١٨٨٢ و ٦ رمضان سنة ١٢٩٩ وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للتذاكر فىشأنها صدرت فتوى شرعية منالشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى والشيخ الخلفـــاوى وغيرهم من العلماء بمروق الخديو توفيـــق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده وقر قرار المجلس بما يأتى :

« بعد تلاوة الأوامر الصادرة من الخديو توفيق باشـا أولا وآخرا ، وفيها الأمر الصادر الى أحمد عرابى باشـا وتلاوة منشورات عرابى باشا ، وبعد سماعنا ما عرضـــه وكيل الجهادية بصفته بهذه الوظيفة وكونه رئيس المجلس المشكل لادارة أشغال الحكومة على المجلس ، وهو : « هـل وجود الخديو فى الاسكندرية هو ونظاره تحت محافظـــة عساكر الانجليز يقتضى عدم تنفيذ أوامـــره أم لا • واذا صدرت له أوامر من الخديو هل يعمل بها أم لا ؟ » • رأينا أن وجود العساكر الانجليزية فىالاسكندرية وبقاء مراكبهم الحربية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا لمدافعة

العدو يقضى وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظـــارة الجهادية والبحرية مداوما على قيادة العسكر متبعا فىأوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله عن تلك الوظيفـــة • ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظـاره الموجودين معه فى الاسكندرية كيفما كانت ولأى جهـــة من الجهات وعدم تنفيذها حيث ان الخديو خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف ويلزم عرض قرارنا هذا على الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات

وبعدامضاء هذا القرار عرض مضمونه بواسطةالتلغراف على الحضرة السلطانية ، وصار ابلاغه الينا رسميا والزامنا بالمداومة على الدفاع واعطائنا لقب (حامى البلاد المصرية)

مراوغة على باشا مبارك

وفى ١٢رمضان سنة١٢٩٩ (١٨يوليو١٨٨٢) وردتلغراف من علىباشا مبارك رئيسالوفد الذى أرسل منالمجلسالعام الى الاسكندرية لمقابلة الخديو واستدعائه الى القاهرة بمن معه من النظار ، قال فيه : « بحمد الله تعـــالى وصلنا الى الاسكندرية وأخذنا نسعى فى الاشتغال بالمأمورية المحولة على عهدتنا من قبل المجلس المنعقد بالقـــاهرة • وفى علم سعادتكمأهمية مأموريتنا وما تحتاجه من المذاكرات،فلأجل الوصول الى الغاية المقصودة فى الزمن القليل ، يلزم أن تكون المخابرات بيننا وبين سعادتكم بواسطة التلغـــراف فربما ينتج منها فائدة للوطن وحفظه من الغـــائلات • ثم أعرض على سعادتكم انه قد تقرر تشكيل قومسيون يكون مركبا منا ومن بعض الذوات يجتمع مع قومسيون ممـــن تعينونه وتعتمدون عليه من أمراء العسكرية يجتمعون فى محل يصير تعيينه بالاتفاق للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة حتى نؤمل الحصول على نتيجة توافق الجميع وتزيل هـذه

النازلة عن وطننا العزيز فان راق لكم فلتعينوا المحل والذوات العسكرية وفيدونا بما ترونه أفندم »

فرددت على على باشا بما يأتى :

« نحمد الله على وصول سعادتكم بالسلامة ، وبعد فاننا تشرفنا بورود تلغراف سعادتكم الذى به تطلبون منا تعيين قومسيون من العسكرية لانضمامه مع قومسيون يتشكل من سعادتكم وبعض الذوات للمذاكرة فى الأحوال الحاضرة. وحيث انه من المعلوم لنا انه قد صار عقد مجلس حافل عمومى بمصر من ذوات العسكرية والملكية والعلماء والتجار والأعيان والرؤساء الروحانيين ، وكنتم سعادتكم من ضمن الموجودين به وما كان عقد هذا المجلس ألا للنظر فى الأحوال الحاضرة ، واتخاذ التدابير اللازمة لوقاية البلاد . وقد قرر ذلك المجلس كما تعلمون سعادتكم بوجوب استمرار التجهيزات الحربية وبارسال سعادتكم مع من تعين معكم لمأمورية مخصوصة ومحدودة . ومن هذا ترى سعادتكم انه لا يوجد لى أدنى صفة أو حق لتعيين قومسيون من طرف ولا أدرى الغرض منه بعد قرار المجلس الذى عقد بالقاهرة على انى لست مستقلا بعمل أمر ما ، بل انى مطيع ومنقاد فى أى حال لما تأمر به الأمة . ولهذا فانى متأسف لعدم امكانى اجابة طلب سعادتكم »

وفى ٢٣ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ صدر منشور من الخديو الى جميع المصريين وهذا نصه :

« نحن خديو مصر نعلن لجميع المصريين ان عرابى باشا قد ارتكب آثاما فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها وجعلت الدول الاوربية ناقمة عليها ، فانها باتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة . فهذه الجرائم والآثام منحصرة فى عصيان عرابى المذكور ، وتحريضه للقوم على السير تحت لواء العصيان وفى الدسائس التى نشأت عنها مذبحة الاسكندرية وغيرها من البلاد فأوقفت فيها حركة التجارة وعطلت أعمال الزراعة ثم فى عصيانه لاوامر جلالة السلطان الاعظم وهى الاوامر التى صدرت اليه

بالانقطاع عن التظاهر بالعدوان فى الاستحكامات والحصون مما بات معلوم النتيجة من هلاك نفوس وتدمير قلاع وخراب ابنية

« وبعد أن بدد عرابى فى أقل من ساعة شمل سكان الاسكندرية الذين نهبهم أضرم النار فيها ، وخرج منها بجيشه قاصدا كفر الدوار ، حيث عسكر بقومه من غير علمنا وبغير ارادة منا ، فبعث ذلك على نزول الانجليز الى المدينة لاطفاء النار المضرمة فيها ومنع النهب والمحافظة على الراحة

« وفوق ذلك منع المهاجرين من العودة الى أوطانهم وقطع ما بينهم وبين أهلهم وسائل الصلة والعلاقة ، وقطع الماء عن الاسكندرية وأعلن جهرا عصيانه بأكاذيبه الظاهرة ، فبذلك عد عاصيا ومستحقا لاشد العقوبات بمقتضى الشرع الشريف

« ولا يزال مع ذلك عاملا على تعميم الخراب بمساعدة جنده والاهالى المتحزبين معه المنقادين لآرائه الوخيمة ، وقد تجاوز الحدود بعصيانه بما يفوق الوصف ، فقد استولى على أموال الضرائب وعزل كثيرين من موظفى الحكومة ، واستبدلهم بغيرهم فى حالة كونه معزولا من وظيفته معدا للعقاب الصارم الشديد

« ولقد رأينا ان قلوب كثير من رعيتنا لا تزال قاسية مائلة الى عرابى ، بالرغم من أوامرنا السابقة فلذلك أصدرنا هذا المنشور الآخر معلنين فيه أن كل شخص يعرف عنه انه ذو ضلع مع عرابى وميل اليه ، عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان

« فرحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن اعلاننا للمصريين عموما والجند خصوصا ان كل من أصر على عصيانه وانقياده الى عرابى كان مذنبا امام الله غير مقبول العذر لدينا ، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب والرواتب ومعينات التقاعد وسائر الامتيازات التى كان متمتعا بها (حكم جائر استبدادى لأن الله سبحانه يقول : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود بولده » ولكنه اغتر بقوة الانجليز) !

« وليعلم المصريون اننا نحن أميرهم ومولاهم وأن لايرتكبوا عصيانا علينا وليعلم كل منهم أيضا انه اذا أدى للعاصى عرابى أو لاتباعه أموال الضرائب كانت تأديته للمال غير محسوبة لدينا بل اننا نطالبه بها يوم تنقشع عن سماء مصر غيوم النكبات العرابية »

وجاء فى كتاب مصر للمصريين للنقاش فى صفحة ١٣٩ جزء ٥ ما يأتى :

« وبعد أن أصدر الخديو هذا المنشور بعث الى أركان حرب الانجليز بكتابة يهنئهم فيها على نجاحهم فى الوقائع الأخيرة ! »

وقد رددنا على هذا المنشور الجائر بمنشور أصدرناه

الى جميع فروع الحكومة ورؤساء الجيش ، وهو :

وفى ٢٨ رمضان سنة ١٢٩٩ الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٨٢ أصدرنا منشورا الى رؤســـاء الجيش فى المراكز الحربية وللمديريات وجميع فروع الحكومة وهذا نصه :

« قد أوجب الله علينا اعداد ما نستطيعه من القــوة لقتال الأمة الانجليزية التي اعتدت على البلاد طمعا وشرها، وبادأتنا بالحرب بغيا وعدوانا . وقد قام به أحسن قيام على قدر شأن كل حر مخلص شهم عالى الهمة شريف الذمة من رجال البلاد عموما ونظراء سعادتكم من حضرات المديرين خصوصا . وبعناية الله واتحاد الجميع ذلك الاتحاد الذى هو أثر الغيرة الوطنية والحمية الانسانية ، قد أدركت البلاد فى زمن يسير من عظيم القوة وجليل الاستعداد ما لم يخطر بالبال قبل الآن . ولا يخفى انه من أجل ما يجب القيام به الحرص الزائد على الدقيقة الواحدة ، بل اللحظة الواحدة من زمن المحاربة ، فلا تفوت الا وتكون قد صرفت فى حسن التدبير واصـــالة الرأى فى النكاية بالعدو ، رده الله على عقبيه خاسئا خاسرا

« وانه مما وجب اعداده لذلك هو زيادة الجند ٢٥ ألف عسكرى ، فبناء على ذلك وما تراءى من أن هذا العدد اذا شرع فى جمعه بحسب القرعة العسكرية ، فقد يجتمع من الشبان ما يلزم لتدريبهم وتمرينهم على حمل الســـلاح وحركات الدفاع وقت لا يحسن تقويته الا بأعظم ما يمكن من الفائدة لما مر

« وحيث ان خفراء البلاد المرتبين من الأهالى هم بالطبع أكثر من غيرهم تعودا وتمرنا على حمل الســلاح والحركات الدفاعية وأشد قوة وبأسا ، وأثبت جأشا لدى المقـاومات العدائية ، وقد يتيسر جدا جمع هذا العدد من هؤلاء الخفراء وحشـــده مع الجيش فى زمن وجيز وبحالة أقرب وأسهل مما لو جمع من غيرهم بالقرعة العسكرية ـ فعليه يجمـع

هذا العدد من المديريات ، بحيث تسرع فى جمعه من الخفراء المذكورين ــ وكل بلدة وما يخصــــــــها منــــه ــ وقد خص مديرية ســــعادتكم من العـــــدد المذكور كذا نفرا ، فالقصد مزيد الاعتناء والاسراع فى جمع العدد الموما اليه بعد تخصيصه على بلاد المديرية من نفس الخفراء المذكورين، ثم يجرى تفهيم كل واحد منهم بأنه فى نظير تلبيته لدعوة هذه الخدمة الوطنية الشريفة مع المسرة والبشر شأن الحريص على شرف قومه فانه بعد انتهاء الحرب بنصرتنا ، وظفــــرتنا بفضل الله تعالى ، يكون معافى من الخدمات العسكرية . ويصير ارسال الأنفار المذكورة بالافادات المقتضية كالجارى، أما الخفراء الذين يلزم ترتيبهم بدلا من المذكورين فيجـرى انتخابهم وتعيينهم فى محلات دركات أسلافهم فى الحال ، حسب ما يلزم ، واقتضى تحـــريره ونشره للاجراء عـــلى مقتضاه »

كرم المصريين ونجدتهم

قامت هذه الحرب الشعواء وليس فى خـــزانة الحكومة درهم لأن المراقب الانجليزى المستر (كولفن) أخذ الأموال من خزينة المالية وأنزلها فى الدوننمة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام ، وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى قد حملها أعضاء قومسيون الصندوق الى المراكب الحربية حيث أمنوا عليها .

وفى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت اشارة تلغرافية من رئيس مخبز القبارى بأنه موجود بالمخبــــز ٣٥٠ ألف أقة بقسماط ويخشى من أن عساكر الانجليز يأخذونهــــا . فأخذت لاستحضار ذلك القائمقام محمد بك نســـيم لما توسمته فيه من الغيرة الوطنية وأمرته أن يأخذ قطارا بعربات فارغة لشحن البقسماط الموجود بمخبز القبارى ويأتى به الى كفر الدوار ، فصدع بالأمر ، وأخذ القطار وتوجه الى

القبارى باسكندرية ولكن ـ يا للأسف ـ خاب ظني فيه ، فانه بعد وصوله الى الاسكندرية ترك القطار وتوجه الى رأس التين ، وأخبر الخديو بدخيلة أمره ، فأمر الخديو بحجز القطار ، وصرف البقسماط الى الجيش الانجليزى ، ومنعه عن عساكرنا ، وكان ذلك الشاب الممتلىء غيرة ونشاطا ، أى محمد بك نسيم أول من ترك الجيش وانضم الى جانب الخائنين لوطنهم ، ثم اقتدى بعمله هذا القائمقام أركان حرب محمد بك لبيب والبكباشى عبد الرزاق نظمى الذى قتل بعد ذلك فى حرب الدراويش بسواكن

وبناء على ذلك تحرر من المجلس العام الى المديريات بتحصيل الأموال من الأهالى عن كل فدان عشرة قروش ، ومن شاء أن يتبرع بشىء اعانة لاخوانهم المجاهدين فى سبيل المدافعة عن وطنهم وحفظ كرامتهم وشرفهم ، يقبل منه مع اعلان الشكر

ولما أعلن ذلك جاءت الأمة على اختلاف مذاهبها ونحلها بالمال والغلال والخيل والجمال والأبقار والجواميس والاغنام والفاكهة والخضروات حتى حطب الحريق . فمنهم موسى بك مزار الرجل الوطنى البحت ، فقد تبرع بألف وثلثمائة ثوب بفتة وثلاثين عجل بقر عن طيب خاطر ، ومنهم والدة الخديو اسماعيل ، فقد تبرعت بجميع خيول عرباتها ، وجاراها فى هذا المضمار باقى أفراد العائلة الخديوية . وكذلك حرم خيرى باشا رئيس الديوان الخديوى وحرم رياض باشا وكثيرين غيرهم من الذوات، رجالا ونساء ، كل ذلك فضلا عما مدوا به الجيش من الأقمشة والأربطة اللازمة لتضميد جراح العساكر وغيرهم . ومن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلكه من الغلال والمواشى ، ومنهم من خرج عن جميع مقتنياته ، ومنهم من عرض أولاده للدفاع عن الوطن لعدم قدرته على الدفاع بنفسه

وبالجملة فان الأمة المصرية عن بكرة أبيها قدمت من التبرعات وأظهرت من النخوة والغيرة ما لم يسبق له عهد فى القرون الخالية ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى الأمة خير الجزاء وأن يرد لها حريتها واستقلالها

الحق أقول أن الأمة المصرية على اختلاف مشاربها كانت شديدة التحمس والنهوض لقتال الانجليز الطامعين فى بلادهم وكان نبهاؤها يعقدون الاجتماعات ويلقون فيها الخطب الحماسية والقصائد الدالة على كبر نفوسهم . ومن هؤلاء الخطباء والشعراء : الشيخ أحمد عبد الغنى ، والشيخ سيد المرصفى ، والسيد عبد الله نديم ، والشيخ محمد أبو الفضل ، والشيخ محمد فتح الله وغيرهم ، ومن ذلك قصيدة للشيخ أحمد عبد الغنى قال فى مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابى ولا وقت السماع على الشراب
ولكن ذا زمان الجد وافى وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت فيه الاستعداد فرض لتنفيذ الأوامر من عرابى

وقال الشيخ على المليجى فى خطبة له : « قد مرت بنا فى الزمن السالف أيام غير صافية العيش للمسلم وما ذاك الا لعدم الحمية الاسلامية فى حكامه الذين كانوا كالليل المظلم اذ كانوا منهمكين فى ميادين حظهم الدنيوى ، وعن الدين غافلين وقد ظهرت الآن البشائر بعز المسلمين وسطوتهم حيث قد اعتدل حكام الوقت أيدهم الله بالأخذ فى أسباب قوة الدين ورد ما ضاع من شوكتهم باذلين الهمة فى التوصل الى ما يبعد الأمة عن التشويش ولما يكونون به آمنين اذ قد شرع رئيس المجاهدين أحمد عرابى المؤيد بنصر من عند ربه فى المدافعة عن حوزة الأمة ورد من كانوا فى تشويشها أول سبب وباع نفسه وجيشه للجهاد فى سبيل الله .. »

وقال الشيخ محمود ابراهيم فى خطبة له بأسيوط :

« أما بعد فان الانجليز قد طاشت عقولهم وعميت بصائرهم فلم يحسنوا الضروريات فساموا بسوق أموالنا وديارنا نفيسها ، وساقوا الينا من زيف المعارضات خسيسها ، وقابلوا تحيتنا بخداع ، وفتشوا اكنافنا لغدر أضمروه ليوم النزاع ، ونحن لما جبلنا عليه من محاسن الايمان وفينا لهم بعقد الذمة والأمان فعاملناهم بالحسنى وجبرنا ما كان فيهم ضعفا ووهنا فلما صحت أبدانهم وعمرت أوطانهم لم يقنعوا بذلك بل طلبوا التصرف فينا تصرف المالك ، فنسأل الله أن يكون سعادة أحمد عرابى باشا هو المشار اليه في حديث « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » ، فان البشائر دلت عليه ليمزق البغاة كل ممزق ، ويحيى المندوب والمفروض للدين الموفق وتموت البدع التي اسود القطر بظلماتها ويختفى بلاء الظلم بأرجائها وحاش أن يجعل الله ديار أهل بيت نبيه فى ذمة كافرين جعل الله سعادة أحمد عرابى باشا وجنده الظافرين »

وجاء فى خطبة الشيخ محمد أبى الفضل التى ألقاها فى جامع الحنفى بالقاهرة : « قد تميز الغث من السمين ، واستبان أن الانجليز جاءوا محاربين يريدون — لا أمكنهم الله — سلب الأموال وهتك الحرم ، وقد جاءوا بمكر وخداع يصطادون بشباكهم الأوطان من غير قتال أو دفاع ، كما هو ديدنهم القبيح فى كل اقليم ، فيقظ لذلك العقلاء والشجعان وذبوا عن الأعراض والأوطان »

وقال الشيخ حميده الدمنهورى فى خطبة له :

« أعدوا لاعدائكم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ما ترهبون به عدو الله وعدوكم وكونوا لدين الله من المنتصرين تفوزوا برضى المولى اللطيف الخبير . وقوموا لمحاربة أعداء الله وأعدائكم الطغاة البغاة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . الجهاد فرض الآن علينا واجب لدخول الأعداء فى بلادنا

محاربين . فمن أتى بواجب الجهاد أحرز فضله ومن تطوع خيرا فهو خير له . فالسعيد من سارع الى اغتنام الأجر من الله العلي الكبير .. »

وجاء في خطبة أخرى للشيخ محمد أبو الفضل :

« ومصرنا هذه قد كادت أن تكون دار حرب لا دار سلام فقد أهين فيها الوطني وعظم اللئام حتى صاروا رؤساء الدواوين فطغوا وبغوا وحق عليهم المثل السائر : وعلى الباغي تدور الدوائر، فحكموا بالبنود والقوانين فعظم البلاء واشتد وزاد الكرب واحتد وكان ما علمتم من الحركات وكم لله في الحركات من بركات »

وقد نظم الشيخ أحمد سيف البارى قصيدة جاء فيها :

اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابينا يمينا

ونظم الشيخ السيد المرصفى قصيدة أخرى كان مطلعها:

يا صاح قم واشكر الهك واحمد
فالدين منصور على يد أحمد

وهكذا كانت المقالات الضافية الذيول والخطب المسهبة والقصائد تتلى وتلقى في مجالس المصريين ومنتدياتهم من غير انقطاع تحميسا للأمة وتشجيعا لها ومن ذلك قول بعضهم معرضا بذكر ولسلي وسيمور في بيت السموءل :

وانا لقوم لا نرى القتال سبة   اذا ما رآه ولسلي وسيمور

افتراء الشيخ حمزه فتح الله

من الأقوال المأثورة ما روى عن النبي (ص) انه قال : « لا تعلموا أولاد السفلة العلم » وهو قول حكيم ، لانهم يتخذون العلم ذريعة لتضليل العامة ، وآلة للتلبيس على الناس . ينصرون الباطل على الحق ابتغاء حطام يسير ، أو ابتسامة أمير ، أضلهم الله على علم فهم لا يهتدون . ومصداق ذلك أن الشيخ حمزه فتح الله الادكاوى ، نسبة الى ادكو ،

وهي قرية صغيرة بين رشيد وأبو قير على ساحل البحر المتوسط أغلب أهلها حاكة ، وصيادون • والشيخ المذكور كان حائكا ابن حائك ثم تعلم العلم ، وبعد ذلك تركه ، وانقطع لفن الصحافة ، فأنشأ جريدة البرهان ، ثم ذهب مع الخديو الى الاسكندرية ، حين تحيزه للانجليز ، وكتب مقالة مفتراة ، نشرتها جريدة الاعتدال التى أنشئت اذ ذاك وقد ضمنها من الأكاذيب والمؤتفكات ما يعجز عن الاتيان بها مسيلمة (الكذاب) قال فيها :

« ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا • عباد الله لستم تجهلون انني طالما ناديت في جريدة البرهان ، بأن لاسبيل لنجاح الأمة الاسلامية سوى اقامة الدين المبنى على مكارم الأخلاق • والذى من مقتضياته حسن المعاملة ، والرفق بالذميين والمستأمنين والمعاهدين والمصالحين ، هم الأقسام الأربعة التى قدمنا ان جميع الأجانب فى البلاد الاسلامية لم تخرج عنها

« ومن مقتضياته أيضا اعداد ما يستطاع من القوة ومن رباط الخيل ، وانه لا ريب في انه يدخل فى القوة المدافع وغيرها من أنواع العدد الحربية الجديدة المناسبة لكل زمان ومكان ، وكذا جمع ما يتصور العقل ان فيه نكاية للخصم

« غير انه لسوء الحظ ، كأن تلك الآية الكريمة الآمرة باعداد ما ذكر ، انما نزلت على خصوص الأجانب فعملوا بها دوننا ، ورفضناها نحن كغيرها من شعائر ديننا ، وحدود ربنا تبارك وتعالى حتى بلغ من تضلع البغاة الجهال من الفنون الحربية ، وخبرتهم بطرق النكاية للعدو أن يقابلوا الآلات الانجليزية الحديثة العهد المصنوعة منذ أشهر وأسابيع بآلات عتيقة مضى عليها من الأجيال ما أكلها به الصدأ •• فأواه ثم أواه ••!

« ولكن هو الجهل حتى ينبح الكلب مولاه

« فلو اننا فرضنا المستحيل من كون هذه الحرب دينية والحالة هذه وانها بأمر الخليفة الأعظم أو نائبه الخديو الأكرم لوجب شرعا مخالفة أمرهما بها لأنها حينئذ عبارة عن المخاطرة بالبلاد والعباد (يريد الشيخ تسليم البلاد للعدو بلا قتال)

« وقد نهانا الله تعالى عن أن نلقى بأيدينا الى التهلكة فكيف وهذه الحرب كما قدمنا شيطانية ناشئة عن حب الذات والمصلحة الشخصية ، وعن الجنون الذى أتى به الآن عرابى تخلصا من سوء العاقبة ، وان كانت أفعاله كلها جنونا محضا من البداية للنهاية . على ان الحروب الدينية المرضية فى الحقيقة لله ورسوله لا تحتم نصر أربابها ، اذ لا يجب على الله تعالى شيء وتلك سنته عز وجل فى المرسلين والأنبياء أن تكون الحرب بينهم وبين أعدائهم سجالا ، أى تارة لهم وتارة عليهم ، وان كانت العاقبة لهم بلا ريب ، وذلك لتقتدى الأمم بأعمالهم فيبنون المسببات على الأسباب، لأن للشرائع السماوية خصوصا الشريعة المحمدية المطهرة تشوقا زائدا لذلك أى لابتناء المسببات على أسبابها حرصا على الأمة أن تغلق باب الأسباب فيختل نظام هذا الوجود ويبطل العمران ، وان كان الكل بيد الله واليه وهو خلقكم وما تعملون

« فأما الآن قد سد باب الخوارق والمعجزات، اذ قد ختمت النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام .(فاه الرجل بالحق بعد شططه)

« وأما الكرامة فلم ينصر بها الحسين عليه السلام ولا غيره من البضعة المقدسة مع الاجماع على كونهم على الحق (لنا بهم أسوة حسنة) ولعل عرابى يزعم انه أكرم على الله من الحسين وحزبه (كلا فان الفرع لا يعلو على الأصل) ويا عجبا لهذا الجاهل كيف خاطر بدماء المسلمين وأعراضهم

وبلادهم (جهل الشيخ أن الحرب شرعية واجبة أقر بهـا مجلس عال تحت رئاسة الخديو توفيق باشا ودرويش باشا المندوب السلطاني فلا لوم على الجاهلين) اسـتنادا على خرافات المنام وأضغاث الأحلام (قد خرف الشيخ فلا لوم عليه) فاستمال بذلك عقول الجهال ، وفتح باب الحرب مع الأجانب بعد شدة نهي الخليفة الأعظم ونائبه الخديو الأكرم عنها ، ومع أنه ليس لديه من القوة سـوى ما ينشره من الأكاذيب (كذب الشيخ وافترى) . انك يا عرابى لمـا وقعت فى يدك ويد جهالك الآلات الحربيـة وصرتم نفس القوة التى من شأنها أن تكون عونا للحكام على تثبيت النظام وردع الأشرار وليس للحكومة اذ ذاك قوة أخرى تكسر بها شوكتكم امتلأت نفسك الخبيثة بالشرور (فتن الرجل وظهر خبثه) فطمعت فى المستحيل وما ليس اليه سـبيل واستعملت انت وحزبك للحصول على ذلك جميع الوسائل ولكنهم صاروا بعناية التوفيق كلما أوقدوا نارا لهذه الحرب أطفأها الله (أشرك الشيخ الضال وحرف الآية الكريمة لغير معناها . باع دنياه وآخرته بثمن بخس . لارعى الله الغنى من سبيل الخيانة والتزلف ، وحبذا الفقر مع الأمانة والقناعة) حتى اذا أغلقت فى وجوههم المطالب عمـدوا الى وسيلة أخرى الا وهى اتهام الجراكسة الكرام ظلمـا وعدوانا بالمؤامرة على الفتك بعرابى فصار هو الخصـم والحكم ، واكراههم بأنواع العذاب على الاقرار بما نسب اليهم وبأن لهم فيه شركاء هم فلان وفلان لجملة من الأعيـان والعائلة الكريمة الخديوية ، بحيث أن سير الجهادية فى تحقيق هذه القضية كان يشبه سير الوحوش فى البـرية ، لأن تلك المؤامرة لو ثبتت على الجراكسة ولم تكن بقصد الفتـك بعرابى ، بل كانت بقصد الفتك بأمبراطور مثلا بالنسبة للأمور الدنيوية أو نبي مرسل بالنسـبة للأمور الدينية

لكان تحقيقها أخف من ذلك التحقيق (ذلك أمر غاب عن الشيخ صوابه وقد تورط فيه من غير أن يدعوه اليه أحد) .
وأراك يا عرابى لو أصبت يوم حرب الاسكندرية زورقا للانجايز فضلا عن سفينة ، مما زعمته أحزابك لكبرت نفسك عن دعوى النبوة فكنت تدعى الألوهية ، ولا تعدم من يؤمن بك من الجهال . نعم أنك قد اكتسبت الشهرة الفاسدة بأعمالك ، غير ان لك فى ذلك أمثالا كثيرين منهم ابليس اللعين وعاقر الناقة الذى هو أشقى الأولين ، وابن ملجم أشقى الآخرين ، فان كان فى شهرة هؤلاء شرف لهم فأنت أيضا كذلك (وقع الشيخ فى أمثاله وأظهر فساد علمه ، وخبث طويته ومبلغ نصيبه من الآداب وكل اناء ينضح بما فيه) .. »

وقد أطال الشيخ حمزه فى هذه الأكاذيب وتلك الافتراءات فى عدة مقالات بجريدة البرهان

وكذلك حذا حذو الشيخ حمزة المفتون المولع بالكذب والبهتان شاعر المتحيزين الى الأعداء وصنيعة المستبدين مصطفى باشا صبحى البوشناقى (من سلالة عائلة من أهل البوسنه وهى ولاية فى بلاد الروم) قال فى مطلع قصيدته التى سماها :

(صدق المقال فى مثالب البغاة الجهال)

تبين عقبى غيه كل معتدى
وأمسى العرابى وهو بالذل مرتدى

وهى ١٢٥ بيتا كلها سباب وشتائم نظمها خدمة للاستبداد جزاه الله بما يستحق

وكذلك فعل اثنان من مرتزقة الأدباء : أحدهما أديب اسحق اللبنانى طمعا فى الاستجداء ، والثانى قدرى بك الشامى الذى كان مع درويش باشا حتى لا يرجع الى بلاده

خاوى الوفاض . على ان الخديو أغدق عليه وعـــلى درويش باشا وولده بالذهب الكثير وخلع عليهم خلعات ثمينة ، قبل وقوع الحرب ، وفى أثناء تأدية أعمالهم



احتلال الانجليز لقناة السويس

الخديو توفيق يساعد الانجليز على الاحتلال

فى ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢ ورد لنا تلغراف من المسيو دى لسبس مدير شركة القنال يستعلم عن رأينا فى القنال بالنسبة للحركات الحربية فأجبته فى التاريخ المذكور بالتلغراف أيضا اننا نعتبر القنال حرا للمنافع العمومية الدولية ، ولذلك فانا لا نتعرض له بضرر اذا أمكنه منع المراكب الحربية الانجليزية من خرق حرمة الحياد واحترامها لقانون الشركة ، والا فنكون أحرارا فى مقابلتهم بالمثل

فورد تلغراف فى اليوم المذكور يفيد انه ضامن ومتكفل بمنع الانجليز عن اختراق القنال ما دام فيه عرق ينبض ، فظننا ان فرنسا تدافع عن حقوقها وتحافظ على حرية القنال، ولا تلدغ من جحر مرتين

ولما أخذ الانجليز ينزلون فى السويس احتج المسيو دلسبس على ذلك ، فأصدر الخديو أمرا بأن أمير البحر وقائد القوة الانجليزية العام بما انهما أتيا مصر مأمورين باعادة الراحة والنظام اليها ، فهما لذلك مفوضان بالحلول فى جميع النقط التى يريان وجوب الحلول فيها بقصد قمع العصاة وقد توعد فى هذا الأمر من يخالف أحكامه بالقصاص الصارم

وقد بعث المسيو فكتور دى لسبس لأبيه المسيو فرديناند دى لسبس تقريرا بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ على أثر تلك الأحوال هذه ترجمته :

« يا حضرة الرئيس

« فى تقاريرى السابقة أنبأتكم باصرار الحكومة الانجليزية

على عدم الاكتراث بأنظمتنا وقوانيننا ، وبحلول الانجليز فى مياه ترعة السويس بناء على أمر الأميرال هيويت .

« وفى ١٣ أغسطس أرسلت اليكم تلغرافا مشتملا على بيان مسألة الانجليز فى الترعة ثم توجهت الى السويس . ففى صباح ١٤ منه حصلت مقابلة بينى وبين الأميرال هيويت فبسطت له فيها ان رئيس ومدير ادارة الترعة لم يجب على رسالته لأسباب أجلها انه اعتبر الجواب عليها من موجبات وقوع سوء التفاهم والوحشة بينهما ، ولذلك كلفنى أن أجتمع به وأشرح له مشافهة ما لا يشك بعده ان الانجليز يخرجون من الترعة مراعاة للعهود والمواثيق

« ولقد شافهته بهذا الكلام ولم ألق عناء فى اقناعه بأنه تجاوز الحدود المقررة للدول المحاربة ، فان الأعمال التى قاموا بها لم تكن الا لتحمل المصريين على العبث بحقوق الدول فى الترعة ، بعد أن رأيناهم الى الآن يحترمونها بالرغم من مظاهرات الانجليز . وقد قلت له انه اذا علم المصريون ان الانجليز حلوا على ضفاف الترعة بغية ادخار المؤونة فيها ترتب على ذلك خوفنا من سدها وقطع الماءعنها

« ثم سألنى الأميرال أن ألقى اليه شروحا وتفاصيل كافية عن حيادة الترعة وحقوق كل من الشركة والحكومة المصرية وواجباتهما ، فقلت له بل ذكرته بأن الصفة التى لزمها المسيو فرديناند دى لسبس فى انجلترا فيما يتعلق بشأن الترعة كانت تلقى من مصاعب المقاومة ما تحمل لأجله أمورا كثيرة حبا فى جعل الترعة على الحياد ، وكيف أنه بمحاماته عن مبدأ هذا الحياد ، كانت الشركة تظهر نفسها حريصة على منافع انجلترا ومصالحها ، وذلك بمنعها عن الاتيان بأعمال تضر بالتجارة العمومية وتجارتها خصوصا . وقد أعلنت له أن الاحتجاج على الأعمال العديدة التى خرقت بها انجلترا حرمة النظامات الموضوعة للترعة

والمرعية الاجراء يجب ألا يؤخذ منه ان الشركة تقصد الأمة الانجليزية بعدوان ، ولكنها تقصد به المعارضة والممانعة فيما يوجب اقامة الحجر عليها ، سواء أكانت الدولة الجانحة اليه انجلترا أم غيرها

وقد أفهمته ان الخديو ليس فى رغبته أن يخل بنظام الترعة وان شأن السفن المصرية فى الترعة شأن السفن الغربية الأخرى . وفى الجملة ان البحرية الانجليزية لا تستطيع أن تأتى عملا مخلا بالحقوق المحترمة باسم الخديو وحكومته

« فشكرنى الأميرال على ما أبديته له وقال لى انه سيكتب الى حكومته بما ألقيته على سمعه فيما يختص بحياد الترعة وشأن الشركة فيها

« وبعد زيارتى له بنحو ساعة من الزمان لم يبق فى مياه الترعة جندى واحد قط من الجنود الانجليزية

« ثم عدت الى الاسماعيلية يوم ١٥ الشهر . ففى ١٦ منه ورد للمسيو دى روفيل رسالة من القبودان فيتزروى مآلها ان الأميرال هوسكنس ليس على علم صحيح بشأن الحكومة المصرية والشركة فى ترعة السويس ، فدعانى المدير على أثر ذلك الى بور سعيد وكلفنى أن أجتمع بالأميرال وأجعله على ما يروم من العلم اليقين بحقوق الحكومة المصرية والشركة فى خليج السويس

« وفى ١٨ منه اجتمعت بالاميرال هوسكنس ، فلقيت منه غير ما لقيته من الأميرال هيويت فانه جعل فى أذنيه صمما، وأمالهما عما كان فى كلامى من الصواب

« ولقد صرفت بجانبه أكثر من ساعة على هذا الحال محاولا اقناعه بأن مياه بحيرة التمساح وبور سعيد خاضعة كالترعة لحقوق الشركة ، وان جميع السفن الأجنبية بلا استثناء تعامل فى بور سعيد والبحيرة المذكورة بمقتضى نظام الشركة المقرر

« فلم يصغ الأميرال لهذا المقال وفوق ذلك أنه كان يقطع على الحديث بين الدقيقة والأخرى ، ويقتصر على القول بأن المسيو دى لسبس عدو انجلترا وان فى بور سعيد راية مصرية

« ولقد بذلت الجهد فى اقناعه بأننا لسنا أعداء انجلترا وان وجود الراية المصرية فى مياه بور سعيد ليس من شأنه أن يجعل للبحرية الانجليزية أو بحرية أية دولة كانت حق خرق النظام وتجاوز الحدود . فكانت مساعى واجتهاداتى تذهب سدى

« فمن ذلك يتضح ان الأميرال كان قد تقرر فى ذهنه اننا أعداء الانجليز وان مياه بور سعيد وبحيرة التمساح ان هى الا مياه مصرية يفعل فيها ما يشاء من غير معارضة

« وبعد أن انتهت هذه المخابرة بيننا رجعت الى الاسماعيلية وفى ليلة ١٨ من الشهر انقطع تلغرافنا بالقرب من السويس فاستدللنا من الآلات التى وجدناها فى الصباح ان الأيدى التى اشتغلت بقطع تلك الاسلاك انما هى أيد أوربية فعمد المسيو دى روفيل فى الحال الى اصلاحها واعادة المخابرات بواسطتها .

« وبعد عودة الصلات التلغرافية الى مجراها السابق ورد تلغراف من المسيو شارترى مشتمل على نص رسالة بعث بها اليه الأميرال هيويت، مضمونها انه وفقا لتعليمات الحكومة الانجليزية أصبح مأمورا بمنع جميع السفن من الدخول فى الترعة وفى جملتها زوارق الشركة وباستخدام القوة عند الاقتضاء ، فى انفاذ هذه التعليمات

« فلما وقف المدير على نص هذه الرسالة بعث المسيو شارترى بمذكرة يقيم بها الحجة على رسالة الأميرال

« وفى نحو الساعة التاسعة من صباح ١٩ الشهر دخل الترعة زورق مسلح من زوارق السفن الحربية

وتصدى لما فيها من الزوارق البخارية تصديا مبينا على ما جاء في نص رسالة الأميرال • أما من جهة بور سعيد فلم يبد شيء من مثل ذلك

« وكانت التعليمات التي اعتمد عليها الأميرال منذرة بوقوع حوادث هائلة

« ففي ليلة ١٩ طرأت على الاسماعيلية تلك الحوادث وجعلتها مشهدا للمخاوف

« وذلك انه بينما كان جمهور من الأوربيين مجتمعين فى منزل المسيو بواليرى على أثر دعوة الى ليلة راقصة ، وكان الوقت اذ ذاك الساعة الثانية بعد منتصف الليل اذا بحركة فى طرق المدينة تصم الآذان ، فمن اطلاق بنادق وسوق عساكر وجر مدافع الى غير ذلك مما كان حدوثه غير منتظر، وكان أصحاب تلك الحركة هم الانجليز الذين أخذوا يخرجون الى المدينة غير مبالين بذعر السكان وقتلهم فى الطرق بنار البنادق

« وقد حرنا فيما بعثهم على تلك الحركة الحربية اذ لم يكن أمامهم من عدو يطلقون عليه تلك النار ، فان معسكر المصريين كان فى نفيشة التي تبعد عن الاسماعيلية مسافة ثلاثة كيلومترات ، أما المدينة فلم يكن فيها الا نفر قليلون من البوليس ، وهم قوم من أشد الناس ميلا الى السكينة ، فانهم قضوا الى الآن فى الاسماعيلية سنين كثيرة ، ولم يكن همهم فيها الا تأييد الراحة والمحافظة على النظام

« وبعد خروج الانجليز بقليل دوت أصوات المدافع وذلك بأن أخذت السفينة أوريون والسفينة كاوليفور فى اطلاق مدافعهما على نفيشة ثم استمر اطلاق البنادق متتاليا متتابعا فى شوارع المدينة ، وعند بزوغ الفجر انقطع اندفاع رصاص البنادق فى حارة الأوربيين ، وقد أصيب به رجل هولندى الأصل يدعى المسيو برونيس

« وبعد شروق الشمس انطلق الملاحون الانجليز الى قرية

العرب التى يقطنها فعلتنا الوطنيون ، وأخذوا يطلقون النار على النساء والاطفال فكانوا يفرون من وجوههم الى الصحراء ويملأون بصراخهم الفضاء

« وقد أسروا بعض رجال البوليس من غير أن يبدى أحد منهم أدنى مقاومة ، ولكن قتل أحدهم أثناء محاولته الفرار مع عائلته

« وعندما نزل الانكليز الى البر قطعوا أسلاكنا التلغرافية المتصلة بالسويس وبور سعيد ، وحل القبودان فيتزروى فى مكتب الميناء وحجز على زوارقنا ، وقد أصبحت الاسماعيلية الآن من ضمن حصار مخيف وأمسينا لا ندرى بما هو جار فى بقية الخط · وقد أخذنا نهيىء مكانا لعائلات مستخدمى الشركة حيث تكون آمنة شر الخوف والرعب فان فى المدينة ٣٠٠ جندى فقط من ملاحى الانجليز ، ونحن نظن أن عساكر نفيشة يستطيعون أن يهجموا على المدينة فى الليل ويطردوهم منها ونرى من الحزم أن نرسل النساء والاطفال الى بحيرة التمساح ليقضوا فيها الليل · أما نحن فقد عزمنا على البقاء فى المدينة

« وقد منع القبودان فيتزروى النساء من السفر فكتبت اليه مستفهما عن سبب ذلك ، فبعث الى يقول انه يبيح للنساء السفر ، ولكن رجال المسيو دى لسبس يجب أن يبقوا فى المدينة ، فانه يتوقع أن يحمل عليه فى الليل وأن يحدث قتال فى الاسماعيلية ، فلذلك يزوم ابقاءهم فى المدينة

« فلما ورد هذا الجواب آثر قسم عظيم من العائلات البقاء فى المدينة على الجلاء عنها · أما القسم الآخر فالتجأ الى السفينتين الاسبانيتين « كارمين » و « الباتروش » وكان قائداهما (الدون كرلوس دويز) و (المسيو لونفيلد) قد

أرسلا الينا زوارق مخصوصة فتوجه عليهـا الى السفينتين من رام الالتجاء اليهما

« وانقضى الليل من غير أن يحدث شيء مزعج فيه ، وفى الصباح نهضنا من الرقاد وقصدنا الخروج الى الشـوارع والتجوال فى المدينة ، فاذا هي غاصة بالعساكر الانجليز البريين والبحريين

« وفى ٢١ الشهر نصب الانجليز أنفسهم سلكنا البرقى الكائن على خط بور سعيد • وبلغنا ان كثيرين من الجنود الانجليز نزلوا الى بور سـعيد وان الأميرال هوسكنس استولى على مكاتب الشركة فيها ، وطرد منها المسيو ديزا فادى ، وان سفنا كثيرة من السفن الحربية دخلت الترعة بدون أن تؤدى الرسوم اللازمة وان الانجليـز حلوا فى القنطرة بالقوة

« وفى صباح ٢١ أتى الاسماعيلية الأميرال بوشـان سيمور والجنرال ولسلى والأميرال هوسكنس وفيه حصلت مقابلة بينى وبين الأميرال سيمور أظهر لى فى غضونهـا رغبة فى عود الشركة الى شأنها المسلوب فى الترعة ، فقلت له اننا لا نقدر أن نستلم زمام عملنا السابق فى الخليج الا اذا كنا قادرين على ادارته بمقتضى حق الخدمة المقررة لنـا فى نظام الترعة وبعبارة أخرى رفع الحظر عن زوارقنا فى الاسماعيلية وأعيدت المخابرات التلغرافية بيننـا وبين السويس • وفى الجملة يجب أن يعـاد للشركة حق ادارة أعمالها ، كما كان سابقا من غير أن يكون للغير دخل فيها ، والا فالتبعة على الأميرال وأتباعه • فقبل الأميرال والجنرال ولسلى تحمل هذه التبعة

« وفى ٢١ و ٢٢ الشـهر رفعت الاسلاك التلغرافية بين الأسماعيلية والسويس ثم بلغنا ان المصريين اشتبكوا فى ٢٠ الشهر فى قتال عنيف مع الانجليز فقتـل من المصريين مائتان • أما عدد الانجليز الذين خرجـوا الى

الاسماعيلية فقد بلغ من ٢١ الى ٢٢ الشـــهر عشرين ألف مقاتل

« وفى ٢٢ منه انخفضت مياه الاسماعيلية ٢٥ سنتيمترا واستمر هذا الانخفاض فى الأيام التـــالية بمعـــدل ٤ سنتيمترات فى اليوم وهو ما دعى الى الظن بأن العرابيين قطعوا مياه الترعة

« وفى ٢٣ سلك الانجليز طريق القاهرة سائرين عـلى خط الترعة (الحاوة) وخط الطريق الحديدية ، وبعد أن حدث بينهم وبين المصريين بعض مناوشات بلغوا المحسمة وهناك تحققوا أن مياه الترعة لم تصب بأذى وعـلى فرض أنها قطعت من فوق المحســـــمة ففى محتقنات القصاصين والاسماعيلية ما يكفى الترعة شهرين

« وفى ٢٤ عاد سير الأحوال فى الترعة الى عهده السابق

« وانى لا أنسى أن أذكر ان الانجليز كثيرا ما احتاجوا الى أدلاء السفن فطلبوا منهم بعض الخدمة فأبوا ما لم تسمح لهم الشركة باجابة الطلب

« وحاصل القول فى الختام أنه لم يلحق بأحد من رجال الشركة سوء أو أذى فى مدة هذه الأزمة

التوقيع (فيكتور دى لسبس)

خيانة الخديو توفيق

كل عاقل منزه عن الغرض يطلع على ما سبق توضيحه من أن الخديو أصدر أمره بأن أمير البحر وقائد القـــوة الانجليزية العام بما انهما آتيان مصر لاعادة الراحة والنظام اليها فهما لذلك مفوضان بالحلول فى جميع النقـــط التى يريان لزوم الحلول فيها على قصد قمع العصاة وتوعده فى هذا الأمر لمن يخالف أحكامه بالقصاص الصـــارم . ومن يطلع على تقرير المسيو فيكتور دى لسبس واعتراف الشيخ

حمزة فتح الله فى مقالتــه الأولى بأن الخديو ليس أول من انتصر بغير ذوى دينه ، بل أن له فى ذلك سوابق كثيرة — **يعلم علم اليقين أن الانجليز ما أتوا لقتال المصريين الا بطلب الخديو باتفاق سابق وان تقريره للحرب فى المجلس الأعلى الذى كان تحت رئاسته ما كان الا خديعة منه وأن تحيزه للعدو كان باتفاق أيضا حتى يصير قتـــال الانجليز مع المصريين باسمه ، وان النظار وغيرهم الذين اتبعوه كانوا قد خدعوا كما خدع الشيخ حمـــزه فتح الله وغيره من البسطاء . على ان كل من كان معه كانوا من رجال الاستبداد الذين لا ترضيهم الحرية والمساواة** الا اثنان منهم وهمـا : حسن باشا الشريعى وعبد الله باشا فكرى ، ولذلك سجنهما وأهانهما عند ابلاغه خبر هزيمة الجيش المصرى فى التـل الكبير انتقاما منهما ، لعدم استحسانهما انحيازه الى الانجليز وأمره بعزلنا واعلانه عصياننا بعد أن ترامى فى أحضان الأعداء المحاربين لبلاده . وقد أصدر النظار وهم مع الخديو توفيق فى قبضة الانجليز منشورا يصفوننى فيه بالعصيان على نحو ما وصفنى فى منشوراته ذلك الخديو الخائن للوطن

كتابى الى الباب العالى

وفى ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ أرســلت الى باشكاتب المابين بما يأتى :

« كنت قد بسطت لعطوفتكم فى ٢ أغسطس وما بعـده أمر اعتداء الانجليز وتســلطهم فى جهتى الســويس والاسماعيلية على الترعة ، ومخالفتهم للعهود مخالفة لنظام الترعة ، وبسطت أيضا ما كان من الهمة التى بذلناها فى جعل الترعة على الحياد لانها نقطة وحيدة لاجتماع منــافع الأمم وممر تجارة العــالم أجمع . ولما كان قد قرب الآن ميعاد توجه المحمل الشريف والحجاج المسلمين الى جهـــة

الحجاز كتب الى المسيو دى لسبس الموجود الآن بالاسماعيلية مستفهما عما اذا كانت انجلترا تمانع فى مرور عساكر المحافظة المعتادة على التوجه مع المحمل الشريف أم لا ٠ فأجاب وكيل الجهادية بالتلغراف انه بالنظر الى الأحوال الحاضرة ، لا يمكنه أن يأخذ على نفسه تبعة ارسال المحمل الشريف ٠ وبعد ورود هذا الجواب منع الانجليز سفن الدول من المرور بالقنال وقطعوا الأسلاك البرقية الكائنة بين السويس والاسماعيلية كما عرضنا ذلك بالتلغراف

« ثم انهم أدخلوا سفنهم الحربية مع العساكر بأسلحتهم، وقد أبنا الاحتياطات التى اتخذت لمقاومة العدو اذا تقدم الى داخلية البلاد ، وكان قومندان الخط الشرقى ووكيل محافظة الاسماعيلية ويوزباشى العساكر المستحفظة هناك، قد أفادوا أن من عزم الانجليز اطلاق مدافعهم على النقط العسكرية الكائنة فى داخل البلاد ٠ ففى هذا الصباح علم من الأخبار الواردة ان الانجليز شرعوا عند الساعة التاسعة من ليل أمس فى اطلاق القنابل من جهة الاسماعيلية على نفيشة

« أما نحن فبالنظر الى احترامنا لعهود القنال بأن يكون على الحياد ، والى عدم تقويتنا لتلك النقطة وعدم وجود قوة عسكرية تقوم بشأن المحافظة على النقط فيما عدا (العساكر المستحفظة) وموالاة التحريض الشديد على عدم مس حقوق القنال ــ كل ذلك جعلنا فى مأمن تام من تحمل أية تبعة كانت

« ولما بدا من الانجليز هذا الاعتداء على ضفاف القنال قدم المسيو دى لسبس احتجاجا الى الأميرال الانجليزى ، وأرسل صورة الاحتجاج بالتلغراف الى الحكومة الفرنسية ، فاتصل خبره بوكلاء الدول فى عاصمة الحكومة المشار اليها ، فأعلموا دولهم بصفة رسمية ٠ أما الانجليز

فلم يلتفتوا الى الاحتجاج ، بل أصروا على الاخلال بنظـام القنال ، وفى هذا الشأن أرسل تلغراف الى المسـيو دى لسبس بما يأتى :

« بما ان الانجليز خرقوا نظام حياد الترعة ، فقـد صارت مصر مضطرة الى سدها وتعطيلها منعا لاعتداءاتهم، فاذا لم يرد الينا جواب شاف فى مدة ٢٤ ساعة اضطررنا الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع »

« فمن التفاصيل التى تقدم سردها تعلمون ان الدولة الانجليزية التى كانت متخذة لها مقاما خطيرا لدى الخلافة الكبرى وفى دار السلطنة العظمى وكانت تزعم أنها أشد الدول محافظة على السلام ، وانها لا تحارب مصر، ولا تقصد بها شرا قد أوقعت المسلمين فى اشكال عظيم

« ومن التعدى الذى قامت به أمس ظهـر فى الواقع تظاهرها بخلاف ما كانت تزعمه سابقا وتحقق أيضا انها مقاومة لجميع المصريين الأمة الخاضعة للدولة العثمـانية ، وانها داست بأرجل المطامع منافع جميع الدول ، ولم تخش أحدا ورمت بنار الحرب أقليما عظيما

« فبما ان أعمال الانجليز وصلت الى هذه الدرجة فلم يعد فى الامكان التراخى فى اتخاذ الوسائط المقتضاة لدفع كيدهم ، وأما النتائج الوخيمة التى ستترتب عن ذلك فستكون عائدة على المعتدى الظالم

« وقد بسطت فيما مضى شرح الأحـوال التى كانت جارية يوم تدوينها وارسالها فلكى يكون ما أعقبها غير خاف على شريف علم أمير المؤمنين بادرنا الى كتابتها وتقديمها لنادى عطوفتكم »

الجزء الثانى

يصدر فى ٥ مارس القادم

لم يتسع المقـــام لنشر جميع هــــذه المذكرات التاريخية القيمة في جزء واحد من هذه السلسلة • ولهـــــذا آثرنا أن ننشرها فى جزءين

وسيبدأ الجزء الثـــانى بباب معـــارك القتـــــال بين المصريين والانجليز داخل القطر ، وتليه جميع الحوادث التى وقعت بعد ذلك حتى قبض على عرابى باشـــا وزملائه

كما يتضمن الجزء القادم محاكمة زعماء الثورة ثم نفيهم وقصة حياتهم فى المنفى

وفى هذا الجزء أحداث خطيرة، ووصف شائق ، وقصص تاريخى طريف

فهرس

صفحة


Bibliotheca Alexandrina
03381067